جامعة قطر

كليّة الآداب والعلوم

قضايا صوتية في كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" دراسة صوتية

Phonetic Topics in "Al-Tamhid fi Ma'rifat Al-Tajweed"

A Phonetic Study

إعداد

الخضير محمد عبد الرحمن

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الآداب والعلوم

للحصول على درجة الماجستير في

"قسم اللغة العربية"

يونيو 2024م/1445هـ

©2024. الخضير محمد عبد الرحمن. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب: الخضير محمد عبد الرحمن بتاريخ (2024/5/20)، وُوفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وبحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

أ.د. عبد الحميد زاهيد مشرفا

أ.د. رشيد بوزيان مناقشا

د. زينب محمد المحمود مناقشا

تمّت الموافقة:

الدكتورة فاطمة الكبيسي، عميد كليّة الآداب والعلوم

الملخص

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة القضايا الصوتيّة في علم التجويد اعتمادا على كتاب (التمهيد في معرفة التجويد للعطار) (569هـ)، بدءا بحياة المؤلف وعصره، والمنهج الذي سلكه في كتابه، ونشأة علم التجويد، وذكر ما ألّف فيه، وكذلك شرح مصطلح التجويد بين المفهوم والأداء، ثم تطرقت الدراسة إلى مصطلح "التغني" بالقرآن الكريم بقسميه المحمود والمذموم، كما درست "اللحن الجلي والخفي"، وبعد ذلك تناولت الصّوامت والصّوائت، ومخارج الحروف وأحيازها مقارنة بين آراء القدامى والمحدثين، مفرقة بين الحروف الأصلية والفرعية المستحسنة والمستقبحة، علاوة على ذلك قامت الدراسة بتوضيح صفات الحروف من منظور علم التجويد وعلم الأصوات الحديث، ثم انتقلت لتتناول ظاهرة الإظهار والتبيين للحروف العربية، والقضايا التطريزية كاستثمار الحركات الطويلة عند القراءة، ومن ثم أبانت الدراسة معاني مصطلحات تجويدية مثل: "الحدر" و"التحقيق" و"الترديد" و"التّرجيع" و"التّرسل" و"التّقطيع" إلى غير ذلك، كما ختمت بوصف قراءة القراء العشرة بين "التحقيق" و"الترتيل."

الكلمات المفتاحية:

علم التجويد – التغني – الحدر – التحقيق – الصوامت – الصوائت – أنصاف الصوائت

Summary:

This study aims to explore the phonetic issues within the science of Tajweed (**The Science of the Intonated Recitation of the Quran**). It is based on the treatise "Al-Tamhid fi Ma'rifat Al-Tajweed" by Al-Attar (569 AH). The study begins by delving into the life and era of the author, the methodological framework employed in his work, the origins and the evolution of the science of Tajweed. It also includes an overview of his seminal contributions to the field. The study explains Tajweed, addressing both its theoretical concept and practical application, and then it delves into the concept of "Taghanni" (**Melodious Recitation**) in the Quran, distinguishing between its praiseworthy and blameworthy forms. It further explores the distinctions between "Al-Lahn al-Jali and Al-Lahn al-Khafi" (**Obvious and Subtle Errors in Recitation**). It delves deeper into the articulation of consonants and vowels, examining the points of articulation and their respective spaces. It provides a comparative analysis of ancient and contemporary scholarly views, differentiating between primary and secondary phonemes, and identifying those that are aesthetically preferred or otherwise.

The research also elucidates the characteristics of phonemes from the perspectives of both the traditional science of Tajweed and modern

phonetics. It investigates the phenomena of clear pronunciation and precise articulation in Arabic phonetics, and addresses issues related to "Tatreez" (**Prosodic Recitation of the Quran**), such as the utilization of Furthermore, the study explicates key prolonged vowels in recitation. Tajweed terminologies including "Al-Hadr (**Rapid Recitation**), "At-Tahqiq" (**Measured Recitation**), "At-Tardid," (**Echoing Recitation**), At-Tarji' (**Stretching Recitation**), "At-Tarsil," (**Flowing Recitation**), and "At-Taqti'," (**disjointed Recitation**), among others. The study concludes with an analysis of the ten canonical Qira'at (**Modes of Recitation**) in relation to "At-Tahqiq" (**Proper Articulation**) and "At-Tarteel." (**Rhythmic Recitation**).

Keywords:

Tajweed – Taghanni (**Melodious Recitation**) – Al-Hadr (**Rapid Recitation**) – At-Tahqiq (**Measured Recitation**)– Consonants – Vowels – Semivowels

شكر وتقدير

"أود أن أعرب عن تقديري لدعم جامعة قطر في توفير كافة الاحتياجات اللازمة لتحقيق متطلبات هذه الدراسة"

انطلاقًا من قوله ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، ووفاءً لأهل الفضل بفضلهم؛ أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل عبد الحميد زاهيد، الذي رافقني بتوجيهاته ونصحه وإرشاده في هذا العمل منذ أن كان فكرةً، حتى استوى منجزًا، فقد بذل وقته النفيس، فله مني جزيل الشكر والعرفان بالجميل، ولكل من أسهم من قريب أو بعيد في هذا العمل.

المحتويات

شكر وتقدير ..... ح

قائمة الجداول ..... ز

المقدمة 1

الإطار النظري 1

إشكالية البحث 2

أهداف البحث 2

أسئلة البحث 3

فرضيات البحث 3

الدراسات السابقة في الموضوع 4

منهج البحث 7

أهمية البحث 7

أسباب اختيار الموضوع 8

الفصل الأول: العطار الهمذاني وكتابه "التمهيد" 11

1. العطار الهمذاني وكتابه 'التمهيد' 12

1.1:حياة المؤلف وعصره 12

2.1: أهمية كتاب "التمهيد" ومنهج المؤلف فيه..... 21

1.2.1: أهميّة الكتاب 21

2.2.1: منهج المؤلف 23

3.2.1: قراءة في مقدمة الكتاب 30

2. تاريخ علم التجويد..... 37

1.2: نشأة علم التجويد 37

2.2:ما ألّف في علم التجويد 40

الفصل الثاني: قضايا اصطلاحية صوتية في علم التجويد 45

1. التّجويد بين المفهوم والأداء 46

1.1 تعريف التجويد لغة 46

دراسة صوتية لتعريفات التجويد الاصطلاحية..... 49

2.1 معنى "التغني" في التجويد 52

3.1: اللحن الجلي والخفي 56

أ- تعريف اللحن لغة..... 56

ب- تعريف اللحن الجلي اصطلاحا 57

ج- تعريف "اللّحن الخفي" اصطلاحا 58

1.2: الصوامت والصوائت 59

2.2: مخارج الحروف 71

3.2: أحياز الحروف 81

4.2: الحروف الفرعية 85

أوّلا: الحروف الفرعية عند القدماء 86

ب- الحروف الفرعية المستقبحة 93

5.2: صفات الحروف 97

أهمية دراسة صفات الحروف 98

6.2: التلفظ بحروف المد واللين 108

7.2: التلفظ بحروف الحلق 123

8.2 التلفظ ببقية حروف المعجم 128

إظهار الحروف المتقاربة والمتباينة 130

الفصل الثالث: الظواهر التطريزية (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) 143

1. استثمار الحركات الطويلة عند القراءة 143

2. القول على معاني "الحدر" و"التّحقيق" و"التّرديد" و"التّرجيع" و"التّرسل" و"التّقطيع".. 171

3. وصف قراءة القراء العشرة بين التحقيق والترتيل 188

الخاتمة 196

التوصيات..... 197

قائمة المراجع والمصادر..... 198

قائمة الجداول

جدول يظهر طبيعة أصوات الحروف..... 62

المقدمة

الإطار النظري

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وجعل خدمة القرآن أشرف ما يتقرب به العبد إلى مولاه، والصلاة والسلام على أفصح من نطق الضاد، وعلى آله وصحبه، وبعد فإن الله –تبارك وتعالى– أنزل كتابه على محمد بن عبد الله ﷺ وقد تلقاه مشافهة من جبريل –عليه السلام، وقد تعبدنا سبحانه وتعالى بقراءة القرآن على الوجه الأكمل، وإعطاء كل حرف حقه، ومن المعروف أن الحروف تختلف أحكامها من تفخيم وتغليظ وإدغام وغير ذلك.

وقد كان المسلمون في صدر الإسلام والقرون المزكاة ينطقون الأحرف بسليقتهم من دونالحاجة إلى معرفة صفاتها وأحكامها، لكن لما دخل في الإسلام غير العرب واختلطت الألسن وضعفت الملكة اللغوية احتاج القراء كغيرهم من علماء العلوم الأخرى إلى وضع قواعد وأسس تحدد مواصفات الحروف وأحكامها، وأحكام التجويد حتى يظل القرآن يتلى كما كان في عهد النبي ®.

وفن التجويد كما هو معروف مستخلص من قواعد اللغة العربية إلا أن القدسية التي تحكم تلاوته تسمو به عن كل نص لغوي عادي، لذلك لا غرابة أن نجد بعض الفروق النطقية بين النص القرآني والنص العربي بشقيه النثري والشعري.

ومع بروز الحاجة لهذا الفن عكف كثير من المؤلفين والقراء على إبراز تآليف تعنى به، وبعد ظهور اللسانيات الحديثة كان لروادها دور بارز خدم هذا الفن وأضفى عليه بعض الشروح الدقيقة التي قد يكون المتقدمون تطرقوا إليها إلا أنها كانت غامضة وقد شرحها باحثو علم الأصوات، وهذه الإضافات التي قدمها باحثو الأصوات ينبغي أن تعطى حقها من غير إفراط ولا تفريط، فليست هي كل ما يعتمد عليه لأن قدسية القرآن تمنع ذلك، كما ينبغي ألا تبخس حقها فقد قدمت

تفسيرات وتحليلات تفيد دارسي هذا الفن، وذلك اعتمادا على ما وفرته لهم التكنولوجيا والمختبرات الصوتية من تحديد مخارج الحروف وغير ذلك.

إشكالية البحث

ننطلق في هذا البحث من إشكالية تعتني بالعلاقة بين علم التجويد وعلم الأصوات الحديث من خلال ما أورده العطار (569هـ) في كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" من حيث مخارج الحروف، ومقامات الأداء، أثناء التلاوة منذ عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – حتى عصر القراء العشرة الذين استقر عندهم سند القراءات المتواترة. حاولت في هذا البحث قراءة هذا الكتاب المهم للتعرف على منهج المؤلف الذي اتبعه في جمع مادة هذا الكتاب، ومن خلال ذلك تعرفت على المنهج الصوتي لدى علماء التجويد، وأساليبهم المتبعة في تأدية النص القرآني.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى التعريف بالمنهج الصوتي لدى علماء التجويد من خلال كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" للعطار، وكذلك يهدف إلى دراسة القضايا الصوتية فيه دراسة صوتية، وترتيبها وتبويبها، بحسب مواضيعها وانتماءاتها.

تتصف كتابة القدماء بالموسوعية والتداخل عكس كتابتنا في العصر الحالي، وحتى نقدم مادة الكتاب في أيسر السبل للقارئ للاستفادة منه، أمسى لزاما علينا إعادة ترتيب مواده بعيدا عن ترتيبها كما وردت في محتوى الكتاب.

كما تهدف هذه الدراسة إلى مساع أخرى فرعية يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1. محاولة الإجابة عن سؤال المنهج الصوتي عند علماء التجويد.
2. الكشف عن جوانب مهمة من طرق الأداء الصوتي لدى علماء التجويد من خلال كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" للعطار.

3. تفسير القضايا الصوتية في علم التجويد من مقامات ومدد ومخارج حروف، من منظور علم الأصوات الحديث.
4. رصد الضوابط الصوتية التي ينبغي أن يراعيها قارئ القرآن الكريم أثناء الأداء الصوتي بالتلاوة.
5. الوقوف عند مصطلحات صوتية تتقاطع بين علم الأصوات وعلم التجويد، مثل التغني، اللحن، تزيين الصوت، التكلف.
6. تفسير مصطلحات تجويدية من منظور علم الأصوات الحديث كالحدر والتحقيق والترجيع والترديد والترسل والتقطيع.
7. الوقوف على خصائص المجود من منظور علم التجويد وعلم الأصوات.
8. إعادة قراءة إشكالية المد من منظور علم الأصوات.
9. مقارنة مخارج الأصوات بين اللغويين والمجودين من جهة وعلم الأصوات من جهة أخرى.

أسئلة البحث

تتلخص الأسئلة في النقاط التالية:

1. ما خصائص الدرس الصوتي في علم التجويد؟
2. ما المنهج الصوتي الذي اتبعه العطار الهمذاني في كتابه "التمهيد"؟
3. ما مدى دقة النتائج الصوتية المتعلقة بأحكام التجويد من خلال كتاب "التمهيد"؟
4. ما الضوابط التي حكمت منهج العطار في دراسة القضايا الصوتية في كتاب "التمهيد"؟
5. ما طريقة الأداء الصوتي في علم التجويد؟

فرضيات البحث

تتجلى فرضية البحث في أن تراثنا الصوتي في علم التجويد لم يلق الاهتمام والحظ الكافيين في إعادة قراءته وكتابته صوتيا. ففرضيتنا في هذا البحث أن المعارف الصوتية في علم التجويد

يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: معارف نشهد لها بالسبق التاريخي، ونعدها من مكتشفات القدماء قبل أن يكتشفها علم الأصوات الحديث، أما القسم الثاني: فيرتبط بالمعارف التي ما زالت تدافع عن نفسها، ولم تتجاوزها الاكتشافات الحديثة، أما القسم الثالث: فهي المعارف التي تجاوزها علم الأصوات الحديث، وأثبت عدم سلامتها من زاوية النظر الصوتي والمخبري.

فرضيتنا في هذا البحث أن كتاب الهمذاني لا يخرج عن هذا الإطار الذي رسمناه؛ إذ نفترض فيه سبقا صوتيا لمعالجة الأصوات من زاوية نظر المجود، كما نفترض فيه قضايا صوتية تستحق إعادة النظر من زاوية صوتية حديثة.

الدراسات السابقة في الموضوع

بعد البحث في مجمل الدراسات السابقة التي استطعت الحصول عليها ممن تناول كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" للعطار بدراسة صوتية متخصصة، عملت في هذا البحث على جمع القضايا الصوتية التي وردت في هذا الكتاب، ثم قمت بمقارنة الفقرات المتعلقة بتلك القضايا بما سبقها في كتب علم التجويد، وتقييمها من منظور علم الأصوات الحديث، ولكننا بلا شك استفدنا من دراسات صوتية متعددة تناولت قضايا صوتية في علم التجويد وفيما يلي عرض لهذه الدراسات التي سبقتنا في تناول الموضوع مرتبة بحسب تاريخ النشر:

1. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين (1987) (رسالة ماجستير).
2. علم التجويد وأهميته في الدراسات الصوتية، عبد المجيد المعلومي (2000) (بحث).
3. علم التجويد، دراسة صوتية ميسرة، د. غانم قدوري (2005) (كتاب).
4. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري (2007) (كتاب).
5. الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد، الدكتور محمد أحمد الجمل (2009) (بحث).

6. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين (2009) (رسالة دكتوراه).
7. دخول النون في الأصول غير الثلاثية بين الأصالة والزيادة باب العين في معجم العين للخليل نموذجا، دراسة صوتية، عبد الوهاب صابر أحمد (2011) (مقال).
8. الترتيل القرآني مفهومه وأثره في اللغة، دراسة صوتية تحليلية، براءة نور الدين الصباغ (2012) (رسالة ماجستير).
9. الدراسة الصوتية عند ابن الجزري المادة والمنهج، بلقاسم مكريني (2013) (بحث).
10. قراءتا خلف عن حمزة وورش عن نافع، دراسة صوتية، أمل عامر سعيد (2015) (رسائل ماجستير).
11. القلقلة في القرآن الكريم، دراسة صوتية، أحمد طه رضوان (2016) (بحث).
12. التفخيم والترقيق في روايتي حفص وورش عن نافع، دراسة صوتية، رزان صابر (2016) (بحث).
13. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد وعلم الأصوات: مخارج الحروف نموذجا، قاضي محمد (2017) (بحث).
14. سورة سبأ، دراسة صوتية، محمد نجم الدين طه (2017) (مقال).
15. أزمان المدود والغنن في القرآن الكريم، دراسة صوتية تحليلية مقارنة، إسحاق بن سيف بن سالم (2018) (رسائل جامعية).
16. المصوتات العربية في الأداء القرآني ووصفي علماء العربية وعلماء التجويد والقراءات، دراسة تحليلية معملية مقارنة، عادل إبراهيم أبو شعر (2018) (مقال).
17. القراءة بإسكان العين في كلمة ن ع م ا في القرآن الكريم وإشكالية النطق بالساكنين، دراسة صوتية مقطعية، طارق بن محمود خوالدة (2018) (مقال).

18. الظواهر الصوتية وتجلياتها في القراءات القرآنية، جميلة روقاب (2019) (بحث).
19. مخارج الحروف عند أبي عمرو الداني، دراسة صوتية موازنة، سوسن غانم قدوري (2019) (بحث).
20. المماثلة الجزئية "المضارعة": أنواعها وأحكامها دراسة صوتية، أحمد محمد جاد الله (2020) (بحث).
21. دراسة صوتية لحروف الحلق وما شاع من أخطاء أثناء تلاوة القرآن الكريم بمنطقة توات، كرومي عبد الرحمن (2020) (مقال).
22. الفصل والوصل في الرسم العثماني، دراسة صوتية، قدوري بومدين (2020) (بحث).
23. المد اللازم الكلمي في القرآن الكريم، دراسة صوتية فيزيائية، حسين محمد علي (2020) (بحث).
24. قصص سورة الكهف، دراسة صوتية تحليلية، د. مهند أحمد حسن (2020) (مقال).
25. التثليث في القراءات القرآنية، دراسة صوتية، عصري الحراحشة (2020) (مقال).
26. جماليات الفاصلة القرآنية في سورة الرحمن، دراسة صوتية، الحاج علي هوارية (2021) (بحث).
27. المصطلح الصوتي بين علماء التجويد وعلماء العربية في الأندلس، صبا فريد (2021) (بحث).
28. التجويد القرآني، دراسة صوتية فيزيائية، محمد صالح الضالع (2021) (كتاب).
29. الدراسة الصوتية عند علماء التجويد واللغويين والنحاة، ابتهال محمد علي (2021) (بحث).

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج النوعي Qualitative Methodology. وذلك لأن موضوع البحث هو دراسة تحليلية تبحث في متن الكتاب قصد الإجابة عن سؤال إثبات الفرضية أو نفيها عن طريق سؤال الكيف؟ وسؤال ماذا؟ وسؤال الماهية؟ لم يقتصر منهجنا النوعويُّ على الالتزام بمتن كتاب التمهيد فقط، بل تعداه إلى المتون القبلية والبعدية قصد المقارنة وإثبات السبق والتطور التاريخي، وهو مجال لا يمكن استعمال المنهج الكمي فيه، Quantitative Methodology لعدم اعتماده على الاستبيانات والاختبارات والإحصاءات.

أما بخصوص التوثيق فقد استعملت أسلوب النسخة السابعة والمنقحة سنة 2020م، طريقة. APA style 7th Edition Revised version. وهي طريقة اعتمدها أغلب الباحثين في دراساتهم الاجتماعية والإنسانية عموما، وقد اعتمدت الطريقة نفسها للاقتباس وإعادة صياغته، وتنظيم الجداول، والإحالات المباشرة وغير المباشرة، والإحالة للمؤلفين فرادى أو مجموعين، وتوثيق مراجع الرسالة.

أهمية البحث

يتفق دارسو علم التجويد وعلم الأصوات الحديث، على أن هنالك رابطا قويا وعلاقة متينة بين العلمين، نظرا إلى أن علم التجويد في أصل نشأته إنما هو علم صوتي بامتياز.

ولما كان علم التجويد يكتسب أهمية كبيرة لدى العلماء المسلمين قديما وحديثا، كونه ذا صلة بالنقل والتوقيف، فإن طريقة أدائه صوتيا ظلت هي الأخرى في مقدمة اهتمام قراء القرآن الكريم، منذ عهد رسول الله ﷺ وحتى الآن.

ومن هنا ظهر اهتمام علماء الأصوات بعلم التجويد بوصفه لونا مميزًا من ألوان الأداء الصوتي؛ بل يمكن اعتباره في مقدمة سلم مراتب الصوتيات، نظرا إلى ما يتميز به من ضبط للأمداد والتوقف ومخارج الحروف.

كان من بين العلماء المقدَّمين الذين اهتموا بعلم التجويد وتاريخ المجودين، العطار الهمذاني الذي ألف كتابا ماتعا في هذا الغرض سماه كتاب "التمهيد". حاول فيه سرد مسيرة علم التجويد من حيث تقنية الصوت، ومخارج الحروف، ومقامات الأداء، أثناء القراءة منذ عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – حتى عصر القراء العشرة الذين استقر عندهم سند القراءات المتواترة.

أسباب اختيار الموضوع

لقد دفعتني إلى اختيار موضوع البحث في دراسة كتاب "التمهيد" في علم التجويد للعطار الهمذاني دراسة صوتية، أسباب كثيرة، يمكن تلخيص أهمها في النقاط التالية:

1. خدمة القرآن الكريم بتوظيف المعارف الحديثة لتمحيص النظريات التي سار عليها علم التجويد.
2. توجيه أ.د. عبد الحميد زاهيد.
3. اهتمامي بالدراسات الصوتية الحديثة من حيث تناولها لأحكام التجويد وتقييمها لمنجزات علماء التجويد.
4. شغفي بعلم التجويد، وتتبع اختلاف الأداء لدى الرواة.
5. إصراري على ربط ما تعلمته في الصغر بمسيرتي العلمية.
6. إعادة كتابة القضايا الصوتية في علم التجويد كتابة صوتية تؤكد السبق التاريخي لعلمائنا في هذا المجال، وكذلك إعادة قراءتها قراءة صوتية حديثة.
7. تبسيط الأحكام التجويدية الجائز منها والممنوع للمتخصصين وغير المتخصصين.

8. إثراء المكتبة الإسلامية التجويدية بدراسة تتناول كتابا مهما من كتب علم التجويد ألا وهو كتاب "التمهيد"، والذي هو في نظرنا كتاب يستحق الدراسة، إذ لم ينل حقه من قبل في الدراسة الصوتية.

وقد واجهت صعوبات وتحديات جمة أثناء إعداد هذا البحث نلخصها في الآتي:

1- فرز القضايا التجويدية الصوتية من الكتاب محل الدراسة، فقد بذلت جهدا في حصرها والحصول عليها وتحليلها.

2- كما كان للمراجع أيضا تحدياتها، والمتمثلة في تحديد الأهم بالنسبة للاقتباس، فالدراسات في هذا الفن كثيرة ما يتطلب استقراءها وتحديد ما يمكن أن يعتمد عليه من غيره.

3- وهناك صعوبات تتعلق بالتوفيق بين مصطلحات القدامى وأساليبهم وأساليب المحدثين ومصطلحاتهم.

4- ومن التحديات التي واجهتني، محاولة تفادي إسقاط النظريات الحديثة على علم التجويد، ومحاولة قراءته من دونأن نقع في المحظور، وقد حاولت أن أستفيد من الحديث في فهم القديم وذلك يتطلب جهدا حاولت بعون الله وتوفيقه وبالإرشادات والتوجيهات التي تلقيتها من الأستاذ المشرف أن أتغلب عليه حتى جاءت هذه الرسالة التي أجابت عن الأسئلة وتحققت من صحة الفرضيات، في ثلاثة فصول، خصصنا الأول لحياة المؤلف وعصره، وأهمية الكتاب، وتاريخ علم التجويد، وأهم الكتب المؤلفة فيه، والفصل الثاني لقضايا اصطلاحية صوتية في علم التجويد، كالتجويد بين المفهوم والأداء، ومعنى التغني واللحن، والصوامت والصوائت، ومخارج الحروف وصفاتها والتلفظ بها. وفي الفصل الثالث تعرضنا للظواهر التطريزية، مثل: استثمار الحركات الطويلة عند القراءة، مع بعض المصطلحات مثل: الحدر والتحقيق والترديد والترسل والتقطيع وختمناه بوصف قراءة القراء العشرة بين التحقيق والترتيل.

5- وفي الختام أرجو أن يكون هذا البحث نافعا وأن يستفيد منه المهتمون بهذا الفن، فما كان صوابا فمن الله، وما كان خطأ فمني والله من وراء القصد.

الفصل الأول: العطار الهمذاني وكتابه "التمهيد"

ظهر علم التجويد بصقته علمًا مستقلًا بمسائله في القرن الرابع الهجري، وقد كان قبل ذلك يدرس مع القرآن الكريم مشافهةً، فيتلقى التلميذ القرآن من شيخه، يقرؤه عليه مرة بعد مرة، إلى أن يتقن القراءة ويضبط الأداء.

وأول مَن وضع قواعد علمية للتجويد هم أئمةُ القراءة واللغة في ابتداء عصر التأليف، وقيل: إن الذي وضعها هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقال بعضهم: أبو الأسود الدؤلي، وقيل أيضًا: أبو عُبَيد القاسم بن سلّام، وذلك بعدما كثرت الفتوحات الإسلامية، وانضوى تحت راية الإسلام كثيرٌ من الأعاجم، واختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، وفشا اللحن على الألسنة، فخشي ولاة المسلمين أن يُفضي ذلك إلى التحريف في كتاب الله – تعالى – فعَمِلوا على تلافي ذلك، وإزالة أسبابه، وأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة كتاب الله – تعالى – من اللحن، فأحدثوا فيه النقط والتشكيل، بعد أن كان المصحف العثماني خاليًا منهما، ثم وضعوا قواعد التجويد حتى يلتزم كل قارئ بها عندما يتلو شيئًا من كتاب الله – تعالى.

وكان أول مَن ألَّف في التجويد أبو مزاحم الخاقاني المتوفَّى سنة (325هـ)، وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري، ألف قصيدة رائية مكوَّنة من واحد وخمسين بيتًا –وهي تعدّ أقدم نظمٍ في علم التجويد –ذكر فيها عددًا من مسائل التجويد، وكان لها أثر في جهود العلماء اللاحقين من خلال استشهادهم بأبياتها، أو شرحهم لمعانيها، أو اقتباسهم منها.

لكنه لم يستخدم كلمة التجويد في قصيدته، وإنما استخدم كلمة حسن الأداء وما اشتق منها، فقال: "أيا قارئ القرآن، أحسِن أداءه"، وقال: "فقد قلت في حسن الأداء قصيدة"، وعدم استخدامه لكلمة التجويد يشير إلى أن هذا المصطلح لم يكن مشهورًا وقتئذٍ، وإن كان قد استخدمه

بعض العلماء مثل ابن مجاهد (324هـ)، حين قال: "اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي؛ فالجلي: لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه".

ثم تتابعت المصنفات بعد ذلك، فألف كثيرون مثل علي بن جعفر بن محمد الرازي (410هـ تقريبًا) كتابه: "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي"، وكتابه" :اختلاف القراء في اللام والنون" والعطار (569هـ) في كتابه "التمهيد في معرفة علم التجويد" وهو تأليف نفيس لم يجد بعد ما يحتاج إليه من الدراسة، وهو ما نود بحثه وبيان فضله وخصائصه من خلال هذا الفصل.

1. العطار الهمذاني وكتابه 'التمهيد'

1.1:حياة المؤلف وعصره

شهد تاريخ الأمّة الإسلامية نهضة علميّة، وصحوة فكريّة، غيّرت مناحي الحياة، وكان وراء ذلك ثلّة من العلماء المخلصين الذين أفنوا أعمارهم في سبيل إخراج النّاس من ظلمات الغيّ إلى سبيل الرّشاد، ومن بين هؤلاء العالم الجليل أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الذي ضحى بماله ونفسه لمقاصد أسمى، وغايات كبرى، فما اسمه؟ وما سيرته؟ ومن شيوخه وتلامذته؟ وكيف أثنى العلماء عليه؟

اسمه ونسبه: (العلامة العطار 488-569هـ)

لم يختلف أهل التراجم في اسم المؤلف، ولا كنيته، ولا لقبه، بل اختلفوا في عدد سلسلة أسماء آبائه، فابن الجوزي (597هـ) ذكر اسمه مختصرا في كتابه: (المنتظم، ج18، ص.208)، وقد اتّفق ياقوت الحموي (626هـ) في كتابه: معجم الأدباء، ج2، ص.825، مع الحافظ الذهبي (748هـ) بأنّه هو: "أَبُو العَلَاءِ الحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَهْلِ بنِ سَلَمَةَ بنِ عثكل بنِ إِسْحَاقَ بنِ حَنْبَلٍ الهَمَذَانِيُّ، العَطَّارُ" (سير أعلام النبلاء، ج21، ص.40).

مولده ونشأته

ذكر الحموي (626هـ) تاريخ ولادة العطار، بقوله: "وأما ولادته فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بهمذان" (معجم الأدباء، ج2، ص.825).

لقد نشأ العطار (569هـ) في بيئة علمية، حيث قال: "سلّمت في صغري إلى رجل معلم... وكنت أحفظ عليه القرآن، فحفظت عليه إلى سورة يوسف، ثم أجرى الله لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة من غير تحفظ وتكرار فضلا منه جل جلاله" (الحموي، 626هـ، معجم الأدباء، ج2، ص.825). ويدلّ هذا على قوّة حفظه وإتقانه للمتون العلميّة منذ صغره، وأخذه للعلوم بالتّلقّي، والمشافهة مباشرة من أهل الاختصاص المعرفي، ثم تدرّج في بقيّة العلوم، كما ذكر عنه الحموي (626هـ):

> كان كثير الحفظ للعلوم، كثير المجاهدة في تحصيلها، فسمعته يقول رحمه الله: حفظت 'كتاب الجمل' في النحو لعبد القاهر الجرجاني في يوم واحد من الغداة الى [إلى] وقت العصر... [و]حفظت يوما ثلاثين ورقة من القراءة... [و]لو أن أحدا أتاني بحديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يبلغني لملأت فاه ذهبا. قال: وكان الشيخ –رحمه الله– حفظ 'كتاب الجمهرة' لأبي بكر ابن دريد و'كتاب المجمل' لابن فارس و'كتاب النسب' للزبير بن بكار. (معجم الأدباء، ج2، ص.826)

وتتّضح مما سبق الموهبة والبركة التّي حباه الله بها وما أوتي من قوّة الإرادة، وإخلاصه وتفانيه في مجاهدة نفسه، في حفظ العلوم وتحصيلها، في شتى أنواع الفنون والمتون.

شيوخه الذين تتلمذ عليهم

تلقّى العطار (569هـ) العلم على مجموعة من العلماء، والشّيوخ المبرّزين في زمانه، حيث يقول الحافظ الذهبي (748هـ):

> وَأَوّل سَمَاعه فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ، وَبعدهَا سَمِعَ مِنْ: عَبْدِ الرَّحْمَانِ [الرحمن] بن حَمْدٍ الدُّوْنِيّ، وَخَلْقٍ بِهَمَذَانَ. وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ: أَبِي القَاسِمِ بنِ بَيَانٍ، وَأَبِي عَلِيٍّ بنِ نَبْهَانَ، وَأَبِي عَلِيٍّ ابْنِ [بن] المَهْدِيّ، وَطَبَقَتهِم. وَبِأَصْبَهَانَ مِنْ: أَبِي عَلِيٍّ الحَدَّاد، وَمَحْمُوْد الأَشْقَر، وَخَلْقٍ. وَقرَأَ بِالرِّوَايَات الكَثِيْرَة عَلَى: الحَدَّاد، وَعَلَى: أَبِي عَبْدِ اللهِ البَارِع، وَأَبِي بَكْرٍ المَزْرَفِيّ، وَجَمَاعَة. وَارتحل إِلَى خُرَاسَانَ، فَسَمِعَ مِنْ: مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ الفُرَاوِيّ (صَحِيْحَ مُسْلِمٍ). (سير أعلام النبلاء، ج21، ص.40).

وكان العطار (569هـ) شديد الحرص على طلب العلم، فلم يقتصر على شيوخ بلده، بل سافر إلى أمصار عديدة، ومدن مختلفة، للإكثار من الرّواية عن العلماء الأجلاء، مثل: عبد الرّحمن الدّونيّ (501هـ)، وأبي القاسم بن بيان(505هـ)، وأبي عليّ الحدّاد (515هـ)، وأبي عبد الله البارع (524هـ)، وغيرهم.

تلاميذه

لقد دأب العلماء قديما، وحديثا، على توريث العلم، وعدم كتمانه، لقد آلوا على أنفسهم أن يقرؤوه، ويدرسوه، ويبذلوا قصارى جهدهم في نشره، وتبليغه لعامّة الناس، وخاصّتهم، وقد كان من بين هؤلاء العلماء العلامة اللغوي، المقرئ، المحدّث، الزاهد: أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطار (569هـ) الذي أفنى عمره، وماله، في سبيل تعلّم العلم وتعليمه، وبذلك تربى على يديه خلق كثير من طلاب العلم، ومن أبرزهم ما ذكره الحافظ الذهبي (748هـ):

أَبُو أَحْمَدَ عَبْد الوَهَّابِ ابْن سُكَيْنَة... وَأَبُو المَوَاهِبِ بن صَصْرَى، وَعَبْد القَادِرِ بن عَبْدِ اللهِ الرُّهَاوِيّ، وَيُوْسُف بن أَحْمَدَ الشِّيْرَازِيّ، وَمُحَمَّد بن مَحْمُوْدٍ الحَمَّامِيّ، وَعَتِيْق بن بَدَلٍ المَكِّيّ، وَأَوْلَادُه: أَحْمَد، وَعَبْد البَرّ، وَفَاطِمَة، وَأَسباطُه: القَاضِي عَلِيّ، وَمُحَمَّد، وَعَبْد الحَمِيْدِ، بَنُوْ عَبْدِ الرَّشِيْدِ بنِ عَلِيّ بنِ بُنَيْمَانَ، وَآخَرُوْنَ. وَرَوَى عَنْهُ بِالإِجَازَةِ: أَبُو الحَسَنِ ابْنُ المُقَيَّرِ، وَغَيْرُهُ. (سير أعلام النبلاء، ج21، ص.41).

ويعدّ هؤلاء الطلاب من أشهر الذين أخذوا العلم عن العطار، وإلّا فتلامذته أكثر من أن يُحصَوْا، وهذا ديدن العلماء الرّبانيّين، حيث يبيعون أوقاتهم لله، فيذيع صيتهم ويقصدهم الناس في مجالسهم أفواجا، فيفيدون المبتدئ والمنتهي، وهذا ما سطّره أهل التراجم والسّيّر في كتبهم عن العطار، كالمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (597هـ)، ج18، ص.208-209، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (626هـ)، ج2، ص.825-840، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (833هـ)، ج1، ص.204-206.

مؤلفاته

لقد برع العطار(569هـ) في جمع العلم، وحفظه، وتدوينه، حتى فتح الله عليه بالكتابة، والتّأليف، في شتّى العلوم، وكانت:

له التصانيف الكثيرة في أنواع علوم الحديث والزهديات والرقائق وغير ذلك. ومن جملة ما صنف: زاد المسافر نحوا من خمسين مجلدة [مجلدا]. وكان إماما في القرآن وعلومه وحصل من القراءات المسندة ماءاته صنف العشرة والمفردات، وصنف الوقف والإبتداء [الابتداء] والتجويد والماءات والعدد، ومعرفة القراء وهو نحو من عشرين مجلدا. (ابن نقطة،

629هـ، التقييد لمعرفة السنن والمسانيد، ص.240)، (الصالحي، 744هـ، طبقات علماء الحديث، ج4، ص.102)، و(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21، ص.42)، و(ابن رجب الحنبلي، 795هـ، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص.274)، و(أحمد، 945هـ، طبقات المفسرين، ج1، ص.133).

وبعد قراءتي لمجموعة من كتب أهل السّير والتراجم، تبيّن لي أنّ العلامة العطار (569هـ) قد أجاد التّأليف، فألّف كتبا لا يستغني طالب العلم عنها، ومنها أيضًا ما نقله فارس (1396هـ): "(معرفة القراءة) نحو 20 جزءا، و(الهادي في معرفة المقاطع والمبادي)" (الأعلام، ج2، ص.181). و"غاية الاختصار، في القراءات العشر لأئمة الأمصار" (حاجي، 1067هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص.1189)، (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.87). وقد ذكر طلعت (1993) في تحقيقه لكتاب "غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمّة الأمصار" مجموعة من مؤلّفات العطار وهي كالتالي:

1. الأدب في حسان الحديث.
2. الاكتفاء [في] قراءة إمام القراء أبي عمرو بن العلاء.
3. الانتصار في معرفة قراء المدن والأمصار.
4. التمهيد في معرفة التجويد.
5. الجمل والغايات في الفتن والآيات.
6. حواش على كتاب (الكامل للإمام أبي القاسم الهذلي).
7. زاد المسافر وهو كتاب في التفسير، في خمسين مجلدا.
   - طبقات القراء وهو كتاب «الانتصار»
8. كتاب في رسم المصاحف.

9. كتاب في العدد.

10. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.

11. فتوى في أمر عثمان، رضي الله عنه.

12. فتيا وجوابها في الاعتقاد وذم الاختلاف.

13. قراءة أبي حنيفة النعمان.

14. الماءات.

15. مفردات القراء، كل مفردة في مجلد.

- مفردة ورش.
- مفردة أبي عمرو.
- مفردة الكسائي.
- مفردة يعقوب.
- مفردة ابن السميفع.

16. الهادي إلى معرفة المقاطع والمبادي.

17. الوقف والابتداء، (ص.45-48).

ومن بين الكتب التي ألّفها كذلك في التّجويد "التّمهيد في معرفة التجويد" الذي بين أيدينا، فقد أشار إليه الحافظ الذهبي (748هـ) في كتابه سير أعلام النبلاء، ج21، ص.42، وغيره من أهل التراجم، وهو المتن الذي سنتناوله بالدّراسة، والتنقيب، والبحث عن القضايا الصّوتيّة التي يتضمنها علم التجويد.

سيرته وأخلاقه وثناء العلماء عليه

لقد عُرِفَ العطار (569هـ) في زمانه بسيرة حسنة، وهيبة، وسمت، وتواضع لدى الصّغير، والكبير، والعاميّ، والعالم، وقال عنه: "أبو سَعْد السَّمْعَاني: حافِظٌ، متقِنٌ، مقرئٌ، فاضل، حَسَنُ السِّيرة، مَرْضيُّ الطَّريقة، عزيزُ النَّفْس، سخيٌّ بما يملكه، مُكْرِمٌ للغُرَباء" (الصالحي، 744هـ، طبقات علماء الحديث، ج4، ص.101). وقد أثنى عليه من عاصره من أهل العلم، وزكّى إتقانه لفنون شتّى كالقرآن، والحديث، وغيرهما، حيث قال فيه: "الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي، رحمه الله... أيها القوم إنّ الله –عز وجل– يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها، وهذا الرجل المقبل من جملتهم، قوموا نسلّم عليه، فقاموا واستقبلوه وسلّموا عليه واعتنقوه" (الحموي، 626هـ، معجم الأدباء، ج2، ص.826). وقال الصالحي (744هـ) في كتابه طبقات علماء الحديث: إنّه "يعرف القِراءات والحديث والأدب معرفة حسنة... [و]بَرَعَ على حُفَّاظ عَصْره في حِفْظ ما يتعلَّق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكُنى والقصَص والسِّيَر... وكان إمامًا في النحو واللُّغة" (ص.101–102). ويدلّ هذا كله على سعة علمه، وتبحّره في أمهّات العلوم، وإدمان النّظر فيها، وتفوّقه على أقرانه بالتّمكّن وقوّة الحفظ، وكان معروفا بالكرم، والزّهد في الدنيا، كما ذكر الصالحي (744هـ) بقوله:

> كان مُهينًا للمال، باع جميعَ ما وَرِثه –وكان من أبناء التُّجَّار– فأنفقه في طلب العِلْم، حتَّى سافر إلى بغداد وأَصْبَهان مَرَّاتٍ ماشيًا يحمل كُتُبَه على ظهره... وكان يطلبُ لأصحابه من النَّاس، ويعِزُّ أصحابَه ومَنْ يلوذُ به، ولا يحضُر دعوةً حتَّى يحضُرَها جماعةُ أصحابه. (طبقات علماء الحديث، ج4، ص.102–103)، (الذهبي، 748هـ، معرفة القراء الكبار على

الطبقات والأعصار، ص.296)، و(أحمد، 945هـ، طبقات المفسرين، ج1، ص.134).

ومع زهده لم يثنه ذلك عن العطاء، والسّعي على أصحابه وخدمتهم، ونصرتهم، كما أنه كان يتّقي المال الذي فيه شبهة من الحرام، حيث يقول صاحب طبقات علماء الحديث: "كان لا يأكل من أموالِ الظَّلَمة، ولا قَبِلَ منهم مدرسةً قَطُّ ولا رِباطًا، وإنما كان يقرئُ في داره، ونحن في مسجده سُكَّان، وكان بقرئ [يقرئ] نصف نهارِه الحديثَ، ونصفَ [ونصفه الآخر] القُرْآن والعِلْمَ" (الصالحي، 744هـ، ج4، ص.102-103). يعني أنّه كان متعفّفًا عن سؤال الناس، ولا يقبل الهديّة ممن يغلب على ماله الحرام، وكان شديد الحرص على وقته، فلا يضيع شيئا منه، وكان آمرا بالمعروف، ناهيّا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم:

> وكان لا يغشى السَّلاطين، ولا تأخذه في الله لَوْمةُ لائمٍ، ولا يمكّن أحدًا أن يعمل في مجلسه... منكرًا ولا سماعًا، وكان ينزل كلّ إنسان منزلتَه، حتَّى تألَّفَتِ القلوبُ على محبَّته، وحسن الذِّكْر له في الآفاق البعيدة، حتَّى أهل خوارَزْمَ الذين هم معتزلة مع شِدَّته في الحَنْبَلِيَّة. (الصالحي، 744هـ، طبقات علماء الحديث، ج4، ص.103)

وقد أثنى عليه العلماء بحسن الخلق، ورزقه الله القبول في الأرض، وأحبه الناس بما في ذلك مخالفوه، وعرف باتباعه للسّنة والتّمسّك بها، وكان شديد المبالغة فيها، قال الصالحي (744هـ):

> كان حَسَنَ الصَّلاة، لم أر أحدًا من مشايخنا أحسنَ صلاةً منه، وكان متشدّدًا في أمر الطَّهَارة؛ لا يدع أحدًا يَمَسُّ مَدَاسه، وكانت ثيابه قِصَارًا وأكمامه قِصارًا، وعِمامته نحو سبعة أذرع. وكانت السُّنَّة شعارَه ودثارَه اعتقادًا وفِعلًا، بإذ إنه كان إذا دخل مجلسه رجلٌ فقدَّم رِجْلَه اليُسرى كلَّفه

أن يرجِعَ فيقدِّم اليُمْنى، ولا يَمَسّ الأجزاء الأعلى [إلا على] طهارة، ولا يدْعُ شيئًا قط إلَّا مستقبلَ القبلة تعظيمًا لها. إلى أن قال: سمعت من أثقُ به يحدث عن عبد الغافر بن إسماعيل الفَارسي أنَّه قال في الحافظ أبي العلاء لَمَّا دخل نَيسَابور: ما دخل نيسابور مِثْلُك. وسمِعْتُ الحافظ أبا القاسم عليَّ بنَ الحسن يقول –وذكر رجلًا من أصحابه رَحَلَ–: إنْ رَجَعَ ولم يلقَ الحافظَ أبا العلاء ضاعتْ رِحْلَتُه. (744هـ، طبقات علماء الحديث، ج4، ص.101–104)، وينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (748هـ)، ج21، ص.42–44.

وكان هذا غيضا من فيض، إذ إن سيرته مليئة بالفخر والاعتزاز، وقد شهد له خلق كثير بغزارة علمه، وقوّة حفظه، حتى صار إماما يحتذى به، ونبراسا منيرا لطلّاب العلم في زمانه، تضرب إليه أكباد الإبل، فكان بذلك القدوة الحسنة، والنّموذج الأمثل لمن بعده.

وفاته

اتفق معظم أهل السّيّر والتّراجم على سنة وفاة العلامة البحر الفهامة أبي العلاء الحسن بن أحمد العطار كانت: "سنة تسع وستين وخمس مئة" (الجوزي،597هـ، مناقب الإمام أحمد، ص.708)، (الصالحي، 744هـ، طبقات علماء الحديث، ج4، ص.104)، (الذهبي، 748هـ، سير أعلام النبلاء، ج21، ص.46)، (أحمد، 945هـ، طبقات المفسرين، ج1، ص.134). غير أنّ الحموي (626هـ) قال: إنّها كانت "قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى عام سبعة وستين وخمسمائة" (معجم الأدباء ج2، ص.840).

رحل العطار عن الدنيا الفانية، وبقي أثره منشودا للعالم، وذلك بعد جهد جهيد، وتحصيل وفير، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الجزاء الأوفى عن خدمته للإسلام والمسلمين، وما قدّمه للعلم والعلماء.

2.1: أهمية كتاب "التمهيد" ومنهج المؤلف فيه

1.2.1: أهميّة الكتاب

يعدّ هذا الكتاب من أقدم المراجع في "علم التّجويد"، لما احتواه من مباحث، وقضايا ترتبط بهذا العلم، فما أهميّته؟ وما الإضافة العلميّة التي تميّز بها؟

أهميّته

إنّ المتصفّح لكتاب "التّمهيد في معرفة التّجويد" يرى فيه أصالة المعلومة، ومنهج التّأصيل، والاستنباط، وتنوّع الأساليب، ممّا يجعل القارئ يدمن النظر فيه، ويلجأ إليه، وذلك بسبب سهولة عبارته في الكتابة، وترتيب أفكاره، وتطرقه إلى مباحث تندر في غيره، وكثرة استدلاله بالأحاديث، والآثار، وأقوال أهل العلم، بسنده المتّصل إليهم، واستشهاده بكلام العرب شعره، ونثره، ولا يكتفي بدليل واحد، بل يستفيض في جمع الرّوايات ليعزّز قوّة برهانه، وهذا يدلّ على متانة حفظه، وسعة اطلاعه، وعلى الرّغم من ذلك كلّه، فإنّ كتابه "التّمهيد في معرفة التّجويد" لم يشتهر مثل كثير من مؤلّفات هذا العلم، وربّما يكون ذلك بسبب الوقائع التي حدثت بعد سقوط بغداد، فألحقت ضررا كبيرا بالمؤلّفات، فمنها ما رأى النور، وعُثِرَ عليه، وطُبِعَ، والآخر فُقِدَ، كما قال ابن الجزري (833هـ): "...والظاهر أنه عُدِمَ مع ما عُدِمَ في الوقعات الجنكزخانية والله أعلم" (غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج1، ص.204). ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الإضافات العلميّة، وهذا ما سنتطرّق إليه في الأسطر الآتيّة.

الإضافة العلميّة

يختلف كتاب "التمهيد" عن غيره من كتب "علم التجويد"، بجمع أمور علميّة، لم تجمع في كتاب واحد، وإنما كانت متفرقة كل في فنه، وليست مُضَمّنة ضمن أحكام التجويد وهي كالتالي:

1. توصـيّة أهل القرآن بعدم أكل الحرام، وهذا غالبا لا يدرج في كتب التّجويد، بل تجده في كتب الفقه التي تدرس الأحكام الشّرعيّة (الواجب، والحرام، والمندوب، والمكروه، والمباح) وفي كتب الحديث المتعلّقة بالآداب الشـرعية لقارئ القرآن بالابتعاد عن أكل الحرام، واجتناب مسـبّباته، وتُعدّ من الإضافات القيّمة للكتاب.
2. تحدّث العطار (569هـ) في هذا الكتاب عن بعض القضايا الصّوتيّة مثل: مصطلح "التّغنّي" الذي ذكر فيه حده المحمود، والمذموم، وردّ كلّ واحد منهما إلى أصـله، بالاعتماد على أدلّة، وآثار، تؤصّـل لهما، وهذا يدلّ على طريقته في المقارنة بين الأدلّة، وتمكّنه من الاسـتنباط، والترجيح، وهذا المصطلح قل أن يجمع في كتاب من كتب أحكام التجويد مثل كتاب: "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، و"التحديد، في الإتقان والتجويد".
3. العناية بالأحاديث النّبويّة الشّـريفة، باسـتعماله طريقة المحدّثين، حيث يذكر متنًا واحدًا للحديث، أو أثرًا بأسانيد، وروايات متعدّدة، وهذا يدلّ على حرصه في تتبّع المرويّات بأسانيده عن مشايخه، وهذه إضافة ميّزته من غيره من المؤلّفين في هذا العلم.
4. إذا كان "علم التّجويد" يعتني بمخارج الحروف، وصـفاتها، ويجنّب القارئ الزّلل في الأداء الصّـوتيّ للتّلاوة، فإنّ الإعراب يقي لسانه اللحن في أواخر الكلمات، لذا أفرد العطار له بابا، يحثّ فيه قرّاء القرآن على إتقان الإعراب، وهذا نادر في كتب "علم التّجويد"، فقد جمع بينهما ليستقيم كلامه، ويحسن تجويده، وهذا غاية الكمال، والجمال.

5. وممّا يمتاز به هذا الكتاب، ظاهرة التّبيين التي تعدّ من الظواهر الصّـــوتيّة للحروف بإظهار كلّ حرف عند النّطق به، خشـــية الاختلاس، أو الإدغام، أو الإخفاء، أو تولّد حرف من الحركات، وقسّـــمها إلى ثلاث مجموعات: حروف المدّ واللين، وحروف الحلق، وما عداهما من ســائر الحروف. وخلاصــة القول إنّ كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" من الكتب القيّمة التي لم تأخذ حقّها من البحث والدّراســـة، والسّـــبب في ذلك عدم شـــهرته بين طلاب "علم التّجويد"، ويحتوي الكتاب على قضـــايا متفرّقة في علوم القرآن، واللغة، والحديث الشـــريف، والفقه، وهذا يبرز شـــخصـــيّة المؤلّف في تمكّنه، وأهليّته العلميّة، وقوّة اســـتحضـــاره للأدلة، واستنباطه منها، في المكان المناسب لها، مع تبسيط العبارة، وجودتها، مما سهّل على القارئ استيعابها.

2.2.1: منهج المؤلف

تعدّدت مناهج المؤلّفين في الكتابة، فمنهم من غلب عليه منهج الاستنباط، ومنهم من غلّب منهج الاستقراء، ومنهم من جمع بينهما، بحسب ما تقتضيه الحاجة العلميّة، وللكتابة أضرب، فمنها الأدبيّة ولها طريقة ومنهج مختلف في كتابتها، ومنها التّأصيليّة العلميّة التي تحتاج إلى الدّقة، وقوّة الاستنباط، وغيرهما، والكتابة في العلوم الشّرعيّة قديما يغلب عليها الجانب التّأصيليّ، حيث تختلف تماما عن المنهج الأدبيّ الذي يغلب عليه الوصف والإنشاء.

وبدراستنا لكتاب "التّمهيد في معرفة التجويد" للعطار (569هـ)، وتتبّع محتوياته، تبيّن لنا طريقة جمعه للنّصوص، وترتيبه لها حسب الأولويّة، وعلاقة بعضها ببعض، وكيفيّة ربطه لها، وهذا ما سنفصّله في الأسطر الآتيّة.

سوف أعتمد، في دراستي للكتاب، على نسخة مكتبة دار عمار التي حقّقها الدكتور: غانم قدّوري الحمد، وهي تقع في ثلاثمائة وتسع عشرة ورقة، بما في ذلك مقدّمة المحقّق.

استهلّ العطار كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" بمقدمة قاربت ثلثه، خصّص الصفحة الأولى لبيان السبب الذي دفعه إلى تأليف الكتاب، وأنّه سيذكر: "جملا في تحقيق القراءة وترتيلها، وتجويد التّلاوة وترسيلها، على ما ورد عن النبي ﷺ وصحابته الأبرار، والتابعين وأتباعهم المصطفيْن الأخيار" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.51). وذكر أدلّة مفصّلة لكلّ مبحث من مباحث الكتاب مثل: فضل إتقان العمل، والتّرتيل، والنهي عن أكل الحرام، وعن اللّغو في الكلام، وعن السّعي في الإثم، إلى غير ذلك، باستشهادات تلائم كلّ مبحث، وجاءت أبواب الكتاب على هذا النّحو:

1. باب: في تفسير الآيات التي مضت في صدر الكتاب.
2. باب: في فضل القراء الماهرين الحادرين منهم، والمحقّقين.
3. باب: في ثواب أهل التّرتيل، وما أعدّه الله لهم من الكرامة، والتّفضيل.
4. باب: في وصف قراءة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم.
5. باب: في وصف قراءة القرّاء العشرة.
6. باب: في حثّ قرّاء الكتاب على الاجتهاد في طلب الإعراب.
7. باب: في القول على الإعراب.
8. باب: في معرفة مخارج الحروف، ومدارجها.
9. باب: في كيفيّة التّلفّظ بها.
10. في الحروف الآتيّة في فواتح السُّور.

الباب الأوّل: ذكر فيه العطار (569هـ) ما رواه في قوله تعالى: وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلا [الفرقان: 32]، سواء كان حديثا عن رسول الله ﷺ، أو حديثا موقوفا على الصّحابة –رضي الله عنهم–، أو أثرا عن التّابعين، أو تابعي التّابعين. مثال ذلك ما رواه العطار (569هـ) بسنده إلى:

ابن عباس قال: قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–: يا ابن عباس، إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلا، فقلت: يا رسول الله، وما التّرتيل؟ قال: بَيِّنْهُ تَبْيينا، لا تَنْثُرْهُ نَثْرَ الدَّقَل، ولا تهُذَّهُ هذَّ الشِّعْر، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوبَ، ولا يكونَنَّ هَمُّ أحدكم آخِرَ السّورة. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.140)

وتابع العطار (569هـ) في تكرار رواياته المختلفة لهذا الحديث، وألفاظه المتعدّدة، حتى انتهى إلى أتباع التّابعين. ثم انتقل إلى ذكر مروياته: "في قوله: وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا [المزمل: 4]... بَيِّنْهُ تبيينا... التّرتيل التّرسّل... إياكم والذين يُحرّفون القرآن، الهذّاذين الذي [الذين] يَهذُّون القرآن، يسرعون في قراءته" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.146–147). وذكر: "ما جاء في قوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ [القيامة: 16]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.147). وقد روى فيها ثلاثة أحاديث، واستأنف الحديث: ب"ما جاء في قوله: وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْث [الإسراء: 106]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.148). وختم العطار (569هـ) هذا الباب بما رواه في هذه الآية الكريمة.

الباب الثّاني: يروي العطار (569هـ) فيه حديثا واحدا بثلاث روايات: "في فضل القرّاء الماهرين الحادرين منهم، والمحقّقين... عن النبي ﷺ قال: الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن يَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقّ، فله أجران" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.151). فكان هذا الباب في صفحة واحدة، بينما الباب الذي قبله كان في اثنتي عشرة صفحة.

الباب الثّالث: يتحدّث العطار (569هـ) فيه عن: "ثواب أهل التّرتيل وما أعدّه الله تعالى لهم من الكرامة والتّفضيل... عن النبي ﷺ قال: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإنّ منزلك عند آخر آية تقرؤها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.153). وطريقة العطار (569هـ)

في هذا الباب تكرار حديث صعود قارئ القرآن في درجات الجنة، وأنه بحسب تلاوته له في الدنيا، وهذا الحديث يرويه العطار (569هـ) تارة بمتن قصير، وتارة أخرى بمتن طويل، وعدد صفحات هذا الباب خمس صفحات.

الباب الرّابع: عقد العطار (569هـ) هذا الباب لوصف قراءة رسول الله ﷺ فقال: "اعلم أنّ قراءة رسول الله ﷺ وردت بثلاثة أوصاف: أحدها: المدّ والتّحقيق بغير ترجيع. والثّاني: الترديد والترجيع. والثّالث: القراءة حرفا حرفا/69 و/وآية آية، بترسُّل وترتيل وتقطيع" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.159). وسرد العطار (569هـ) أسماء الصّحابة –رضي الله عنهم– الذين روى عنهم أوصاف قراءة رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى وصف رابع يضعّفه، وهو قراءة الزمزمة. وقد أورد أيضا في هذا الباب أحاديث يرويها في حُسْن صوت النبي ﷺ، وختمه بتعريفات لبعض المصطلحات بقوله: "القول على معاني 'الحدر' و'التّحقيق' و'التّرديد' و'التّرجيع' و'التّرسّل' و'التّقطيع'" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.185). ويبيّن في هذا الباب رواياته لكل وصف من أوصاف القراءة، وقد جاء الباب في ثمان وعشرين صفحة.

الباب الخامس: خصّص العطار (569هـ) هذا الباب لوصف قراءة القُرَّاء العشرة، فرتبهم بحسب اتفاقهم في الوصف الواحد على هذا النحو:

1. وصف قراءة أبي جعفر، ونافع.
2. وصف قراءة ابن كثير.
3. وصف قراءة ابن عامر.
4. وصف قراءة أبي عمرو، ويعقوب.
5. وصف قراءة عاصم.
6. وصف قراءة حمزة.

7. وصف قراءة الكسائيّ، وخلف.

ويروي لكلّ واحد من هذه الأوصاف رواياته فيه، وبعد انتهائه من سرد الأوصاف وأدلّتها، قال:

> فاعلم أنّ هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول إلى ضربين: أحدهما التّحقيق والآخر الحدر. وإنّما يُحْمَدُ هذان الضّربان إذا صحبهما التجويد. وأحقّ النّاس بالتّجويد من راعاه في الحدر، وذاك أنّ من حقّق في الحدر كمن أخفّ الصّلاة في تمام، وكان رسول الله ﷺ مِن أَخَفِّ الناس في تمام.
>
> (التمهيد في معرفة التجويد، ص.188)

وختم العطار (569هـ) هذا الباب بوصايا لمن أراد حسن الأداء، وكذلك ما سيذكره في الأبواب الموالية مثل: إتقان اللغة العربيّة، ووجوه القراءات، ورواياتها، وما رواه فيها. ويتّضح في هذا الباب أنّه يذكر أسانيده في وصف قراءة القرّاء، ويعطي نصائح، وتوجيهات لطلاب القراءات تنير لهم طريق إتقان التّلاوة وتجويدها. وعدد صفحات هذا الباب ثلاث صفحات ونصف.

الباب السّادس: حثّ العطار (569هـ) فيه القرّاء على معرفة الإعراب، مستدلا بأحاديث، وآثار ترغِّب في إعراب القرآن، وتحذّر من اللحن فيه كقوله ﷺ: "من قرأ القرآن فأعربه كُلَّه كان له بكلّ حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضا ولَحَنَ في بعض كان له بكلّ حرفٍ عشرون حسنةً، ومن لم يُعْرِبْ منه شيئا كان له بكلّ حرفٍ عشر حسنات" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 191). وكرّر هذا الحديث بعدّة ألفاظ تأمر بإعراب القرآن، وتحذّر من اللّحن فيه، وذكر آثارا عن الصحابة – رضي الله عنهم– في ذلك، بدأ بأبي بكر الصّدّيق، وعمر، وشمل من ذكرهم: عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وجندب بن جنادة، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وبريدة بن الحصيب، وعائشة الصّدّيقة –رضي الله عنهم–، وأورد مروياته: "عن التابعين وأتباعهم من

علماء المسلمين"، وقسّمهم على المدن، كمكّة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة، وواسط، وختم الباب بنوادر من اللّحن كقوله: "قال مسلمة بن عبد الملك لرجل يقال له عُرْيَانُ: كم عطاؤُك، يا عُرْيَان؟ قال: ألفان. قال: كم عطاءَك؟ قال: ألفين. قال: لَحَنْتَ، ويْحَكَ، يا عُرْيَانُ! قال: لَحَنَ الأميرُ _أَصْلَحَهُ الله_ فَلَحَنْتُ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 228). وقد أطال العطار (569هـ) في هذا الباب، حتى بلغت صفحاته إحدى وأربعين صفحة.

الباب السابع: تكلّم العطار (569هـ) فيه عن مجموعة من العناوين.

أوّلًا: حدّ الإعراب، وأنّ محلَّه الحرف الأخير من الكلمة، وأنّ موضوعه إظهار معاني الألفاظ، وأنّ معنى أصله البيان، وذكر أسماء القبائل العربيّة السبعة، والفرق بين العربيّ والأعرابيّ، ومشتقات "ع ر ب"، ومدلولاتها، حتى ختم مادّتها بقوله: "استبان لك أنّ الإعراب هو الإبانة، وأنّه إنّما دخل الكلام ليفصل بين المعاني، وأنّ اختلافه بحسب اختلافها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 236).

ثانيًا: تناول اللَّحَنَ الجليّ، والخفيّ، وأوضح أنّ اللحن الجليّ هو: "تصحيف الحروف، وتغيير الحركات والسكون" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 237)، وما أشبه ذلك. واللحن الخفيّ لا يعرفه إلّا علماء القراءة: "ولا تُعرفُ كيفيّتُه ولا تدرك حقيقته إلّا بالمشافهة... وذلك نحو: مقادير المدّات، وحدود الممالات والمُلْطَفات والمشبعات والمختلسات..." (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 237). وهذا هو الضرب الأوّل من ضربي اللحن الخفيّ، والضرب الثّاني يتعلّق بالخط، وتُمْكِن معرفته: "بالشّكل والنقط، ويحتاج مبتغيه أوّلًا إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 272). وروى العطار (569هـ) فيه أحاديث مثل: "استقرئوا القرآن من أربعة" وكذلك: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 240).

ثالثًا: ذكر العطار (569هـ) روايات لأخبار الصَّحفيّينَ ونوادر المُصحِّفين، مثل قوله: "لا تأخذوا القرآن على المُصَحفيّين [المصحفين]، ولا تأخذوا العلم من الصَّحفِيّين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.

246). ومثّل العطار (569هـ) للتصحيف بأمثلة منها: "أنّ حمادا الراويّة قرأ: والغاديات صبحا، بالغين المعجمة وبالصّاد، فسُعِي به إلى عقبة بن سَلْمِ بنِ قتيبة، فامتحنه بالقراءة في المصحف، فصحّف في آيات عديدة، فقرأ: ومن الشجر وما يغرسون" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 252). فالصّحيح: يعْرِشُون.

رابعًا: بيّن العطار (569هـ) أهميّة السند المتّصل بسنده إلى: "عبد الله بن المبارك يقول: طلب الإسناد المتّصل من الدّين... [و]مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السّطح بلا سلّم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 270–271). وواصل حديثه عن أهميّة السند حتى ختم كلامه، وقد كان في أربعين صفحة.

الباب الثّامن: أكّد العطار (569هـ) فيه على بعض الأصول التي ينبغي للقارئ معرفتها وهي كالآتي:

1. نوّه بشرف هذا الباب، وأهميّته في تلاوة القرآن، لأن الحروف هي أصل الكلام، ويتألّف منها، وأصولها تسعة وعشرون حرفا.
2. ذكر الحروف الفرعيّة وهي أربعة عشر حرفا، منها ستّة مستحسنة، والباقي مستقبح لا تجوز به قراءة القرآن ولا فصيح الكلام.
3. تناول مخارج الحروف الستّة عشر، وأحيازها الثمانيّة، وأجناسها السّتّة عشر أو السّبعة عشر على خلاف بين أهل العلم. ولم تتجاوز صفحاته إحدى عشرة صفحة.

الباب التّاسع: قسّم العطار (569هـ) هذا الباب على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: بحث فيه أحكام حروف المدّ واللّين، ووضع فيه سبعة فصول.
- القسم الثّاني: خصّصه لبحث أحكام حروف الحلق.
- القسم الثالث: تناول فيه أحكام بقيّة الحروف. وكانت صفحاته تسع عشرة صفحة.

الباب العاشر: خصّص العطار (569هـ) هذا الباب لأحكام مدّ الحروف التي تأتي في بداية سوّر القرآن، وهي على هذا النحو:

أوّلًا: أقسام الحروف، حيث قسّمها بقوله: "اعلم أنّ هذه الحروف تنقسم قسمين: أحدهما ثنائي، والثاني ثلاثيّ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.303). والثلاثيّ قسّمه ثلاثة أقسام: القسم الأول لا مدّ فيه، والقسم الثّاني يمدّ مدّا متوسّطا؛ لأن حروفه حروف لين، والقسم الثّالث يمدّ مدّا مشبعا.

ثانيًا: أدرج أسماء السّوّر التي تبدأ بالحروف المقطّعة وهي ثلاثون سورة.

ثالثا: وضع العطار (569هـ) في هذا الباب فصلا لمدّ التقاء الساكنين، وضرب له أمثلة، وختمه بذكر خلاف أهل العلم في مقداره، ورجّح الاقتصاد في مدّه.

وبعد تتبّعنا لأبواب، وفصول كتاب "التمهيد في معرفة التجويد"، وجدناه يبدأ بحكم عامّ، ويتبعه بأدلّة تفصيليّة تربط الفرع بأصله، وهذا ما يسمّى في أبجديات البحث العلميّ بالمنهج التوثيقي، الذي يعتمد على استقراء المادّة العلميّة وجمعها كليًّا، ثم بعد ذلك يستنتج الأفكار أو الفكرة التي يدور حولها الموضوع بتتبع الأحاديث، والآثار، وأقوال الصحابة، والتابعين، وهذا ما عمله العطار في جلّ مباحث هذا الكتاب، وفي بعض الأحيان يأتي بالمنهج التحليلي، حيث يقدّم الجزء على الكلّ، بسرد الشواهد، والأدلّة، وفي الأخير يستنبط منها حكما عاما، كما مرّ معنا آنفا.

3.2.1: قراءة في مقدمة الكتاب

يعدّ كتاب "التمهيد في معرفة التجويد" للعطار (569هـ) من أهمّ المؤلّفات في علم التجويد، وعلوم القرآن، إذ يشتمل على أسس، ومعارف نادرا ما توجد مجتمعة في مرجع واحد، حيث تناول مباحث تخصّ قارئ القرآن، ومقرئه، وكيفيّة التلقّي، والآداب التي يتزيّن بها، ومفهوم التّغنّي، وما يشوبه من شبهات، وذَكَرَ التأصيل المناسب لكلّ فقرة من الفقرات باستشهاده بما جاء في القرآن، واللغة، والحديث، وأقوال بعض السّلف من الصّحابة والتّابعين، وأتباعهم، وهذا ما يجعل هذه المقدّمة

محكمة، ومتقنة في ضبط المفاهيم، والمصطلحات، حيث كشفت الضّبابيّة والغموض، عن بعض متأوّلي عصره لفهم بعض معاني النّصوص.

أولًا: وصف المقدّمة

بدأ العطار(569هـ) مقدمة كتابه "التمهيد في معرفة علم التّجويد" بالبسملة، والحمدلة، وطلب المعونة من الله –عزّ وجل–، والتّوكّل عليه، ثمّ نبّه السّائل على إجابته له بقوله: "اعلم أيها السّائل" (التّمهيد في معرفة التّجويد، ص.51). حيث يرى في نفسه الأهليّة العلميّة الكافيّة للإحاطة بالجواب، وفيه أيضًا إجابته لدعوة السّائل، وهذا من تواضع العلماء. ثمّ عرّج على جواب السّائل بمقدّمة تتجاوز ثمانين صفحة، وصف فيها منهجه؛ بأنه وسط بين الإسهاب والاختصار فقال: "ذكرت من ذلك جملا لا يشوبها الإسهاب والإكثار، ولا يزري بها الإقلال والاختصار" (التّمهيد في معرفة التّجويد، ص.51). ويبرز العطار مكانة التّأليف في مجال علوم القرآن بأنّها: "من أشرف علوم القرآن وأكرمها وأعلاها وألطفها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.51). وتابع بعد ذلك عدم اعتناء بعض العلماء البارزين في عصره بالتّأليف في هذا الفنّ بقوله: "غير أنه مع ذلك غُفْلٌ مَسْهُوٌّ عنه، لاعتياصه على كثير من الأشياخ المبرّزين، فضلا عن الأحداث المبتدئين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.51). ثمّ حثّ القراء على العناية بطلب علوم القرآن والكدّ من أجلها، وإتقانها، والرّحلة في طلبها.

ثانيًا: إتقان العمل

أورد العطّار (569هـ) حديثا بأسانيد مختلفة، وألفاظ مترادفة تحثّ على إتقان العمل وإحكامه: "إنّ الله –عزّ وجل– يحبّ إذا عمل العبد عملا أن يحكمه" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.52). وفي رواية أخرى: "أن يتقنه" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.52). ثمّ ذكر العطار أثرا ينميه إلى أحد أئمّة الأعلام– الشافعي (204هـ) – قوله: "من تعلّم علما فليدقّق فيه لئلا يضيع دقيق

العلم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.53). واستشهد بآيتين من كتاب الله –عزّ وجل– تؤكّدان أهميّة "التّرتيل"، وآيات أخرى، تنهى عن العجلة فيه. واستعمل بيتا من الشّعر يصب في معنى "التّرتيل".

ثالثًا: حفظ الجوارح عن الحرام

بيّن العطار (569هـ) جملة من المنهيات، ينبغي أن يجتنبها كلّ قارئ لكتاب الله –عزّ وجل– بقوله: "ولْيَحْفَظْ قرّاء القرآن أوّلًا بطونهم عن أكل الحرام" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.53). فإنّه على قارئ القرآن أن يحفظ بطنه من أكل الحرام، فلا يأكل إلا الحلال الطّيّب، وكذلك: "ألسنتهم عن لغو الكلام" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.53). أي الكلام الذي لا فائدة فيه، فلا يتكلّم إلّا بالكلام الطّيب الذي فيه مصلحة دنيوية، أو أخروية، وأيضا: "أيديهم عن تناول الحطام" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.53). فلا يكن همه الدّنيا وزينتها، وينسى الآخرة ونعيمها، "وأقدامهم عن السّعي في الآثام" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.53). فلا يسعى إلا لمرضاة الله، وتحقيق مراده. وذكر العطار (569هـ) خمسة أحاديث تؤصّل هذه المعاني.

رابعًا: بعض الآداب لحملة القرآن

عدّد العطار (569هـ) مجموعة أطعمة على القارئ تجنّبها قائلا: "وليجتنبوا أيضا من الحلال ما يكره ريحه، نحو الثّوم والبصل والكرّاث، لأنّ الأفواه طرق القرآن، فينبغي أن تطهّر من الأذى" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.56). وكلها آداب تميّز أهل القرآن عن غيرهم، فمناجاتهم لربهم تحثّهم على التّحلّي بالاعتناء بما يأكلون، ولو كان مباحا، لأنّهم دائمو التّرداد لكلام ربّهم، وفي الحديث: "أنّ رسول الله ﷺ قال: من أكل من هذه الخضراوات: الثّوم، والبصل، والكرّاث، والفجل، فلا يقربنّ مسجدنا، فإنّ الملائكة تتأذّى بما يتأذّى منه بنو آدم" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.57). وفي حديث آخر: "قال: رسول الله ﷺ: طيّبوا أفواهكم، فإنّ أفواهكم طرق القرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.59). ومن الآداب التي ينبغي للقارئ التّحلّي بها،

المواظبة على استعمال السّواك بعد الأكل، وقبل قراءته لكتاب الله –عزّ وجل– لأنّ فمه يلامس فم الملك إذا قرأ القرآن، كما جاء في الحديث: "فإنّه ليس من رجل يقرأ القرآن... إلّا وضع ملكٌ فاه إلى فمه إذا قرأ" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.59). وفي الأثر: "طيّبوا أفواهكم بالسّواك، فإنّها طرق القرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.62). وخلاصة القول إنّ قارئ القرآن عليه أن يَحْمِلَ نفسه على فعل هذه الآداب، تعظيما وتقديسا لكتاب الله –عزّ وجل–، وأن يكون مثالا يحتذى بين النّاس.

خامسًا: معنى التّجويد

أ- تزيين الصّوت بقراءة القرآن

جمع العطار (569هـ) مجموعة من الأحاديث تصبّ في معنى تزيين الصّوت بتلاوة كتاب الله، بأسانيد مختلفة، وطرق متعدّدة، وألفاظ متقاربة، فقد روى طلحة بن نافع (111هـ)، وأبو هريرة (59هـ)، وابن عباس (68هـ)، وعائشة (58هـ)، وغيرهم –رضي الله عنهم– حديث النبي –عليه الصلاة والسّلام–: "زيّنوا القرآن بأصواتكم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.67). وفي هذا الحديث يندب رسول الله ﷺ قرّاء القرآن إلى تحسين وتحبير أصواتهم بكلام ربّهم، لأنّ ذلك يجلب التّأمل والتّدبّر والسّكينة في قلب القارئ، والسّامع، كما في الحديث: "زيّنوا أصواتكم بالقرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.72). ففي الحديثين تقديم وتأخير لكلمة (القرآن– وأصواتكم)، وهذا من قبيل القلب في كلام العرب، والمعنى المقصود أنّ التّزيين يقع في أصوات المقرئين، لا في كلام ربّ العالمين، وجاء في الخبر أنّ: "لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن حسن الصّوت" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.69).

ونستنتج مما سبق أنّ المراد بالتّزيين هو: إعطاء كلّ حرف حقّه ومستحقّه من مخرج وصفات، من غير زيادة ولا نقصان، لئلا يشابه ألحان المطربين، وغناء المغنين، والحفاظ على المبالغة في حسن الصّوت، وجماله.

ب- التّزيين المذموم

ساق العطّار (569هـ) أحاديث، وآثارا، تذمّ تزيين الصّوت الخارج عن سنَنِ القراءة الصحيحة، كقوله ﷺ: "اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحونَ أهل الفسق وأهل الكتابيْن، فإنّه سيجيء من بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرَّهبانيّة والنّوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذي [الذين] يعجبهم شأنهم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.75). وفي الحديث ذمّ صريح لمن يستعمل المقامات الموسيقية، وما يفعله أهل الكتابيْن من الألحان في معابدهم، وكنائسهم، لأنّ قراءة القرآن لها أحكام توقيفيّة منضبطة، لا يمكن الخروج عنها، وقد جاء في الأثر: "عن أنس بن مالك، أنّه سمع رجلًا يقرأُ بهذه الألحان التي أحدث الناس. فأنكر ذلك، ونهى عنه" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.83). وهذا يدلّ على حرص السّلف –رضي الله عنهم، ومنهم العطار– على الوقوف في وجه من أحدث شيئا في قراءة كتاب الله، أو قرأ بغير لحون العرب.

سادسًا: مفهوم التّغنّي

بيّن العطّار (569هـ) معنيين لمفهوم التّغنّي، واستدلّ لكلّ معنى منهما بأحاديث مختلفة في السّند، والمتن، وسنبيّن ذلك، باختصار، فيما يأتي.

❖ التّغنّي بمعنى الاستغناء

ذكر العطار (569هـ) أنّ معنى التّغنّي يقصد به الاستغناء، إذا تعفّف قارئ القرآن عما في أيدي النّاس، ولم تشغله الدّنيا عن الآخرة، سمّي بهذا المعنى: "لقوله عليه السّلام: القرآن غنىً لا غنى دونه، ولا فقر بعده" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.84). وهنا يبرز معنى الاستغناء جليّا في ترك الدّنيا، وزخرفها، وملذّاتها، وأنّ صاحب القرآن يغنيه الله –عزّ وجل– ويجمع له شمله، ويفيض عليه بواسع فضله، ويجود عليه بكرمه. وقد فسّر سفيان بن عيينة (198هـ)، ووكيع بن الجراح (129هـ) قوله ﷺ: "ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.104). أنّه: "يستغني به" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.104).

❖ التّغني بمعنى الغناء

فإذا كان مفهوم التّغنّي بالقرآن له دلالات متعدّدة، سواء في اللّغة والأحاديث والآثار، فإنّ العطار (569هـ) ذكر معنيين: الأوّل: بمعنى التّعفف، والاستغناء، كما مرّ، والثّاني: يراد به الغناء، وهو تجويد وتحسين القارئ صوته عند قراءة القرآن، وممّا استدلّ به على هذا المعنى، قوله ﷺ: "ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.90). وفي رواية أخرى: "وتغنّوا به، فمن لم يتغنّ به فليس منا" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.92). وقوله –عليه الصلاة والسلام–: "ما أذن الله لشيء كأذنه لنبيّ يتغنى بالقرآن يجهر به" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.99). وهذه الأحاديث رويت بطرق مختلفة، وبألفاظ تصبّ في المعنى نفسه الذي هو التّحسين، والتّحبير لكلام ربّ البريّة.

وخلاصة الأمر أنّ كلي معنيي التّغنّي له أصل، قال به جماعة من العلماء، سواء كان ممدودا، أو مقصورا، فالمعنى ظاهر لا لبس فيه، فمن رواه مقصورا فسّره بالاستغناء وهو: الزّهد

في متاع الدّنيا، وزينتها، ومن رواه ممدودا فسّره بتحسين الصّوت، وتجويد الحروف، ومعرفة الوقوف الذي يؤدي إلى استحضار القلب، وخشوعه، وتدبّر آياته.

سابعًا: ما جاء في تلقّي القرآن بالمشافهة

أخبر العطار (569هـ) عن ضرورة أخذ القرآن بالمشافهة والسّماع من الشّيوخ الماهرين في القراءة والإقراء، وهذا لا يأتي براحة الأبدان، والتّقاعس عن الرّكبان، بل يحتاج إلى حزم العنان، وشدّ الرّحال، لطلب العلى، ورفع الهمم، روى العطار بسنده إلى: "عبد الله بن يحي [يحيى] بن أبي كثير اليماميُّ، عن أبيه، قال: ميراث العِلْم خيرٌ من الذّهب والفضّة، والنّفس الصّالحة خيرٌ من اللّؤلؤ، ولا يستطاع العلْم براحة الجسد" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.138). لذا حذّر العطار من ثلّة من المتنطّعين في زمانه الذين لم يتتلمذوا على القراء المبرّزين، واكتفوا بالأخذ من المصحف بقوله: "ألفيت جماعة من المتكلّفين من قرّاء زماننا قد اعتمدوا في حفظ القرآن على المصحف وفي علومه على الصّحف" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.130). فالتّجويد لا يعرف بالتّكلف في إخراج الحروف، ولا تمطيط المدود، ولا تمييل الرّؤوس، بل يعلم بالتّوسّط في الأداء: "وتحقيق التّلاوة وترسيلها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.130). واستدلّ العطار بما رواه بسنده عن: "حسين بن علي الجُعفيّ، قال: سمعت حمزة بن حبيب يقول: إنّما القراءةُ بمنزلة البياض إذا قلَّ كان سُمْرةً، وإذا اشتدّ صار برصًا، ولكن بين ذلك" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.131).

وأخيرا، كانت مقدّمة كتاب "التمهيد في علم التجويد" مفتاحا يتضمّن أغلب الأفكار التي جمعها العطار في أبواب الكتاب، حيث اشتملت على آداب القارئ، وما يحتاجه من محسّنات ظاهرا، وباطنا، وعنايته بالحديث الشّريف، وما جاء عن الصّحابة الكرام من الأخبار الصّحيحة، واستدلاله بكلام العرب لتعزيز استشهاده، وقد تطرّق كذلك لمفاهيم عديدة من بينها "التغني" و"ترتيل

التّلاوة" و"تحقيق القراءة"، وذمّ متنطّعي زمانه في المبالغة والتّكلّف في التّجويد، واكتفائهم بدراسة علم القرآن من المصحف.

نشير إلى أن مقدمة المؤلف تزيد على ثمانين صفحة، وقد اقتصرت منها على هذه النقاط لإعطاء فكرة عما اشتملت عليه.

2. تاريخ علم التجويد

1.2: نشأة علم التجويد

اعتنت الدّراسات اللغويّة، والنّحويّة بعلم الأصوات قديما، وتحدّث المؤلِّفون في كتبهم عن موضوعات تدرس مخارج الحروف، وكيفيّة النّطق بها، ومن أبرز المؤلّفين في هذا الفنّ: الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) في كتابه "العين"، وسيبويه (180هـ) في كتابه "الكتاب"، والمبرّد (285هـ) في كتابه "المقتضب"، ولكنّهم لم يفردوا كتبا مستقلّة بعلم التّجويد، بل كان كلامهم متفرّقا في ثنايا كتبهم، وكان أوّل من ألّف نصّا مستقلّا في هذا العلم، أبو مزاحم الخاقاني (325هـ) عبر قصيدته الرائية، كما ذكر ذلك ابن الجزري (833هـ) في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء" (ج2، ص. 321)، ثم تواصل التّأليف في علم التّجويد إلى عصرنا الحالي.

كان الصّحابة –رضي الله عنهم– يأخذون القرآن مشافهة من رسول الله ﷺ غضّا طريّا كما أنزل، ويعلّمونه لغيرهم، كما قال السخاوي(643هـ):

> كان [نهج] القراء، في الأمر الأول، [أن] يقرأ المعلّم على المتعلّم اقتداءً برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإنه كان يتلو كتاب الله – عز وجل – على الناس كما أمره الله عزَّ وجلَّ، كذلك كان جبريل عليه السلام يعرضه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، كما قال الله

عز وجلَّ: فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ [القيامة: 18]. (جمال القراء وكمال الإقراء، ص.529)

وهذا يبيّن طريقة بداية تلقّي علم التّجويد، حيث عرض الصّحابة –رضي الله عنهم– القرآن على رسول الله ﷺ كما عرضه رسول الله ﷺ على جبريل ﷺ الذي تلقّاه عن رب العزة –جلّ جلاله– . وفي هذه الحقبة لم يكن مصطلح "علم التّجويد" متداولا كغيره من العلوم، إلّا ما رواه ابن الجزري(833هـ) بسنده: "عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: جَوِّدُوا الْقُرْآنَ" (النشر في القراءات العشر، ج1، ص.210). ويعدّ هذا الأثر النواة الأولى لهذا المصطلح، حيث يقول عمر (2003):

> ولسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علمًا مستقلًّا هو "علم التجويد" وكل الذي يعرف عن مراحله الأولى أن أول من استخدام [استخدم] هذه الكلمة في معنى قريب من معانها [معناها] هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: 'جَوِّدُوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات'. والذي يروي البخاري [و]مسلم في شأنه أنه كان يتفنن في تجويد القرآن وترتيله وأن الرسول ﷺ كان يجهش بالبكاء حينما يسمع القرآن بترتيل ابن مسعود. ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره. (ص.95)

ومن خلال ما سبق نستشفّ أنّ مصطلح "التّجويد" ظهر مع الصّحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود (33هـ)، ولم يسبقه أحد لذلك، بل كان من المتقنين لهذا العلم، وإماما يحتذى به، وعلى يديه نشأ علم "التّجويد"، فكان رائده الأوّل، وحامل مشعله، وتفرعت من بعده الكتب، والمؤلّفات.

عرّف أهل اللغة مصطلح "التجويد" بدلالات متعدّدة، منها معنى مادّيٌّ، وثقافيٌّ، فالأول: يستعمل ضدّ الرديء، والآخر: يدلّ على السّخاء، والكرم، وجودة الشيء، كما نصّ ابن منظور (711ه): "جود: الجَيِّد: نَقِيضُ الرَّدِيءِ... وَجَادَ الشيءُ جُودة وجَوْدة أَي صَارَ جيِّدا... وأَجاد: أَتى بالجَيِّد مِنَ الْقَوْلِ أَو الْفِعْلِ... وَرَجُلٌ جَواد: سَخِيٌّ... " (ج3، ص.135، جود). وتدرّج العرب في معاني هذا المصطلح من المادّي إلى الثّقافي بناء على ارتباطه بالحسن، والجودة في الشيء، واستمرّ حتى صار مستعملا عند أهل الاصطلاح، يقول الداني (444ه): "التجويد مصدر جودت الشيء. ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ النهاية في تحسينه" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.70). ويعني ذلك أنّ معنى التّجويد هو المبالغة في الحسن، والجودة في الإتقان للشيء، وعلماء التّجويد ربطوا هذا المعنى بمصطلح "التّجويد"، لأنّ كلام الله –عزّ وجل– تحتاج قراءته العلوّ في الحسن والإتقان. ويروي الداني (444ه) بسنده قائلا: "حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.118).

ونستنتج من هذا النّصّ أنّ ضدّ "التّجويد" هو "اللحن"، والمراد به الخطأ، والزلل في قراءة القرآن، وهو نوعان: جلي، وخفي، فالأوّل: يكون بتغيير حركات الإعراب، والثّاني: يقع باختلاس حقوق الحرف من مخرج، وصفات، وبعد ذكر ابن مجاهد لمصطلح "التجويد"، لم نعثر على استعماله إلّا عند علي بن جعفر بن محمد الرازي (410ه) في كتابه "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي" بقوله: " سألتني، أسعدك الله بطاعته، ووفّقك لمرضاته، أن أصف لك نبذا من 'تجويد' اللفظ بالقرآن" (ص.259). وتبعه مكي بن أبي طالب (437ه) في كتابه "الرّعاية"، والدّاني (444ه) في كتابه "التحديد في الإتقان والتجويد"، وقد دأب علماء التجويد في استعمال هذا

المصطلح في عناوين كتبهم مثل: كتاب التمهيد في معرفة "التجويد" للعطار (569هـ)، وابن الجزري (833هـ) في كتابه التمهيد في "علم التجويد" وهلمّ جرا.

وخلاصة القول، إن العرب عرفوا ما يشبه التجويد قبل نزول القرآن الكريم، في كلامهم وأشعارهم، ونثرهم، وليس التجويد كفن مقنن مضبوط له قواعده الخاصة، وبعد مجيء الإسلام، خاطب العرب بلسانهم، فكانت هذه الفترة تعرف بالتّلقّي، والمشافهة من فم رسول الله ﷺ إلى صحابته الكرام التي تشتمل على الظّواهر الصّوتيّة مثل: الإظهار، والإدغام والإقلاب، والإخفاء، والمدّ، والهمز، والتسهيل، والاختلاس، والغنّة، وغير ذلك، واستمرت هذه المرحلة حتى دوّنت كتب ومؤلّفات تختصّ بعلم التجويد، مثل: قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (325هـ) التي تعدّ أوّل مؤلف مستقل في مسائل هذا العلم، وتوالت بعده الدراسات، والأبحاث في هذا المجال إلى عصرنا الحالي.

2.2:ما ألّف في علم التجويد

ارتبط المسلمون منذ بداية الإسلام إلى يومنا هذا بكتاب الله –عزّ وجل–، أيّما ارتباط، فكان الصّحابة –رضي الله عنهم– يتلقّون كلام ربّهم مشافهة من رسول الله ﷺ، فالواحد منهم يسأل ويبحث عن طريقة تجويد الآية، وتفسيرها، وأين نزلت؟ ومتى نزلت؟ وفيمن نزلت؟ ثم تلاهم التّابعون، وتمسّكوا بمنهجهم من إتقان مخارج الحروف، وإحكامها، وكان من أشهر قراء الصّحابة –رضي الله عنهم–: عبد الله بن مسعود (33هـ)، وسالم مولى أبي حذيفة (12هـ)، ومعاذ بن جبل (18هـ)، وأبيّ بن كعب (33هـ)، واستمرّ الحال على هذه الطريقة، إلى أن جاء القرن الرابع الهجري، فبدأت حركة التأليف في علم التّجويد، فكان: "موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، أبو مزاحم الخاقاني البغدادي... هو أول من صنف في التجويد فيما أعلم وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحها الحافظ أبو عمرو" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص.320–321). ثم توالى التأليف إلى عصرنا الحالي، وسأذكر في هذا الصّدد بعض مصادر علم التجويد بحسب

الأقدميّة، وسأعرض عن ذكر بعض المراجع التي فيها تكرار واجترار لما قبلها، مراعيا في ذلك ذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، وسنة وفاته.

1. "القصيدة الخاقانيّة" لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني (325هـ).

(ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص.321).

2. "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي" "لموسى بن علي بن يوسف بن سنان بن محمد بن موشك2 ضياء الدين الزرزادي3 الشافعي" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص.321).

3. "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، "لمكي بن أبي طالب بن حيوس... بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي (437هـ)" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص.309)

4. "'التحديد، في الإتقان والتجويد' للشيخ أبي عمرو: عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (444هـ)" (خليفة، 1067هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، ص.355).

5. "'الموضح في التجويد' لعبد الوهاب بن محمد القرطبي (461هـ)" (القضاة، وآخرون،2001م، مقدمات في علم القراءات، ص.187).

6. "البيان عن تلاوة القرآن" للشيخ: "يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (463هـ)" (الحَمِيدي، 488هـ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص.367-368).

7. "التجويد، والمدخل إلى العلم بالتحديد"، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (463هـ)" (الحَمِيدي، 488هـ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص.367-368).

8. "بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء" "للحسن بْن أَحْمَدَ بْن عَبْدِ اللَّهِ المعروف بابْن البنا (491هـ)" (ابن رجب، 526هـ، طبقات الحنابلة، ج2، ص.243).

9. "نِهَايَةُ الْإِتْقَانِ فِي تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ" "أبو الْحَسَنِ شُرَيْحُ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَيْحٍ (539هـ)" (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.203).

10. "التجريد في التجويد" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص.24).

11. "الإنباء في تجويد القرآن: لابن الطحان الأندلسي (ت بعد 560 هـ)" (القضاة، وآخرون، 2001، مقدمات في علم القراءات، ص.178).

12. "التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (569هـ)" (القضاة، وآخرون، 2001، مقدمات في علم القراءات، ص.187).

13. "التبيين في شرح النون والتنوين"

14. "الإدغام الكبير مع علله" صنّفهما: "محمد بن حامد بن محمد أبو بكر الأصبهاني" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص.114).

15. "تبذة المريد في علم التجويد" صنّفه: "فخر الدين أبو المعالي محمد... بن أبي الفرج بن [أبي المعالي] معالي ابن [بن] بركة الموصلي" (ابن الفوطي، 723هـ، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج3، ص.166).

16. "الدر المكللة في الفرق بين الحروف المشكلة" صنّفه: "أبو عبد الله محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي (646هـ)" (الحمد، 2007، الدراسات الصوتية، ص.30).

17. "الترشيد" صنّفه: "الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص الأستاذ المجود أبو علي الحياني... الأندلسي الفهري المعروف بابن الناظر (679هـ)" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص.242).

18. "الدر النضيد في التجويد" صنّفه: "أحمد بن عبد الله بن الزبير أبي العباس الخابوري الحلبي الشافعي (690هـ)" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص.73).

19. "ميزَان الوفي فِي معرفَة اللّحن الخفي" صنّفه: "عبد الْعَزِيز بن احْمَد بن سعيد بن عبد الله الشَّافِعِي عز الدَّين أَبُو مُحَمَّد الدَّمِيرِيّ المصري الْمَعْرُوف بالديريني (697هـ)" (باشا، 1399هـ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1، ص.580-581).

20. "بغية المريد في معرفة التجويد" صنّفه: "عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم... الصعيدي" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص.400-401).

21. "البلغة الراجحة في تقويم حروف الفاتحة" صنّفه: "عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم... الصعيدي" (ابن الجزري، 833هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص.400-401).

22. "عقود الجمان في تجويد القرآن" صنّفه: "إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، برهان الدين، الجعبريّ (732هـ)" (المقريزي، 845هـ، المقفى الكبير، ج1، ص.277).

23. " التَّذْكِرَةُ وَالتَّبْصِرَةُ لِمَنْ نَسِيَ تَفْخِيمَ الْأَلِفِ أَوْ أَنْكَرَهُ " صنّفه: "عَبْد اللَّهِ مُحَمَّد بْن بُصْخَانَ (743هـ)" (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.215).

24. أ- "المفيد في شرح عمدة المجيد" صنّفه: "الحسن بن قاسم المرادي (749هـ)" (السخاوي، 643هـ، جمال القراء وكمال الإقراء، ج1، ص.53).

25. ب- "شرح الواضحة في تجويد الفاتحة" (العسس، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ج2، ص.700). للمصنّف السابق.

26. "تحفة الإخوان فيما تصح فيه تلاوة القرآن" صنّفها: "خليل بن عثمان بن عبد الرحمن (801هـ)" (الزكلي،1396هـ، الأعلام، ج2، ص.320).

27. "التمهيد في علم التجويد" صنّفه: "محمد بن محمد ابن [بن] محمد بن الجزري (833هـ)" (القضاة، وآخرون، 2001، مقدمات في علم القراءات، ص.187).

28. "المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، وتعرف بالمقدمة الجزرية" للمصنّف السابق، ولها عدّة شروح. ينظر: (القضاة، وآخرون، 2001، مقدمات في علم القراءات، ص.187).

وهذه أهمّ كتب "علم التجويد" التي كتبها العلماء، من بداية القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر الهجري، وكانت هذه الحقبة أهمّ مراحل التأليف في هذا العلم، رغم تلف بعضها بسبب الحروب، أو بسبب صعوبة الوصول إليها، أو عدم طباعتها، ممّا أدّى إلى فقدان الكثير منها، وعدم الاستفادة منها.

وشهد العصر الحالي العديد من المؤلّفات في علم التّجويد، كدراسة المخطوطات التي لم تطبع، أو طبعت، وكذلك بعض شروح هذه المتون، والمنظومات التجويديّة، وقد أسهم البحث العلمي في الجامعات في تطوير هذا العلم، وعلاقته بعلوم أخرى، كاللغة، وعلم الأصوات الحديث، ممّا تسبّب في كثرة التأليف فيه، بل أجروا عليه دراسات مخبريّة للفحص والتّدقيق.

الفصل الثاني: قضايا اصطلاحية صوتية في علم التجويد

لقد جاء القرآن الكريم فتحا جديدا لا في تاريخ العقيدة الإسلامية فبحسب؛ بل في تاريخ المعرفة الإنسانية كلّها، فهو الذي كرّم العلم والعلماء، وأقسم المولى –عزّ وجل–في محكم آياته بالكتاب المسطور والقلم وما يسطرون، فصار القرآن الكريم أوّل نصّ عربيّ كامل يتّخذ شكل كتاب، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفّان (35هـ) –رضي الله عنه– اختلفت ألسنة المسلمين في قراءته، فظهر "علم التجويد"، الذي يتقاطع مع علم الأصوات الحديث.

هذا العلم الذي سعى من ورائه المُقرئون إلى ترتيل القرآن ترتيلا محكما، وإن تباينت فيه قراءاتهم بين الصحيحة والشاذّة؛ لكنّها اتفقت جميعها في مخارج الحروف وصفاتها، تلك القراءات تعدّ اليوم الوثيقة التاريخية، التي نقلت إلينا بالصّوت والصّورة ليتوارثها القرّاء جيلا عن جيل، ولندرك من خلالها أهمّية دراستها بطريقة علميّة، لا لشيء إلاّ بوصفها السّجل الدّقيق لما كان يجري في كلام العرب القدامى من أمور صوتية ولغويّة.

ولعلّ البحث عن المصطلحات الصّوتيّة في القراءات القرآنية كان دأب العلماء منذ سنين طوال، فهو عمل لا يقلّ شأنا عن تلك الجهود التي بذلت من طرف علماء التّجويد والقراء أنفسهم خدمة للقرآن الكريم، وبلوغ الغاية القصوى في إتقان تلاوته وحفظه وتعليمه لسائر النّاس.

وحسن القراءة، وضبط التّلاوة، وجمال الصّوت، والتغني، كلها أشياء تزيد المتلو حسنا وجمالا وتشد آذان السامعين، والتغني هو واحد من أهم مصطلحات التجويد. ومن المؤكد أن القرآن هو أفضل ما يتغنى به، ولكن هذا التغني له ضوابط وخصوصيات فليس التغني بالقرآن كالتغني بالشعر أو غيره، بل لا بد له من شروط ومنها عدم التلحين أو التكلف فيه، ولكن إذا توفرت شروطه فهو مرغَّب فيه ومطلوب.

ومن المصطلحات الصوتية ذات الأهمية أيضا في علم التجويد مصطلح اللحن؛ لأن صاحبه يقع في الخطأ في القرآن لعدم إتقانه للقراءة، ودراسةُ هذا المصطلح مفيدة حتى يتجنبه القراء ولا يقعوا فيه.

1. التّجويد بين المفهوم والأداء

سعى علماء التّجويد إلى تحرير هذا الفنّ، وتأصيله ليسهل على الدّارس والباحث فهم أغواره، والتّبحّر في أعماقه، ولا ريب أنّ لكلّ علم بابه، وباب علم التّجويد معرفة ماهيّته وأسراره، سواء في اللغة والاصطلاح، وغير ذلك مما سنتناوله بتفصيل في هذا المبحث.

1.1 تعريف التجويد لغة

قال الفراهيدي (170هـ) في معجمه العين: "جاد الشّيء يَجُودُ جَودَةً فهو جيد. وجاد الفرس يجود جُودةً فهو جوادٌ. وجاد الجواد من الناس يَجُودُ جُودًا. وقومٌ أجوادٌ. وجَوَّدَ في عدوِه تجويدا، وعدا عدوا جوادا" (ج6، ص.169، مادة: ج و د). وذكر ابن فارس(395هـ) في معجمه مقاييس اللغة: "(جَوَدَ) الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّسَمُّحُ بِالشَّيْءِ، وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ. يُقَالُ رَجُلٌ جَوَادٌ بَيِّنُ الْجُودِ، وَقَوْمٌ أَجْوَادٌ. وَالْجَوْدُ: الْمَطَرُ الْغَزِيرُ. وَالْجَوَادُ: الْفَرَسُ الذَّرِيعُ وَالسَّرِيعُ، وَالْجَمْعُ جِيَادٌ" (ج1، ص.493، مادة: ج و د). وبين الراغب(502هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن: "الجود: بذل المقتنيات مالا كان أو علما، ويقال: رجل جَوَاد، وفرس جواد، يجود بمدّخر عدوه، والجمع: الجِيَاد" (ص.211، مادة: ج و د). وجاء في لسان العرب: "الجَيِّد: نَقِيضُ الرَّدِيءِ، عَلَى فَيْعِلٍ... وَجَادَ الشيءُ جُودة وجَوْدة أَي صَارَ جيِّدًا، وأَجدت الشيءَ فَجَادَ، والتَّجويد مِثْلُهُ... وَيُقَالُ: هَذَا شَيْءٌ جَيِّدٌ بَيِّن الجُودة والجَوْدة. وَقَدْ جَادَ جَوْدة وأَجاد: أَتى بالجَيِّد مِنَ الْقَوْلِ أَو الْفِعْلِ" (ابن منظور،711هـ، ج3، ص.135، مادة: ج و د).

بناء على النصوص السابقة لجذر "ج و د" يمكننا التمييز بين مستويين دلاليّين لهذا اللفظ:

أ- المعاني المادية

- الإتقان والحسن في الشيء.
- الإسراع والعَدْو عند الفرس.
- المطر الغزير.
- الإنفاق.
- نقيض الرديء.

ب- المعاني المعنوية

- الكرم وكثرة العطاء.
- قَتْلُ العدوّ.
- البذل بغير عوض.
- التحسين والتجويد.
- الجيد في القول والفعل.

يتضح لنا من خلال استعراض هذه المعاني:

- أنّ مادة "ج و د" تنحو في دلالتها، منحى إيجابيا مرتبطا بالبذل، فالأصل الدلاليّ لمشتقّاتها جميعًا واحد، وهو يدل على التحسين والإحكام والإتقان، ويؤكد هذا المعنى على أمور وهي:

-أنّ المعنى المادي لكلمة "التجويد" يرجع إلى الحسن والإتقان في الشيء.

-أنّه عبارة عن نقطة معينة يتفق حولها كثير من الناس، بقطع النظر عن انتماءاتهم واختلافاتهم في مفهوم الكرم والسخاء وكثرة العطاء.

-وأنّه يمثّل الحكمة في القول والفعل، لشموله كل المعاني الجيدة.

تعريف التجويد اصطلاحا

يرتبط المعنى المصطلحي للتجويد بمعناه اللغويّ ارتباطا جليّا، "فتجويد القرآن [في عرف علماء التجويد] هو: إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.70).

نستخلص من هذا التعريف الذي صاغه أبو عمرو الداني (444هـ) وهو من أبرز علماء الفنّ وأقدمهم– نسبيا– أنّ التجويد:

- أداء **صوتيٌّ** حَسَنٌ لألفاظ القرآن الكريم.
- الضابط فيه توفية الحروف حقوقها من حيث مراعاة المخارج ونحوها.
- مَأْتَى الحُسْن فيه يقوم على المزاوجة بين بذل أقصى الجهد سعيا نحو تحقيق ما ينبغي: "إشباع اللفظ، وتمكين النطق"، وعدم تجاوز الحدّ: "من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ...". وقد استنار بجهود الداني (444هـ)، في تعريف التجويد، العلماءُ الذين جاؤوا بعده:

- فسجَّلَ العطّار (569هـ):

> إن تجويد القراءة وتحبيرها هو تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها، وردها إلى أصولها، وإلحاقها بنظائرها، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع، ولا نقصان يفضي إلى التضييع، بل بملاحظة الرفق والسهولة، ومجانبة الشدة والصعوبة، ومتى ما أخل التالي بشيء من وصفها فقد أزالها عن حدها ووصفها. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.62)

ونلحظ في مسلك العطار (569هـ) الميل بمفهوم المصطلح نحو الصناعة التي تقتضي من (المجوِّد):

- "الرفق والسهولة، ومجانبة الشدة والصعوبة".
- الإلحاح على مبدأ تحسين الأداء: "التحبير" و"التصحيح" و"التقويم".

وهذه الصناعة التي غايتها التزيين والتحسين محكومة بقيد التناسب مع الطبيعة المقدسة للقرآن الكريم، المجافية للغلو والتقعير ونحو ذلك، على ما أوضحه العطار (569هـ): "وتزيين القراءة هو: إعطاء الحروف حقوقها على ما بيَّنا من قبل، لا ما أحدثه العمي المقبريون، والغثر الأعجميون، لأن ذلك يفضي إلى تغيير المقاصد والمعاني، ويقرب قراءة الوحي المنزّل من ألحان الأغاني" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.71). وقد استقرّ مصطلح "التجويد" عند المتأخرين على أنه: "إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه – بفتح الحاء – من الصفات" (العسس،2005، ص.45). والمراد بحقه: "الصفة الذاتية الملازمة له التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال كالشدة والرخاوة" (العسس،2005، ص.45). أمّا مستحقه: فهو: "الصفة الناتجة عن صفة أخرى، كالتفخيم: ناتجٌ عن الاستعلاء، والترقيق: ناتجٌ عن الاستفال" (العسس،2005، ص.45).

دراسة صوتية لتعريفات التجويد الاصطلاحية

يمكننا أن نستخلص عدة قضايا صوتية من مجموع التعريفات الاصطلاحية للتجويد، التي تؤكِّد شدّة الصلة بين الصوتيات وعلم التجويد، ومنها على سبيل المثال:

أ) "**المتحرك**": "المحرك من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة فحقه أن يلفظ به مشبعا، ويؤتى بالحركات الثلاث كوامل" (الداني،444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.97). يشير هذا النص إلى الصلة الوطيدة بين علماء التجويد وعلماء الأصوات، فمصطلح "المحرك"

يقصد به المقطع القصير المفتوح الذي يتكون من "صامت" و"صائت" قصير، سواء كان فتحة أو ضمة أو كسرة.

ب) "**المسكّن**": "المسكن من الحروف فحقه أن يخلى من الحركات الثلاث ومن بعضهن، من غير وقفٍ شديدٍ، ولا قطعٍ مسرفٍ عليه سوى احتباس اللسان في موضعه قليلا في حال الوصل" (الداني،444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.97). ويعرّف بشر (1998) السكون بأنه: "عدم الحركة أو هو لا شيء 'صفر' من الناحية النطقية" (ص.203). يعني أنّ الحرف السّاكن خال من حركة الفتح، والكسر، والضّم، وجزئهن الذي هو اختلاسها، مع مراعاة عدم التشدّد في الوقف، ومن غير إسراف في قطع الصّوت، فالوقف الصّحيح هو الذي يحبس فيه اللّسان في مكان الحرف الموقوف عليه مدّة قصيرة أثناء مواصلة القارئ للقراءة.

ت) "**المختلس**": "المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعا يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.97-98). والاختلاس هو ما يعرف في الدّراسات الصّوتيّة باختزال الحركة.

ث) "**المرام**": "المرام حركته من الحروف عند الوقف أو في حال الوصل فحقه أن يضعف الصوت بحركته، أي حركةٍ كانت، ولا يتم النطق بها، فيذهب بذلك معظمها، ويسمع لها صويتٌ خفي، يدركه الأعمى بحاسة سمعه، وهو مع ذلك في الوزن محركٌ" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.98). وصوتيّا يمكن وصفها باختزال مدّتها الزّمنيّة وضعف تردّدها، وشدّتها وهي وسائط فيزيائية تتحقّق بها الحركة.

ج) "**المشم**": "المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومى [يومئ] بالعضو، وهما الشفتان، إلى حركته ليدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى

اللفظ" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.98). ويعنى ذلك صوتيا أنّ إشارة عضو الشّفتين تقوم مقام الصّوت فيتحوّل الصّوت من منطوق إلى مرموز.

ح) "**المهموز**": "المهموز فحقه أن تخرج همزته مع النفس إخراجا سهلا، بغير شدةٍ ولا كلفةٍ ولا عنفٍ ولا صعوبة" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.99). وهو يجيء على ثلاثة أضرب: مهموز الفاء نحو أَخَذَ ومهموز العين نحو سَأَل ومهموز اللام نحو قَرَأ. وقصد هنا أن حكم الهمزة كحكم الحرف الصحيح إلاّ أنها تخفّف وتخرج من دون جهد ولا تكلف.

خ) "**المسهّل**": "الهمزة إذا سهلت وجعلت بين بين، أشير إليها بالصدر، إن كانت مفتوحة، وإن كانت مكسورة، جعلت كالياء المختلسة الكسرة، وإن كانت مضمومةً جعلت كالواو المختلسة الضمة، من غير إشباعٍ" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.99). بين هنا نوعا من أنوع التسهيل وهو تسهيل بين بين: وهو النطق بالهمزة بين الهمزة وبين حرف مد مجانس لحركتها، فإن كانت حركة الهمزة فتحة ينطق بها بين الهمزة والألف، وإن كانت مضمومة ينطق بها بين الهمزة والواو، وإن كانت مكسورة ينطق بها بين الهمزة والياء.

د) "**الممدود**": "الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلفٍ، فالطبيعي حقه أن يؤتى بالألف، والياء، والواو التي هي حروف المد واللين ممكناتٍ على مقدار ما فيهن من المد الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع" (الداني، 444هـ، التحديد في الإتقان والتجويد، ص.100). والطّبيعيّ هو المدّ الذي ليس بعده همز ولا سكون.

نستنتج مما سبق أنّ مفهوم علم التّجويد، سواء في اللغة، أو في الاصطلاح، أو في علم الأصوات الحديث، يدلّ على الإتقان، والإحكام، والحسن، والجمال في القراءة، وكلّها معانٍ تتقارب، وتتلاحم فيما بينها، وبالتالي فإنّ قضايا مفهوم التّجويد شديدة الصّلة بالدّراسات الصوتيّة الحديثة. وسيرد مزيد من التفصيل لهذه القضايا وغيرها في ثنايا البحث لاحقا.

2.1 معنى "التغني" في التجويد

إنّ زينة القراءة، وحلية التّلاوة، وحسن الصّوت، تزيد من جمالية المتلوّ، وأحسن ما يتغنى به كتاب الله –عزّ وجل–، ولأجله أمرنا بالتغني، فما معنى التّغنّي في اللغة والاصطلاح؟ وما حدّه؟ وما المراد به؟

أ– "**التغني**" **لغة:** قال الفراهيدي(170هـ) في معجمه العين: "غني: الغِنَى، مقصور، في المال. واستغنى الرجل: أصاب غِنى. والغُنْيةُ: اسم من الاستغناء، تَغَنَّى على معنى استغنى. والغِناء، ممدود، في الصّوت" (ج4، ص. 450، مادة: غ ن ي). وذكر أبو منصور الأزهري (370هـ)، صاحب كتاب تهذيب اللغة:

> الَّذِي حصَّلناه من حُفاظ اللُّغَة فِي قَوْله ﷺ (كأَذَنِه لنبي يتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) أَنه على معنَيين، على الِاسْتِغْنَاء، وعَلى التطريب، قلت: فَمن ذهب بِهِ إِلَى الِاسْتِغْنَاء فَهُوَ من الْغنى مقصورٌ، وَمن ذهب بِهِ إِلَى التطريب فَهُوَ من الْغناء الصَّوْت مَمْدُود. (ج8، ص.175، مادة: غ ن وايء)

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري (538هـ): "لي عن هذا غنية. وأنا عنه غنيّ... وأغنى فلان في الحرب غناءً حسنا. وأغنى عني فلان غناءً أي كفى في الدفع. وتقول: لأغنينّ عنك مغناه، ولأكفينك ما كفاه... ومنه: "من لم يتغنّ بالقرآن" وغنّاه وتغنى نحو: كلّمه وتكلّم" (ج1، ص. 714، مادة: غ ن ى).

ويلاحظ مما سبق، أنّ مجموع معاني لفظ "**التغني**" ترجع إلى شيئين اثنين أمّا الأول منهما فهو الاستغناء عن الشيء وكفايته، وهو الأصل الدلاليّ في كلمة "**غنى**"، وأمّا الثاني فيستفاد منه

أنّ "التغني" المقصود به التطريب بالصوت وتحسينه، وهذا الأخير هو الذي سنتطرق إليه بالبحث والدراسة، لصلته بموضوع البحث.

ب- "التغني" اصطلاحا: لقد جاء التغني في الاصطلاح لعدة معان تتفق جميعها في تحسين الصوت، قال الروياني (٥٠٢ هـ) في كتابه بحر المذهب: يراد ب"التغني" في القرآن "تحسين الصوت" (ج14، ص.315). وأوضحه العطار (569هـ) بقوله: "إنما المراد به تحسين الصوت والتحزين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.84). وبيّن عثمان (1156هـ) أن: "التَّغَنِّي بِمَعْنَى حُسْنِ الصَّوْتِ بِلَا لَحْنٍ وَلَا زِيَادَةٍ، وَإِسْقَاطِ حَرْفٍ مِنْ الْقُرْآنْ" (ج3، ص.214).

وهكذا نجد أن التغني له ضابطان:

- الحُسْن المقصود به "التحسين". وبذلك يلتقي مع المفهوم الأساسي "التجويد" الذي يمثّل "التحسين" جوهره.
- إضفاء القارئ (الملحِّن) على قراءته طابعا من الحزن المؤثِّر (التحزين)، وهو حزن نابع من الذات في المقام الأول ومتوجِّه إليها، قبل أن يكون موجَّها إلى الآخرين.

وخلاصة القول في "**التغني**" ما ذكره العطار (569هـ) في كتابه: "التمهيد في معرفة التجويد، أنّ: "المراد به الترتيل، وتحسين الصوت، وحفظ الحروف، ومراعاة الوقوف، إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة، مع استشعار الخوف وارتداء الحزن" (ص. 123). وبما ذكره يكون للتغني ضابطان آخران لا ينفصلان عما سبق:

- الأول: الحرص على سلامة الأصوات المؤداة "حفظ الحروف".
- الثاني: احترام العلاقة بين الصوت والتركيب "مراعاة الوقوف".

ج- أهمية "التغني" بالقرآن الكريم

لا شك في أن للقرآن آدابا لقراءته والتغني به، فالتغني سنة رغّب فيها النبي ﷺ كما جاء في الحديث النبوي: "ليس منَّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.86). ليس "**التغني**" بالقرآن معناه أن يتغنى به كغنائه بالشعر، بل معناه تزيين الصوت وتحسينه.

أنواع "التّغنّي"

أ- "التّغنّي" المحمود

يحدثنا العطار (569هـ) بسنده إلى رسول الله ﷺ في فضل التغني المحمود: "اقرؤوا القرآن، بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة والنوح لا يتجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.74). وجاء في كتاب "المعجزة الكبرى القرآن" أنّ "التّغنّي" بالقرآن المحمود هو: "استمتاع المتكلم مما يتكلم به مترنمًا بالنطق، مستحبًّا له مستملحًا، مستطيبًا للكلمات، ذواقًا لها ولمعانيها" (أبو زهرة،1998، ص.426). ويعني ذلك أن يحسّن القارئ صوته بكتاب الله – عزّ وجل–مراعيا لمخارج الحروف وصفاتها، من دونتكلّف في تمطيط المدود، ومن غير مبالغة فيهما، حتى يحصل التّشويق للمتلقّي، من دوناستشعاره بالنّفور.

ب- التغني المذموم

يصف العطار(569هـ) في كتابه: "التمهيد في معرفة التجويد" التغني المذموم، ويحذر من المبالغة فيه قائلا: "لقيت جماعة من المتكلفين من قراء زماننا... المتناهي منهم إذا حرك رأسه، وضيّق عند القراءة أنفاسه، ودرّت أوداجه، واحتدّ مزاجه، وأفرط في الحركات، ورعّد المدات، وغلّظ الرّاءات واللامات، يرى أنه قد بالغ في تجويد القراءة وترتيلها وتحقيق التّلاوة وترسيلها" (ص.130).

وأوضح كذلك عبد الكريم (1100هـ) في كتابه "منار الهدى في بيان الوقف والابتدا" أنّ المرادبـ"التغني" غير الجائز (المذموم) هو: "التغني بالقرآن: أي بالألحان التي تفسد نص القرآن ومخارج حروفه بالتطريب وترجيع الصوت من لحن بالتشديد طرب" (ج1، ص.31). وهذا كلّه يفسد ذوق السّامع باستعمال مقامات، ومؤثّرات موسيقيّة لا تنضبط مع قواعد التّجويد، والأصل في قراءة القرآن أنّها توقيفية، لذا تمنع مبالغة التّطريب فيها، ويستثنى منه تحسين الصّوت وتزيينه شريطة موافقته لأحكام التّجويد.

وبلغة صوتيّة يعدّ هذان الصوتان (اللام، والراء) لكل واحد منهما صورتان تارة يأتي مفخّما، وتارة أخرى مرقّقا، ويطلق عليها مصطلح "الفونيم" و"الألفون". ويعضّد هذا ما جاء في: حديث علماء التجويد عن المحافظة على الحروف "الصوامت" وعن الإفراط في الحركات، وعن تغليظ الراءات واللامات مفهوم (الألفونات) الحديث، والذي يعرف بأنه قرائن صوتية مقيّدة أو حرّة لفونيم واحد، في بيئة نطقية واحدة، تغييرها لا يؤدي إلى تغيّر المعنى، (السعيد، 2015، ص.29).

فإذا كان لكلّ علم من العلوم قواعد وأحكام، فإنّ علم التّجويد له أسس اعتمدها الأوّلون من جيل الصحابة –رضي الله عنهم–حيث تلقّوا هذا العلم مشافهة من رسول الله ﷺ وسار على نهجهم علماء هذه الأمة، فلم يغيّروا، ولم يبدّلوا، بل حافظوا على هذا التّراث، وكتبوا فيه مؤلفات حتى لا يزيغ أحد بعدهم، وأفردوا كتبا تردّ على الشّبه، كشبهة مصطلح "التّغني" الذي دمجوه مع الألحان المطربة، والمقامات الموسيقية، والحق أنّ الأصل في "التّغنّي" الجائز تحسين الصّوت مع مراعاة الأحكام التّجويديّة.

3.1: اللحن الجلي والخفي

يعدّ "اللحن" مصطلحا مهما في علم التجويد وقد اعتنى به العلماء والباحثون قديما وحديثا، ومن الدراسات الحديثة التي اعتنت به ودرسته، دراسة كل من: (لطيفة 2009; عيسى & كابر بن. 2017) وغيرهم. حيث نص لطيفة (2009) على أنّ: "اللّحن من مصطلحات قديمة في الدّرس اللغوي العربيّ ومعناه خطأ في الكلام" (ص.1).

عرّف علماء التجويد في كتبهم اللحن بأنّه الخطأ، وقسموه إلى قسمين هما: "اللحن الجلي" هو ما يرتبط بالنّحو، والصّرف، والتّركيب، كأن يرفع المفعول، وأن ينصب الفاعل. و"اللحن الخفي" وهو ما يقع في مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكام التجويد عموما، كاختلاس حركة الحرف، أو نقص في المدود، أو زيادة فيها، إلى غير ذلك. وسنتطرق إلى معناه في اللغة والاصطلاح وكيف عالج علماء التجويد هذا المصطلح.

أ- تعريف اللحن لغة

لقد عرف العلماء اللحن بتعريفات عديدة تحدد مفهومه وترسم حدوده ومن أهم تلك التعريفات: ما ذكره الفراهيدي (170هـ) في معجمه العين بأنّه: "ما تَلْحَنُ إليه بلسانك، أي: تميل إليه بقولك... واللَّحْنُ والألحان: الضُروب من الأصوات الموضوعة. واللَّحْن: تَرْكُ الصواب في القراءة والنَّشيد، يُخَفَّفُ ويُثَقَّل" (ج3، ص.229-230، مادة: ل ح ن). كما عرّفه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، بقوله هو: "الخطأ في الإعراب. يقال فلان لَحَّانٌ ولَحَّانَةٌ، أي كثير الخطأ... وقد لَحَنَ في قراءته، إذا طرَّب بها وغرَّد. وهو أَلْحَنُ الناس، إذا كان أحسنهم قراءةً أو غناء" (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص. 193). وجاء في لسان العرب لابن منظور (711هـ): "اللَّحْن: مِنَ الأَصوات الْمَصُوغَةِ الْمَوْضُوعَةِ... ولَحَّنَ فِي قِرَاءَتِهِ إِذا غرَّد وطرَّبَ فِيهَا

بأَلْحان... وَهُوَ أَلْحَنُ النَّاسِ إِذا كَانَ أَحسنهم قِرَاءَةً أَو غِنَاءً. واللَّحْنُ...: تركُ الصَّوَابِ فِي الْقِرَاءَةِ وَالنَّشِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ" (ج13، ص.379، مادة: لحن).

نرى مما سبق أنّ للحن معنيين في اللغة، المعنى الأوّل: الخطأ سواء كان في الصرف أو في النحو كرفع المنصوب وجر المرفوع، أو في المعنى كالنطق بالكلمة مقلوبة أو مختلسة في الحروف. والمعنى الآخر: يقصد به من كان صوته حسن القراءة وجيّدها. وربما أطلق العرب اللحَّانَ على أحسن الناس قراءة كإطلاقهم على الأعمى البصير دلالة على تفاؤلهم برجوع بصره إليه يوما ما.

ب- تعريف اللحن الجلي اصطلاحا

ترتبط دارسة علماء التجويد بمعالجة "اللحن" والمبالغة في التحذير منه، حيث قال الداني (444هـ):

> اعلموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكن لفظه، ويوفى حقه من المنزلة التي هو مخصوص بها، على ما حددناه وما نحدده، ولا يبخس شيئا من ذلك، فيتحول عن صورته ويزول عن صيغته، وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الإعراب الذي تتغير فيه الحركات وتنقلب به المعاني. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.118)

ويعرف العطار (569هـ) "اللحن" الجلي في كتابه: "التمهيد في معرفة التجويد" بقوله: "فأما الجلي فهو الظاهر الذي يستوي في معرفته المبتدئ والمنتهي، وهو تصحيف الحروف وتغيير الحركات والسكون وما يجري مجراها" (ص.237). وقد استقر مصطلح "اللحن" عند المتأخرين على أنه: "خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة سواء أخل بالمعنى أم لم يخل، وهذا النوع من

اللحن قد يكون في بنية الكلمة وحروفها التي تتركب منها... وقد يكون في حركات الكلمة سواءً كان ذلك في أولها أو في وسطها، أم في آخرها" (محمد الأمين،2002، ص.61).

ويتبيّن ممّا سبق أنّ "اللّحن" الجليّ يستوي في معرفته العاميّ والعالم، وهو إخلال في بنية الكلمة سواء في الحركات أو في الحروف عموما أو في المعنى.

ج- تعريف "اللّحن الخفي" اصطلاحا

من العلماء الذين عرفوا "اللحن الخفي": السعيدي (410هـ) فاللحن الخفي هو ترك إعطاء الحرف حقه، حيث يقول فيه: "كل حرف حقه، غير زائد فيه ولا ناقص منه، التجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات، وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكّنات... وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها...، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات... وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها" (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، ص.21). ويضيف العطار (569هـ) في تعريفه للحن الخفي أنواعا أخرى، كما جاء في كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" بقوله: "وأما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء... وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات والملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات والخبر والاستفهام والإظهار والإدغام والحذف والإتمام والروم والإشمام" (ص.237). ويعرف عبد الصمد (643هـ) اللحن الخفي بقوله: "والخفي هو ألَّا يوفي الحرف حقه، وأن يقصر في صفته التي هي لَه، أو يزيد على ذلك كالإفراط في التمطيط، والتعسف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات، وفي التشديد" (جمال القراء وكمال الإقراء، ج1، ص.643). ويقصد بذلك أنّ "اللّحن الخفيّ" هو ما قد يقع من القارئ غير المتقن من دون أن ينتبه له لدقته مثل: ألا يتمّ حقّ الحرف في المدّ أو يزيده على حقه إلخ.. من أنواع اللحن الخفي.

نستنتج مما سبق أن المعنيين اللغوي والاصطلاحي للحن متقاربان جدا فيتفقان في الدلالة على الخطإ. وقد حذر علماء التجويد من اللحن لأنه قد يقود إلى إفساد كلام الله –تعالى– وتغيُّر معنى بعض الكلمات، وكذلك تغيُّر الإعراب الذي يتعلق به المعنى، فكلما تغيرت حركة الإعراب تغيرت المعاني وانقلبت. ومنه ما يغير لفظ الكلِم من دونتغيير في المعنى. وهذا كله مذموم. فاللحن مصطلح مهم، تناوله العلماء والباحثون بالبحث والدراسة، ومن بين الأبحاث والدراسات التي تناولته: (سليماني. 2015; العلبي & عدنان 2020).

1.2: الصوامت والصوائت

تمثل "الصوامت" و"الصوائت" جانبا مهمّا من جوانب علم التّجويد. وسنتطرّق في هذا المبحث إلى دراسة أصول الحروف، وتعريف "الصامت" و"الصائت" منها والتعريفات اللغوية والاصطلاحية لهما:

تعريف "الصّامت" لغة

يعرف ابن منظور (711ه) "الصامت" في معجمه لسان العرب بقوله: "صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتا وصُمْتا... وصُمُوتا وصُماتا، وأَصْمَتَ: أَطالَ السكوتَ. والتَّصْميتُ: التَّسْكِيت. والتَّصْميتُ أَيضا: السكوتُ" (ج2، ص.54، مادة: صمت). يعني أن الصمت عدم الصوت نهائيا.

"الصامت" اصطلاحا: عرّف السعران (1997) "الصّامت" بقوله:

> 'الصامت' هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نقطة أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا 'كما في حالة الباء' أو اعتراضا جزئيا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم من دوناحتكاك مسموع 'كما في حالة الثاء والفاء مثلا'. (ص.124)

يشير هذا النّصّ إلى أنّ "الصّامت" ينتج عن حبس كلّي أو جزئيّ للهواء، سواء في ذلك الأصوات المجهورة أو المهموسة، الأصليّة منها أو الفرعيّة.

أصول الحروف: بين العطار (569هـ) أهمية دراسة حروف اللغة العربية بقوله:

> اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة، وذلك أن الحروف أصل الكلام كله، وعليها مدار تأليفه. ثم من يقرأ القرآن، ويتعاطى هذا الشأن، متى ما لم يتقن مخارج الحروف وأجناسها لم يقف على الخلل الواقع فيها، ولم يهتد إلى تجويد القراءة وتهذيبها، وكان كمن قطع تيه... [تيها] بلا دليل، وإصعادَ [وصعِد] قُنَّة نيق... بغير ما سبيل. فإذا عرف الحروف وأتقنها، ولاحظ أجناسها وأحكامها، ثم انضاف إلى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن ويمتزج به، أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.273)

وذكر الفراهيدي (170هـ) في معجم العين صورة الحروف التي تتألّف منها اللّغة العربيّة فقال:

> هي تسعة وعشرون حرفا: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، فهذه الحروف الصحاح، وا يء فهذه تِسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلامِ العربِ. (ج1، ص.58)

وقد اتّفق سيبويه (180هـ) مع الفراهيدي (170هـ) في عدد الحروف، وتبعهم ابن جني (392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب فقال: "اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا. فأولها الألف. وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا

العباس، فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفا، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها" (ج1، ص.55). وكما بيّن بن سواده (465هـ) في كتابه "الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها" عدد حروف المعجم بقوله: "واعلم أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفًا في قول البصريين وقال غيرهم: ثمان وعشرون، ولا خلاف في اللام ألف أنه مركب، والخلاف في الهمزة والألف" (ص.96). وقال الداني (444هـ) في كتابه "التحديد في الإتقان والتجويد" إن عدد حروف المعجم: "تسعةٌ وعشرون حرفا، ولها ستة عشر مخرجا، ومعنى المخرج أنه الموضع الذي ينشأ منه الحرف، وتقرب معرفته أن يسكن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه، ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه" (ص.104). ولقد رأى العطار (569هـ)، أن أصول حروف العربية تبلغ في عددها تسعة وعشرين حرفًا: "هي: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشين، والياء، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.273). ومن ناحية أخرى، يقول السعيد (2015):

> فالأصوات الصامتة (الصوامت) هي كل أصوات اللغة العربية ماعدا الصائتة (الحركات) منها. وعدد الأصوات العربية الصامتة ثمانية وعشرون صوتا، منها ستة وعشرون صوتا صحيحا (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ)، وصوتان شبيهان بالصحيحة (و، ي). (ص.32)

بالإضافة إلى النّصوص السّابقة، نرى أنّ العطار(569هـ) وافق من سبقه من علماء العربية في عدد حروف المعجم، وقد ناقش العطار مخالفي هذا الرأي بقوله:

فأمّا ما ذهب إليه أبو العباس المبرّد... من إخراجه الألف من هذه الجملة، واحتجاجه بأنّ الألف همزة لا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة...، فلعلّه نظر إلى حديثٍ... عن مجاهد، قال: الحروف ثمانية وعشرون حرفا، فما قُطِعَ من اللسان فهو على ما نقص من الحروف. فهذا وإن كان مذهبًا لأبي العباس، مع ما عضّده من الأثر عن مجاهد فإنّه مذهب ضعيف، لأنّ الهمزة قد تسمّى ألفًا، إذ هي في الخط كالألف، ولأنّ الحروف المعجمة في أوّل كل حرف منها لفظه بعينه، ألا ترى أنّك إذا أنطقت [نطقت] ببا تا ثا وما بعدها من الحروف وجدت أوّل كلّ حرف منها ما سمِّي به، وكذلك الألف أوّل حروفها همزة. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.274)

ويفهم من هذا النّصّ أن سبب خلاف القدماء في حرف الهمزة عدم التفريق بين ما هو مخطوط، ومنطوق. وفسّر زاهيد (2005) سبب عدّ علماء العربية القدامى الألف في جملة الحروف الصامتة بقوله:

إن اعتبار الألف من جملة حروف العربية، فيه خلط بين الحروف والحركات؛ لأن الألف لا تكون إلا حركة، لكونها حركة خالصة لا تقوم بوظيفتين كالواو والياء. فالدور الذي تقوم به هو دور الفتحة والضمة والكسرة. وإذا انقلبت همزة، لم تعد حركة بل تصير حرفا. فكان الأولى إسقاطها من جملة نظام الحروف، وعدها ضمن الحركات، ولكن تأثرهم بالخط جعلهم يعدونها حرفا. (ص.68)

وبالإضافة إلى ما قاله زاهيد (2005)، فقد نصّ الرازي (606هـ) على أنّ الحروف تقسم إلى حروف مصوّتة، وغير مصوّتة:

الْحُرُوفُ إِمَّا مُصَوَّتَةٌ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى فِي النَّحْوِ حُرُوفَ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَلَا يُمْكِنُ الِابْتِدَاءُ بِهَا. أَوْ صَامِتَةٌ وَهِيَ مَا عَدَاهَا، أَمَّا الْمُصَوَّتَةُ فَلَا شَكَّ في أَنَّهَا مِنَ الْهَيْئَاتِ الْعَارِضَةِ لِلصَّوْتِ، وَأَمَّا الصَّوَامِتُ فَمِنْهَا مَا لَا يُمْكِنُ تَمْدِيدُهُ كَالْبَاءِ وَالتَّاءِ وَالدَّالِ وَالطَّاءِ، وَهِيَ لَا تُوجَدُ إِلَّا فِي «الْآنِ» الَّذِي هُوَ آخِرُ زَمَانِ حَبْسِ النَّفَسِ وَأَوَّلُ زَمَانِ إِرْسَالِهِ، وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّوْتِ كَالنُّقْطَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَطِّ وَالْآنَ [الْآنِ] بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَانِ، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ لَيْسَتْ بِأَصْوَاتٍ وَلَا عَوَارِضِ أَصْوَاتٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ تَحْدُثُ فِي مَبْدَأِ حُدُوثِ الْأَصْوَاتِ، وَتَسْمِيَتُهَا بِالْحُرُوفِ حَسَنَةٌ لِأَنَّ الْحَرْفَ هُوَ الطَّرَفُ، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ أَطْرَافُ الْأَصْوَاتِ وَمَبَادِيهَا، وَمِنَ الصَّوَامِتِ مَا يُمْكِنُ تَمْدِيدُهَا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ إِن هَذِهِ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا الظَّنُّ الْغَالِبُ أَنَّهَا آنِيَّةُ الْوُجُودِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ كَانَتْ زَمَانِيَّةً بِحَسَبِ الْحِسِّ، مِثْلُ الْحَاءِ وَالْخَاءِ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَنَّ هَذِهِ جَاءَتْ آنِيَّةً مُتَوَالِيَةً كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا آتي [آني] الْوُجُودِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لَكِنَّ الْحِسَّ لَا يَشْعُرُ بِامْتِيَازِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَيَظُنُّهَا حَرْفًا وَاحِدًا زَمَانِيًّا، وَمِنْهَا مَا الظَّنُّ الْغَالِبُ كَوْنُهَا زَمَانِيَّةً فِي الْحَقِيقَةِ كَالسِّينِ وَالشِّينِ، فَإِنَّهَا هَيْئَاتٌ عَارِضَةٌ لِلصَّوْتِ مُسْتَمِرَّةٌ بِاسْتِمْرَارِهِ. (مفاتيح الغيب، ج1، ص.43)

وشرح زاهيد (2005) كيف فرّق نصّ الرازي (606هـ) السابق بين الحروف المصوّتة وغيرها، بقوله:

يميز النص بين المصوتات والصوامت، المصوتات هي الألف والواو والياء، ولا يمكن الابتداء بها، لأن استئناف (Attaque) المقطع في اللغة العربية لا يكون صائتا، أما الحركات عند الفخر الرازي فهي: الفتحة والضمة والكسرة. وقد قسم الصوامت إلى قسمين: ما لا يمكن تمديده، ويعرف في علم الأصوات الحديث بالانفجارية (Explosives). وأصاب الفخر الرازي في وصف خصائصها الأكستيكية في قوله: إنها تنتج في آخر زمان الحبس وأول الإرسال. وهو ما يعرف في علم الأصوات الحديث بالصمت (Silence) والانفجار (Explosion). ويتكون الصوت غير الممتد من صمت يليه انفجار كالتاء مثلا، حيث تظهر في آخر زمان الصمت ومرحلة الانفجار التي تليه. أما الصوامت التي يمكن تمديدها فهي التي تسمى بالاحتكاكية (Fricatives)، ولقد أخطأ الرازي عندما قسمها إلى آنية وزمانية: فالآنية هي الحروف التي لا يمكن تمديدها (الانفجارية). والزمانية هي التي يمكن تمديدها (الاحتكاكية) كالسين. (ص.23)

يشير هذا النّص إلى أنّ الحروف منها "صوائت"، و"صوامت"، و"الصّوائت" نوعان "صوائت" قصيرة (الفتحة، والضّمّة، والكسرة)، وطويلة (الألف، والواو، والياء)، وأنّ "المقطع" في اللغة العربية لا يبدأ بالصّوائت، بل يبدأ بالصّوامت، وهي نوعان انفجارية، واحتكاكيّة، الأولى لا يمكن تمديدها، والأخرى يمكن تمديدها.

الجدول رقم 1 طبيعة أصوات الحروف

الهمزة صوت	حنجري	انفجاري	مجهور	غير مفخم
الألف صوت	صائتي هوائي فموي	أمامي مفتوح	مجهور	غير مستدير
الهاء صوت	حنجري	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
العين صوت	حلقي	احتكاكي	مجهور	غير مفخم
الحاء صوت	حلقي	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
الغين صوت	من أقصى الحنك	احتكاكي	مجهور	غير مفخم
الخاء صوت	من أقصى الحنك	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
القاف صوت	لهوي	انفجاري	مجهور	غير مفخم
الكاف صوت	من أقصى الحنك	انفجاري	مهموس	غير مفخم
الجيم صوت	حنكي	احتكاكي	مجهور	غير مفخم
الشين صوت	حنكي	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
الياء صوت	صامت أو نصف صامت	حنكي	مجهور	غير مفخم
الضاد صوت	لثوي أسناني	انفجاري	مجهور	مفخم
اللام صوت	صوت لثوي	احتكاكي	جانبي	غير مفخم
الراء صوت	لثوي	احتكاكي	مكرر	غير مفخم
النون صوت	صوت لثوي	احتكاكي	أنفي	غير مفخم
الطاء صوت	لثوي أسناني	انفجاري	مهموس	مفخم
الدال صوت	لثوي أسناني	انفجاري	مجهور	غير مفخم
التاء صوت	لثوي أسناني	انفجاري	مهموس	غير مفخم
الصاد صوت	لثوي أسناني	احتكاكي	مهموس	مفخم
الزاي صوت	لثوي أسناني	احتكاكي	مجهور	غير مفخم
السين صوت	لثوي أسناني	احتكاكي	مهموس	غير مفخم

الظاء صوت	بين أسناني	احتكاكي	مجهور	مفخم
الذال صوت	بين أسناني	احتكاكي	مجهور	غير مفخم
الثاء صوت	بين أسناني	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
الفاء صوت	شفتي أسناني	احتكاكي	مهموس	غير مفخم
الباء صوت	شفتاني	انفجاري	مجهور	غير مفخم
الميم صوت	شفتاني	احتكاكي	أنفي	غير مفخم
الواو صوت	صامت أو نصف صامت شفتاني	احتكاكي	مجهور	غير مفخم

(زاهيد، 2021، ص.16).

يتّضح لنا من خلال هذا الجدول أنّ الحروف منها ما هو "صائت" و"صامت" و"نصف صامت"، وأنّ مخارجها عشرة. وسننتقل من "الصوامت" إلى أنصافها.

ب- "أشباه الصوائت"

سنتطرّق هنا إلى "أشباه الصوائت" حيث يعرّفها السّعران (1997) بقوله: "يطلق هذا المصطلح على 'صوائت انزلاقية'... يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين "صائت ضيق"... "كالكسرة مثلا" ثم تنتقل بسرعة إلى "صائت" آخر أشد "بروزًا"...، ولا يدوم وضع 'الصائت' الأول زمنا ملحوظا" (ص.149). وهذا يعني أنّ الحركات القصيرة (الفتحة، والضّمّة، والكسرة) تتحوّل إلى الألف، والواو، والياء إذا زادت مدّتهن.

وأمّا "أشباه الصوائت" فهما حرفان كما أورد السعران (1997):

أ -الواو: تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من "الضمة" "u"، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافا يسيرا فيما بين المتكلمين وبحسب 'الصائت'

التالي. تنضم الشفتان، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان. فالواو "w" شبه صائت مجهور شفوي حنكي – قصي. (ص.150)

يصف السعران (1997) في هذا النّصّ وضعيّة أعضاء النّطق عند التّلفّظ بالضّمة، وأنّ مدّة الواو ضعفا مدّة الضّمّة، فالمتكلّمون يختلفون في نقطة البداية في "الصّائت" الذي يليه اختلافا بسيطا. مثال: (بُ) يختلف الناس في الانتقال من نطقها إلى (بُو)، فالصائت في الأوّل "صائت قصير"، وفي الثّاني انتقلنا إلى "صائت طويل".

ب –الياء: تتكون الياء بأن تأخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة 'i' [تنشأ الياء بأخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة 'i'] ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد 'بروزا'. وهذا الانتقال السريع من الكسرة "i" هو الذي يكون الصامت المعروف بالياء. ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع عاليا تجاه الحنك الصلب ' وسط الحنك' و' تكسر' الشفتان. ويسد الطريق إلى الأنف، بأن يرفع الحنك اللين، ويتذبذب الوتران الصوتيان. فالياء 'y' شبه صائت مجهور مكسور '= غير مضموم' حنكي – وسيط. (السعران، 1997، ص.150)

يشير هذا النّصّ إلى وضعيّة أعضاء النّطق عند حدوث الكسرة، أو الياء، فبمجرّد زيادة مُدّة الكسرة تتولّد الياء، مع ذكر مخرجها وصفاتها.

ج- "صوائت" اللغة العربية

"الصائت" لغة

نستطيع تعريف "الصائت" لغة بما عرفه به ابن منظور (711هـ) في كتابه "لسان العرب" حيث قال: "صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوتا، وأَصاتَ، وصَوَّتَ بِهِ: كلُّه نادَى. وَيُقَالُ: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتا، فَهُوَ مُصَوِّتٌ، وَذَلِكَ إِذا صَوَّت بإِنسانٍ فَدَعَاهُ. وَيُقَالُ: صاتَ يَصُوتُ صَوتا، فَهُوَ صَائِتٌ، مَعْنَاهُ صَائِحٌ. ابْنُ السكين: الصوتُ صوتُ الإِنسان وَغَيْرِهِ. والصائتُ: الصَّائِحُ" (ج2، ص.57، مادة: صوت).

"الصائت" اصطلاحا

عرف السعران (1997) "الصائت" اصطلاحا بأنّه: "الصوت 'المجهور' الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، من دونأن يكون ثمة عائق 'يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما' أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا" (ص.124). يعني أنّ الجهر هو اندفاع الهواء في المجرى من دونحاجز سواء أكان في الحلق، أم الفم، أم الأنف.

"الصوائت" الأصلية في اللغة العربية

ذكر السعران (1997) "الصوائت" الأصلية في اللغة العربية قائلا: "الصوائت العربية الأساسية هي 'الفتحة'، و'الكسرة'، و'الضمة' والألف الممدودة اللينة، أو 'الفتحة الطويلة'، كما 'قال'، والياء الممدودة اللينة، أو 'الكسرة الطويلة'، كما في 'بيع' والواو الممدودة اللينة، أو 'الضمة الطويلة'، كما في 'روح'" (ص153). ويدلّ هذا النّصّ على أنّ مصطلح "الصّوائت" يطلق على الحركات الثلاث (الفتحة – الضّمّة – الكسرة)، والألف، والواو، والياء، وحرفي اللين (الواو–الياء)، وما سوى

ذلك من الحروف يطلق عليه مصطلح "الصّوامت"، علاوة على ما سبق، يعرّف السعيد (2015) (وهو أحد الباحثين في علم الأصوات الحديث) صوت الإنسان، ويشرح وظائف أعضاء نطقه بقوله:

فالصوت الإنساني هواء زفيري يمر عبر مجموعة من أعضاء جسم الإنسان تبدأ بالرئتين وتنتهي بالشفتين...،

الحجاب الحاجز: يقوم بضغط الهواء في الرئتين لخروجه أثناء الزفير.

الرئتان: وهما مصدر الهواء حيث يخرج الهواء إلى القصبة الهوائية.

الحنجرة: حيث يحدث فيها تغيير على سمات الهواء المار مما يؤدي إلى تشكيل الصوت وينتج صوت الهاء وصوت الهمزة...

الأوتار الصوتية: عبارة عن عضلتين مشدودتين من أطرافها في أعلى الحنجرة، ومن خلال فتحها وإغلاقها يصدر الصوت. ولسان المزمار يسمح بمرور الهواء، ويحمي الحنجرة من دخول الأجسام الغربية [الغريبة].

البلعوم: توصل [يوصل] بين الأوتار الصوتية وفتحة الحلق، وفي هذا المجرى يأخذ الصوت سمات جديدة، وينتج صوت الحاء وصوت العين.

اللهاة: تعمل على تشكيل صوت القاف، حيث يعترض [تعترض] طريق الهواء لتعطيه شكلا صوتيا وسمات جديدة.

سقف الحلق الناعم: إذ إنه[إذ إنه] جزء متحرك، فعندما ينزل إلى الأسفل يغلق طريق الهواء ويمنعه من المرور من خلال الفم ويسمح له

بالخروج من الأنف، والعكس صحيح، ويخرج صوت الكاف (ك) وصوت الخاء (خ).

سقف الحلق الصلب: يشكل نقطة التقاء مهمة مع اللسان ليشكل أصواتا جديدة، مثل صوت الجيم (ج) وصوت(speech).

اللثة: نقطة التقاء مع اللسان لتشكيل الأصوات التالية: (ت، ط، ن، ر، س، ص، ل، ش، ج) خفيفة.

الأسنان: وتؤدي دورا مهما في تشكيل الأصوات حيث تعترض طريق الهواء الخارج من الفم، وكذلك تشكل نقطة التقاء مع اللسان مثل الأصوات التالية (ث، ذ، ظ).

الشفتان: نقطة التقاء مع الأسنان لتشكيل الأصوات التالية (م، ب، ف، و).

الأنف: وله دور في تشكيل الأصوات الأنفية مثل (م، ن).

اللسان: هو العضو الأكثر حركة من أعضاء النطق، ويلعب دورا كبيرا في تشكيل كثير من الأصوات.

عضلات الوجه:... تعطي الشكل العام للوجه أثناء الكلام، فتظهر من خلال [خلاله] الفرحة أو الغضب أو الهدوء. (ص.23-24)

تتّضح لنا من خلال ما سبق العلاقة الوطيدة بين علم اللغة، وعلم التّجويد، وعلم الأصوات الحديث في دراسة الحروف بالتفريق بين المصوّت، وغيره، وكذلك دراسة مخارجها، وصفاتها، وهذا ما سنتطرّق إليه في المبحث الموالي.

2.2: مخارج الحروف

أولى علماء التجويد دراسة مخارج الأصوات عناية خاصة، سيما وأن دراستها مرتبطة بحفظ كتاب الله –عز وجل–، وحفظ اللسان من الزّلل، والخطإ، ولتتحقّق بذلك الفصاحة، والبلاغة، ومن أهم الدراسات التجويدية دراسة مخارج الحروف، التي سيدور حولها هذا المبحث.

تعريف "المخرج" لغة: عرّفه حماد (393هـ) بقوله: "خَرَجَ خروجا ومَخْرَجا. وقد يكون المَخْرَجُ موضع الخروج. يقال: خرج مخرجا حسنا، وهذا مَخْرَجُهُ" (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، ص.309، مادة: خرج).

"المخرج" اصطلاحا: عرف الداني (444هـ) المخرج بقوله: "معنى المخرج أنه الموضع الذي ينشأ منه الحرف، وتقرب معرفته أن يسكن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه، ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.104). يبيّن هذا النّصّ أنّ مخرج الحرف هو المكان الذي يحبس فيه الهواء، سواء كان حبسا كليّا، أو جزئيا، ويمكن تحديده بتسكين الحرف، وإدخال همزة الوصل عليه، وبذلك يتّضح مخرج كل حرف.

إذا كان لكلّ حرف مخرج خاص به، ويميّزه عن غيره، وتشترك فيه بعض الحروف، فإنّ علم الأصوات الحديث درسه بطريقة مختلفة، وسنبيّن ذلك فيما يلي.

عدد مخارج الحروف: مخارج الحروف ستة عشر مخرجا عند سيبويه (180هـ)، وابن جني (392هـ)، والقيسي (437هـ) والداني (444هـ)، والعطار (569هـ)، وابن وثيق الأندلسي (654هـ)، وذهب ابن الجزري (833هـ) إلى أنها سبعة عشر مخرجا، وبين الداني (444هـ) تلك المخارج بقوله:

> فللحلق منها ثلاثة مخارج وسبعة أحرف: فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء، فالهمزة في أول الصدر وآخر الحلق. ثم **الألف** تليها، وهي

صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم. ثم **الهاء** فوق **الألف** وهو آخر المخرج الأول. وأوسطها **العين** و**الحاء**؛ لأنهما من وسط الحلق. وأدناها إلى الفم **الغين** و**الخاء**.

وللسان منها عشرة مخارج، وثمانية عشر حرفا، فأقصى اللسان له مخرجان وحرفان، وهما **القاف** و**الكاف**. فا**لقاف** من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك. و**الكاف** من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك مخرجٌ واحدٌ وثلاثة أحرف، وهي: **الجيم** و**الشين** و**الياء**. ولطرف اللسان خمسة مخارج وأحد عشر حرفا: **فالطاء** و**التاء** و**الدال** من مخرج واحد، وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى الحنك. و**الظاء** و**الذال** و**الثاء** من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. و**الصاد** و**الزاي** و**السين** من مخرج واحد، [وهي الفرجة التي] بين طرف اللسان والثنايا العليا. و**النون** من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم، وهي المبينة والمدغمة. و**الراء** من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام. ولحافة اللسان مخرجان وحرفان، وهما **الضاد** و**اللام**. **فالضاد** من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، فبعض الناس يجري له في الشدق الأيمن، وبعضهم يجري له في الشدق الأيسر، ومخرجها من هذا كمخرجها من هذا. و**اللام** من أدنى حافة اللسان إلى ما يليها

من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية. **وللشفة** مخرجان وأربعة أحرفٍ، وهي **الفاء** و**الباء** و**الواو** و**الميم**.

فالفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا. والباء والواو والميم من مخرجٍ واحدٍ، وهو ما بين الشفتين، غير أن الشفتين تنطبقان في **الباء** و**الميم** ولا تنطبقان في **الواو**، بل تنفصلان.

المخرج السادس عشر مخرج **التنوين**، وهو يخرج من الخياشيم خالصا، وكذا مخرج **النون الساكنة المخفاة** عند حروف الفم نحو (منك وعنك) من الخياشيم. فأما **النون المتحركة** فمخرجها من الفم مع صويت من الأنف. وزعم الفراء وقطرب والجرمي وابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجا، فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد، وهو طرف اللسان، وجعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج، على ما بيناه. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.104-106)

وجاء في كتاب "التمهيد في معرفة التجويد": "فأما مخارجها فستة عشر مخرجا: ستة منها حلقية، وأقصاها الهمزة والألف والهاء، ثم من وسط الحلق مخرج العين والحاء، ثم من أعلى الحلق مخرج الغين والخاء" (العطار، 569هـ، ص. 277). ونلاحظ بأن عدد مخارج الحروف عند "العطار (569هـ)" كما عند غيره ستة عشر مخرجًا.

1- مخرج الحلق: وهو مقسم إلى ثلاثة مستويات، وهي كالتالي:

المستوى الأول: أقصى الحلق: وتخرج منه **الهمزة**، و**الألف**، و**الهاء**.

المستوى الثاني: وسط الحلق: وتخرج منه **العين**، و**الحاء**.

المستوى الثالث: أعلى الحلق: وتخرج منه **الغين، والخاء**.

2- اللسان

أقصى اللسان وما فوقه من الحنك مخرج القاف. ثم من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف. ثم من أوسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم، والشين، والياء. ثم من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ويتكلف إخراجها من أحد الشدقين، وهو عَسِرُ المخرج. ثم من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج اللام. ثم من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العلى مخرج النون. ثم الراء كذلك إلا أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافها إلى اللام. ثم طرف اللسان وأصول الثنايا العُلى مخرج الطاء والدال والتاء. ثم مما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين. ثم من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى مخرج الظاء والذال والثاء. (العطار،569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.277-278)

المخرج الثاني: اللسان: نرى أن العطار (569هـ) قسم اللسان على عشرة مخارج، وهي كالتالي:

- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك مخرج **القاف**.
- أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج **الكاف**.
- أوسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج **الجيم**، و**الشين**، و**الياء**.

- حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج **الضاد**، ويتكلف إخراجها من أحد الشدقين، وهو عسر المخرج.
- حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج **اللام**.
- طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العلى مخرج **النون**.
- ثم الراء كذلك إلا أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافها إلى **اللام**.
- ثم طرف اللسان وأصول الثنايا العلى مخرج **الطاء** و**الدال** و**التاء**.
- ثم مما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج **الصاد** و**الزاي** و**السين**.
- ثم من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى مخرج **الظاء** و**الذال** و**الثاء**. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.277-278)

3- **الشفة:** "ثم من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء..." (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.278).

4- **الشفتان:** "ثم مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.278).

5- **الخياشيم:** "ثم من الخياشيم مخرج النون الخفيفة أو الخفية" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.278).

وأما ابن الجزري (833هـ) فقد اختار أن عدد مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا قائلا:

أَمَّا مَخَارِجُ الْحُرُوفِ: فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي عَدَدِهَا فَالصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ مَنْ تَقَدَّمَنَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَمَكِّيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبِي الْقَاسِمِ الْهُذَلِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ وَغَيْرِهِمْ، سَبْعَةَ عَشَرَ مَخْرَجًا، وَهَذَا الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الِاخْتِيَارُ [الاختبار]، وَهُوَ الَّذِي أَثْبَتَهُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي مُؤَلَّفٍ أَفْرَدَهُ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا. (النشر في القراءات العشر، ج1، ص.199)

ثم بدأ ابن الجزري (833هـ) يعدد المخارج وهي كالتالي:

1- الْجَوْفُ - وَهُوَ لِلْأَلِفِ وَالْوَاوِ السَّاكِنَةِ الْمَضْمُومِ مَا قَبْلَهَا وَالْيَاءِ السَّاكِنَةِ الْمَكْسُورِ مَا قَبْلَهَا، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ تُسَمَّى حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَتُسَمَّى الْهَوَائِيَّةَ وَالْجَوْفِيَّةَ... الصَّوَابُ اخْتِصَاصُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالْجَوْفِ دُونَ الْهَمْزَةِ لِأَنَّهُنَّ أَصْوَاتٌ لَا يَعْتَمِدْنَ عَلَى مَكَانٍ حَتَّى يَتَّصِلْنَ بِالْهَوَاءِ بِخِلَافِ الْهَمْزَةِ.

(ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص. 199)

2- "...- أَقْصَى الْحَلْقِ - وَهُوَ لِلْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ. فَقِيلَ: عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقِيلَ: الْهَمْزَةُ أَوَّلُ..."

(ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص. 199).

3- "...- وَسَطُ الْحَلْقِ - وَهُوَ لِلْعَيْنِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، فَنَصَّ مَكِّيٌّ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ الْحَاءِ، وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ، وَنَصَّ شُرَيْحٌ عَلَى أَنَّ الْحَاءَ قَبْلُ، وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ الْمَهْدَوِيِّ وَغَيْرِهِ..."

(ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص. 199).

4- "...- أَدْنَى الْحَلْقِ إِلَى الْفَمِ - وَهُوَ لِلْغَيْنِ وَالْخَاءِ، وَنَصَّ شُرَيْحٌ عَلَى أَنَّ الْغَيْنَ قَبْلُ، وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص. 199).

5- "...- أَقْصَى اللِّسَانِ مِمَّا يَلِي الْحَلْقَ وَمَا فَوْقَهُ مِنَ الْحَنَكِ - وَهُوَ لِلْقَافِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص. 199).

6- "...- أَقْصَى اللِّسَانِ مِنْ أَسْفَلِ مَخْرَجِ الْقَافِ مِنَ اللِّسَانِ قَلِيلًا وَمَا يَلِيهِ مِنَ الْحَنَكِ - وَهُوَ لِلْكَافِ، وَهَذَانِ الْحَرْفَانِ يُقَالُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا لَهَوِيٌّ، نِسْبَةً إِلَى اللَّهَاةِ وَهِيَ بَيْنَ الْفَمِ وَالْحَلْقِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

7- "...- لِلْجِيمِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، وَالْيَاءِ غَيْرِ الْمَدِّيَّةِ - مِنْ وَسَطِ اللِّسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَسَطِ الْحَنَكِ - وَيُقَالُ - إِنَّ الْجِيمَ قَبْلَهَا، وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: إِنَّ الشِّينَ تَلِي الْكَافَ، وَالْجِيمَ وَالْيَاءَ يَلِيَانِ الشِّينَ، وَهَذِهِ هِيَ الْحُرُوفُ الشَّجَرِيَّةُ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

8- "...- لِلضَّادِ الْمُعْجَمَةِ - مِنْ أَوَّلِ حَافَّةِ اللِّسَانِ وَمَا يَلِيهِ مِنَ الْأَضْرَاسِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وَمِنَ الْأَيْمَنِ عِنْدَ الْأَقَلِّ وَكَلَامُ سِيبَوَيْهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَكُونُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

9- "...- اللَّامُ - مِنْ حَافَّةِ اللِّسَانِ مِنْ أَدْنَاهَا إِلَى مُنْتَهَى طَرَفِهِ وَمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَلِيهَا مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى مِمَّا فُوَيْقَ الضَّاحِكِ وَالنَّابِ وَالرَّبَاعِيَةِ وَالثَّنِيَّةِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

10 - "...- لِلنُّونِ - مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فَوْقَ الثَّنَايَا أَسْفَلَ اللَّامِ قَلِيلًا..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

11- "...- لِلرَّاءِ-، وَهُوَ مِنْ مَخْرَجِ النُّونِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فَوْقَ الثَّنَايَا الْعُلْيَا، غَيْرَ أَنَّهَا أَدْخَلُ فِي ظَهْرِ اللِّسَانِ قَلِيلًا، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةَ يُقَالُ لَهَا: الذَّلَقِيَّةِ، نِسْبَةً إِلَى مَوْضِعِ مَخْرَجِهَا، وَهُوَ طَرَفُ اللِّسَانِ. إِذْ طَرَفُ كُلِّ شَيْءٍ ذَلَقُهُ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

12- "...- لِلطَّاءِ وَالدَّالِ وَالتَّاءِ - مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأُصُولِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا مُصْعِدًا إِلَى جِهَةِ الْحَنَكِ، وَيُقَالُ لِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ النَّطْعِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ نَطْعِ الْغَارِ الْأَعْلَى، وَهُوَ سَقْفُهُ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200).

13- "...- لِحُرُوفِ الصَّفِيرِ وَهِيَ الصَّادُ وَالسِّينُ وَالزَّايُ -" مِنْ بَيْنِ طَرَفِ اللِّسَانِ فُوَيْقَ الثَّنَايَا السُّفْلَى"، وَيُقَالُ فِي الزَّايِ زَاءٌ بِالْمَدِّ وَزِيٌّ بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَحْرُفُ هِيَ الْأَسَلِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ أَسَلَةِ اللِّسَانِ، وَهُوَ مُسْتَدَقُّهُ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.200-201).

14- "...- لِلظَّاءِ وَالذَّالِ وَالثَّاءِ - "مِنْ بَيْنِ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا، وَيُقَالُ لَهَا: اللِّثَوِيَّةُ. نِسْبَةً إِلَى اللِّثَةِ، وَهُوَ اللَّحْمُ الْمُرَكَّبُ فِيهِ الْأَسْنَانُ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.201).

15- "...- لِلْفَاءِ - "مِنْ بَاطِنِ الشَّفَةِ السُّفْلَى وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.201).

16- "...- لِلْوَاوِ غَيْرِ الْمَدِّيَّةِ وَالْبَاءِ وَالْمِيمِ -بِمَا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ - فَيَنْطَبِقَانِ عَلَى الْبَاءِ وَالْمِيمِ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْأَحْرُفُ يُقَالُ لَهَا: الشَّفَهِيَّةُ وَالشَّفَوِيَّةُ، نِسْبَةً إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ، وَهُوَ الشَّفَتَانِ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.201).

17- "...- الْخَيْشُومُ -، وَهُوَ لِلْغُنَّةِ وَهِيَ تَكُونُ فِي النُّونِ وَالْمِيمِ السَّاكِنَتَيْنِ حَالَةَ الْإِخْفَاءِ، أَوْ مَا فِي حُكْمِهِ مِنَ الْإِدْغَامِ بِالْغُنَّةِ... وَقَوْلُ سِيبَوَيْهِ: إِنَّ مَخْرَجَ النُّونِ السَّاكِنَةِ مِنْ مَخْرَجِ النُّونِ الْمُتَحَرِّكَةِ، إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ النُّونَ السَّاكِنَةَ الْمُظْهَرَةَ..." (ابن الجزري، 833هـ، النشر في القراءات العشر، ج1، ص.201).

يتّضح لنا مما سبق أن دراسة مخارج الحروف ضرورية؛ لأنها مرتبطة بحفظ كتاب الله. وأن المخرج هو المكان الذي يحدث فيه الحرف، ويُعْرَفُ بتسكينه، وإدخال همزة الوصل عليه، ليتوصل إلى النطق به، فبذلك تتّضح مخارج الحروف. ولعلّ هذا يؤكّد الصّلة القويّة بين علم اللغة، والتجويد، وعلم الأصوات الحديث، ويتبيّن لنا كذلك أنّ أكثر علماء التّجويد اتّبعوا مذهب سيبويه (180هـ) في عدد مخارج الحروف، بينما جمع ابن الجزري (833هـ) بين مذهبي الخليل (170هـ)

وسيبويه، فأضاف مخرج الجوف من مخارج الخليل إلى مخارج سيبويه الستة عشر، وأن القدماء لم يعدوا الحنجرة من مخارج الحروف، وأن وصفهم لمخارج الحروف يبدأ من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتين، عكس علماء الأصوات المحدثين الذين يبدؤون من الشفتين إلى فتحة المزمار، (الحمد 2004).

بعد أن عرّفنا مخارج الحروف عند بعض قدامى علماء اللغة والتجويد، سنتطرّق إليها عند أصحاب علم الأصوات الحديث، فهل يتّفقون مع القدامى؟ أم يختلفون معهم؟

مخارج الحروف عند المحدثين*:

الهمزة: صوت حنجري.

الألف: صوت صائتي هوائي فموي.

الهاء: صوت حنجري.

العين: صوت حلقي.

الحاء: صوت حلقي.

الغين: صوت من أقصى الحنك.

الخاء: صوت من أقصى الحنك.

القاف: صوت لهوي.

الكاف: صوت من أقصى الحنك.

الجيم: صوت حنكي.

الشين: صوت حنكي.

الياء: صوت صامت أو نصف صامت، حنكي.

الضاد: صوت لثوي أسناني.

اللام: صوت لثوي.

الراء : صوت لثوي.

النون: صوت لثوي.

الطاء : صوت لثوي أسناني.

الدال: صوت لثوي أسناني.

التاء : صوت لثوي أسناني.

الصاد: صوت لثوي أسناني.

الزاي: صوت لثوي أسناني.

السين: صوت لثوي أسناني.

الظاء : صوت بين أسناني.

الذال: صوت بين أسناني.

الثاء : صوت بين أسناني.

الفاء : صوت شفتي أسناني.

الباء : صوت شفتاني.

الميم: صوت شفتاني.

الواو: صوت صامت أو نصف صامت شفتاني. (زاهيد،2021)

وبهذا يظهر الخلاف الحاصل بين القدامى والمحدثين في عدد مخارج الحروف، إذ إن القدامى جعلوها ستة عشر، أو سبعة عشر مخرجا، بينما يرى أصحاب علم الأصوات أنّها أحد عشر، أو عشرة، أو تسعة، أو ثمانية مخارج، كما اختلفوا في طريقة تناولهم إياها من حيث البدء، فالمحدثون يبدؤون من الشفتين إلى الحنجرة، (سلطان، 2020، ص.86). بخلاف القدامى فهم يقدّمون

الحلق انتهاء بالشفتين، وبعد هذا سننتقل من مصطلح "المخرج" إلى مصطلح "الحيّز" في المبحث التالي.

3.2: أحياز الحروف

يُشَارُ إلى أنّ هذا المبحث ليس تكرارا لمبحث مخارج الحروف السّابق، مع أنّ الأحياز يراد بها المخارج فإنّ الحيّز قد يتضّمن أكثر من مخرج وسنوضّح المعنى المراد بأحياز الحروف من خلال ما يلي:

تعريف "الحيز" لغة

عرّف الفراهيدي (170هـ) في معجمه العين الحيّز قائلا: "حيز: حَيِّزُ الدار: ما انضمّ إليها من المرافِق والمنافِع. وكلّ ناحيةٍ حَيِّزٌ على حِدَةٍ، بتَشديدِ الياءِ. وجمعُه: أَحْيازٌ... والتّحيّز في الحَرْب: أن ينضمّ قومٌ إلى قومٍ. وانحازوا: تركوا مَرْكَزَهُم ومعركَة قتالِهم، ومالوا إلى موضع آخر" (ج3، ص.275، مادة: ح ي ز). ويقول ابن فارس (395هـ)، في معجمه مقاييس اللغة: "(حَيَزَ) الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالزَّاءُ لَيْسَ أَصْلًا؛ لِأَنَّ يَاءَهُ فِي الْحَقِيقَةِ وَاوٌ. مِنْ ذَلِكَ الْحَيِّزِ النَّاحِيَةُ" (ج2، ص.123، مادة: حيز). ونستخلص من هذا أن "الحيّز" في اللغة يدلّ على معنى الضّمّ والميل والناحية.

"الحيز" اصطلاحا

الحيّز مصطلح صوتيّ يدلّ على مخرج الحرف، وضعه العلماء القدماء، واستعمله الخليل بن أحمد (170هـ)، في معجمه العين، ج1، ص.58. وصار متداولا بين العلماء، وهناك مصطلحات أخرى بهذا المدلول وهي: المخرج، والمبدأ، والمدرج، والمجرى، والمحبس، والمقطع.

ورتب الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) أحياز الحروف على النحو التالي:

أ. "حيز": و، ي، ا، ء.

ب. "حيز": ع، ح، هـ.

ت. "حيز": خ، غ.

ث. "حيز": ق، ك.

ج. "حيز": ج، ش، ض.

ح. "حيز": ص، س، ز.

خ. "حيز": ط، د، ت.

د. "حيز": ظ، ذ، ث.

ذ. "حيز": ر، ل، ن.

ر. "حيز": ف، ب، م، (العين، ج1، ص.58).

وقد اشتق الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) تسعة مخارج للحروف التسعة والعشرين، وهي:

- **الحلقية:** ء، ع، ح، هـ، خ، غ.
- **اللهوية:** ق، ك.
- **الشجرية:** ج، ش، ض.
- **الأسلية:** ص، س، ز.
- **النطعية:** ط، ت، د.
- **اللثوية:** ظ، ذ، ث.
- **الذلقية:** ر، ل، ن.
- **الشفوية:** ف، ب، م.
- **الهوائية أو الجوفية:** ي، و، ا، ء، (العين، ج1، ص.58).

وقد قسم العطار (569هـ) في كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" حروف اللغة العربية التسعة والعشرين: "إلى ثمانية أحواز [أحياز]: حلقية، ولهوية... وشجرية، ومذلقة، وشفوية أو شفهية، ونِطَعِيَّة أو نطعية، وأسَلية، ولِثَوِيَّة" (ص.278).

ثم بدأ العطار (569هـ) يبيّن أحياز الحروف الثّمانيّة وهي كالتالي:

- "**الحلقية** " الحروف الحلقية ذكرت في المبحث السابق.
- "**اللهويّة** حرفان: **القاف** و**الكاف**، سميا بذلك لأنهما من اللهاة، وهي اللحمة المسترخية كالزنمة في أقصى الحلق، تكتنفها النُّغْنُغَة، وهي لحمة في أصل الأذن من باطن، والجمع نغانغ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.278).
- "**الشجرية** ثلاثة أحرف: **الجيم** و**الشين** و**الياء**، غير أن الخليل جعل الضاد مكان الياء، وسمِّيَتْ شجرية لأنها من شجر الفم، وهو مفرجه، قال ذلك الخليل. وقال الأصمعي: الشجْر الذَّقَنُ بعينه، وقال أبو عمرو الشيباني...: الشجر ما بين اللَّحْيَيْن" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.278).
- **المذلقة** نوعان:

  أحدهما بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى...، وهو ثلاثة أحرف: **اللام** و**النون** و**الراء**. والثاني شفَويٌّ أو شفهيٌّ، وهو ثلاثة أحرف: **الفاء** و**الباء** و**الميم**، وسُمِّيَتْ مذلقة لأنها من ذَلَقِ اللسان، وهو حده، لسان ذَلِقٌ طَلِقٌ، وذَليقٌ طليقٌ، وذُلَقٌ طُلَقٌ، أي حادٌّ، ويجمعها قولك: مُرْ بِنَفَل. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279)

- "**النِّطَعيّة أو النَّطْعية** ثلاثة أحرف: **الطاء** و**الدال** و**التاء**، سميت بذلك؛ لأنها من نِطَع الفم أو نطعه، وهو أعلاه" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279).

- "**الأسَلِية** ثلاثة أحرف: **الصاد** و**السين** و**الزاي**، سميت بذلك لأنها... من أسلة اللسان، أي مُسْتَدَقِ طرفه" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279).
- "**اللِّثَوِيَّةُ** ثلاثة أحرف: **الظاء** و**الثاء** و**الذال**، سميت بذلك لأنها من اللِّثَّة...، وهو اللحم الذي فيه منبت الأسنان" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279).
- "**الجوف**" "تمام التسعة والعشرين الألف، والواو، والياء، إذا سكنتا وقبلهما حركتاهما، تسمى جُوفا هوائية، لأنها لا تقع في الأحواز [الأحياز] الثمانية فتنسب إليها، لكنها تخرج من الجوف، فتذهب في هواء الفم، وسماها بعضهم الهاوية... لهُوِيِّها في خرق... الفم" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279).

ومن ناحيّة أخرى، ذكر السعيد (2015) الأصوات الصّامتة وصنّفها على أحد عشر مخرجا قائلا:

1. أصوات شفهية، وهي صوت (ب، م).
2. أصوات شفهية أسنانية، ولا يوجد منها في العربية سوى صوت (ف).
3. أصوات بين أسنانية، وهي صوت (ث، ذ، ظ).
4. أصوات ذلقية لثوية، وهي صوت (ز، س، ص، ر).
5. أصوات ذلقية لثوية أسنانية، وهي صوت (ت، د، ط، ض، ل، ن).
6. أصوات طرفية غارية، وهي صوت (ج، ش).
7. صوت وسطي غاري، وهو صوت (ي) في مثل (يترك، يد) وهو يختلف عن ياء المد في نحو (يزيد) التي تعد صوتًا صائتا.

8. أصوات قصيّة طبقيّة، وهي صوت (ك، غ، خ) والواو في نحو (حوض، ولد)، وهو يختلف عن واو المدّ في نحو (يدعو) الذي يعدّ صوتا صائتا.

9. صوت قصي لهوي، وهو صوت (ق).

10. أصوات جذرية حلقية، وهي صوت (ح، ع).

11. أصوات حنجرية، وهي صوت (ء همزة القطع، ه).

(ص.32-33)

وخلاصة القول إنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) قسّم الحروف على تسعة أحياز، أمّا العطار (569ه) فقد قسمها على ثمانية أحياز، ويرجع اختلافهما في هذا التقسيم إلى مخرجي الجوف والحنجرة، فقد اعتبر الفراهيدي الجوف مثل بقية الأحياز، خلافا للعطار الذي اعتبر الجوف مخرجا مقدرا لا يتساوى مع أمثاله. ولم يكن العرب على علم بمخرج الحنجرة، كما ذهب إلى ذلك زاهيد (2005) في كتابه "حركات العربيّة"، وأن أول من أشار إليها الفرخاني (549ه)، وما قاله يتماشى مع علم الأصوات الحديث، إلّا أن باحثي علم الأصوات قد اختلفوا في عدد مخارج الحروف من ثمانيّة إلى أحد عشر مخرجا، كما ذكر ذلك سلطان (2020) في بحثه "أسباب اختلاف وصف المخارج بين اللغويين القدامى والمحدثين"، إلّا أنّهم يتّفقون على أنّ الحنجرة من المخارج الرّئيسة.

4.2: الحروف الفرعية

نستعرض في هذ المبحث الحروف الفرعية من حيث أصنافها وعددها وخصائصها عند القدماء، ثم نقارن ذلك بما آلت إليه الصورة في المبحث الصوتي الحديث.

أوّلا: الحروف الفرعية عند القدماء

أ- الحروف الفرعية المستحسنة

قسّم العطار(569هـ) الحروف إلى قسمين: أصول وفروع، والفروع نوعان حروف مستحسنة وهي: "النون الخفيفة أو الخفية، وهمزة بين بين، والألف المضخمة، والألف الممالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.275). يشير هذا النّصّ إلى عدّة قضايا صوتيّة وهي كالتالي:

1. "النون الخفيفة أو الخفية فهي الخيشومية نحو من ولن وسمعنا فتىً ونظائرها، وهي على أربعة أضرب: مظهرة، ومدغمة، ومخفاة، ومقلوبة" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.279).

وعرّف عمر (2006) "النون الخفية" أو "الخفيفة" بقوله:

> الخفية هي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي التاء والثاء [و]الجيم والدال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف، وأما الخفيفة فهي إحدى نوني التوكيد، ولها أحكام في الوقف تفردها بطابعٍ خاصٍّ حيث تصير في الوقف ألفًا نحو قفا = قفن." (ص.53)

وللنون الساكنة والتنوين أربعة تحققات صوتية عندما تتقدم على واحد من الحروف الثمانية والعشرين، يقول العطار (569هـ): "اعلم أن النون الساكنة الأصلية والتنوين على أربعة أضرب: مُظْهَرَةٌ، ومدغمة، ومخفاة، ومقلوبة" w يبيّن العطار في هذا النّصّ أنّ أحكام النّون السّاكنة، والتّنوين تنقسم إلى أربعة أقسام: الإظهار، والإدغام، والإخفاء، والإقلاب، وسنتناول كلّ قسم من هذه الأقسام بتفصيل في الأسطر الآتيّة.

أولًا: تعريف "الإظهار" لغة:

قال ابن فارس (395هـ) في معجمه، مقاييس اللغة: "(ظَهَرَ) الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ. مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ" (ج3، ص.471). يدلّ معنى "الإظهار" في اللغة على ظهور الشيء وبروزه وانكشافه.

"**الإظهار**" **اصطلاحا:** "إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر. والمراد بالحرف المظهر هنا أي في الإظهار الحلقى [الحلقي] النون الساكنة أو التنوين، وفى [في] الإظهار المطلق النون الساكنة فقط" (علي، 2004، العميد في علم التجويد، ص.18). ويشير العطار (569هـ) إلى مواضع حكم "الإظهار" قائلًا: "فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها، وأشدّ الحلقية منها تباعدًا الهمزة والهاء والعين والحاء وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.301).

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ القسم الأوّل من أقسام النّون السّاكنة، والتّنوين هو "الإظهار" الذي يتحقق قبل ستة حروف هي: ء، هـ، ع، ح، غ، خ. الحروف الأربعة الأولى اتّفق القراء على إظهارها، ولم يتفقوا على حرفي الغين، والخاء، فمنهم من يظهر، ومنهم من يخفي، ولكنّ أغلب القراء على إظهارهما، وسنمثّل لكلّ حرف من هذه الحروف، بآيات من كتاب الله –عزّ وجل– وهي كالتالي:

- مثالهما قبل "الهاء": "وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ" [الأنعام: 26]، "سَلٰمٌ هِيَ" [القدر: 5].
- مثالهما قبل "العين": "مِنْ عِندِ ٱللَّهِ" [البقرة: 79]، "سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ" [الأنعام: 54].
- مثالهما قبل "الحاء": "وَمِنْ حَيْثُ" [البقرة: 149]، "عَلِيمٌ حَلِيمٌ" [النساء: 12].
- مثالهما قبل "الغين": "مِنْ غَيْرِكُمْ" [المائدة: 106]، "عَفُوًّا غَفُورًا" [النساء: 99].
- مثالهما قبل "الخاء": "مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ" [البقرة: 74]، "لَطِيفًا خَبِيرًا" [الأحزاب:34]

ثم تابع العطار (569هـ) في ذكر حالات النون الساكنة بقوله: ""وأما الإدغام فعنده ستة أحرف تُجمع على (يَرْمُلُون) مع إبقاء الغنة عند الميم والنون. فأما إدغامهما في اللام والراء فلمقاربتهما لهما. وأما إدغامهما في الواو والياء؛ فلأن النون ضارعت حروف المد واللين من أوجه:

منها أن النون تبدل من الهمزة المنقلبة عن الألف في بهراني وصنعاني، وفي فَعْلَان فَعْلى، نحو سكران وسكرى. ومنها اتفاقهما في الزيادة وتعاقبهما في الموضع الواحد من البناء الواحد، كقولك: شَرَنْبَثٌ وشرابث للضخم الكفين والقدمين وربما وُصِفَ الأسد بِشَرْنَبْثٍ، وقد يقال أيضا للسحاب المتراكب شَرْنبْثٌ... ومنها حذفها... لالتقاء الساكنين في نحو: وَلَك اسْقِنِي...، ولم يَكُ الرجل، كما حُذِفَتْ في نحو قولك: الرجلان شكرا الله، والرجالُ شكروا الله. ومنها أنها جعلت علامة للرفع في خمسة الأبنية التي هي تفعلان، ويفعلان وتفعلون، ويفعلون، وتفعلين يا امرأة. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.302)

في هذا النص السابق فصّل العطار (569هـ) قسم "الإدغام" للنّون السّاكنة، والتّنوين، قبل الحروف الستّة، وهي: الياء، والراء، والميم، واللام، والواو، والنّون، فأمّا حرفا اللّام، والراء، فيدغمان إدغاما كاملا بغير غنّة ولا إخفاء، وذلك بسبب تقارب مَخْرجيْهما، وأمّا حرفا الميم، والنّون ففيهما إدغام ناقص مع الغنّة، وعند حرفي الياء، والواو يكون الإدغام ناقصًا مع وجود الإخفاء، وذلك لاشتراكهما مع حروف المدّ، واللّين.

ثانيًا: تعريف "الإدغام" لغة:

جاء في مقاييس اللغة: "(دَغَمَ) الدَّالُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا مِنْ بَابِ الْأَلْوَانِ، وَالْآخَرُ دُخُولُ شَيْءٍ فِي مَدْخَلٍ مَا" (ابن فارس،395هـ، ج2، ص.284). وقال عنه الزمخشري (538هـ) في

معجمه أساس البلاغة: "هو أدغم، وفيه دغمة وهي سواد الخطم. وفي مثل لمن يغبط بما لم ينل 'الذئب أدغم' أي ترى دغمته فيظن أنه قد ولغ وهو جائع. وأدغم اللجام في فم الفرس: أدخله. ومن المجاز: أدغم الحرف في الحرف" (ج1، ص. 289، مادة: د غ م). ويشير النّصان إلى أن معنى "الإدغام" إدخال الشيء في الشيء، ويطلق على إدخال الحرف في الحرف، على سبيل الحقيقة أحيانًا والمجاز أحينًا أخرى.

"الإدغام" اصطلاحا:

يعرّف علماء التجويد "الإدغام" بأنّه: "إيصال حرف ساكن بآخر متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا، يرتفع عنه اللسان ارتفاعةً واحدة، عند النطق بالحرف الثاني" (سالم،2003، ص.72). ويتحقّق إدغام النّون السّاكنة والتّنوين قبل ستّة أحرف، وهي قسمان:

القسم الأول: إدغام بغير غنة: ويكون قبل حرفي: الراء، واللام.

- مثاله قبل الراء: مِّن رَّبِّهِمۡۚ [البقرة: 5]، غَفُورٞ رَّحِيمٞ [البقرة: 173].
- مثاله قبل اللام: لِمَن لَّمۡ [البقرة: 196]، عَدُوّٞ لَّكُمۡ [النساء: 92].

القسم الثاني: إدغام بغنة: ويكون قبل أربعة أحرف: الميم، والنون، والواو، والياء.

- مثاله قبل الميم: (مِن مَّآءٖ) [البقرة: 164]، (مَثَلٗا مَّا) [البقرة: 26].
- مثاله قبل النون: (أَن نَّطۡمِسَ) [النساء: 47]، (أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا) [آل عمران: 154].
- مثاله قبل الواو: (مِن وَلِيّٖ) [البقرة: 107]، (قَلِيلٞ وَلَهُمۡ) [النحل: 117].
- مثاله قبل الياء: (مَن يَقُولُ) [البقرة: 8]، (لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ) [البقرة: 118].

إنّ "الإدغام" حقيقته إدخال حرف ساكن في حرف متحرّك بعده، وقسّمه علماء التجويد إلى قسمين: إدغام بغنة، ويكون في أربعة حروف (الياء، والواو، والميم، والنون)، وإدغام بغير غنة، يتحقّق في حرفي (اللام، والراء)، وتطبّق هذه القاعدة إذا كانت النّون السّاكنة أو التّنوين قبل

هذه الحروف السّتّة، فالقسم الأوّل تبرز فيه الغنّة بسبب مزجهما بالحروف الأربعة، لأن الهواء يتجزأ بين الفم والأنف، بخلاف القسم الثاني فإنّ الإدغام يكون خالصًا من الغنّة، ويرجع ذلك إلى تقارب المخارج أو اتّحادها.

ثالثًا: تعريف "الإقلاب" لغة:

قال ابن فارس (395هـ) في مقاييس اللغة: "(قَلَبَ) الْقَافُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ" (ج5، ص.17). نستخلص من هذا النّصّ أنّ معنى "الإقلاب" هو ردّ الشيء بانتقاله من موضع إلى موضع آخر، سواء كان في السّلب، أو الإيجاب.

"الإقلاب" اصطلاحًا:

عرّف العطار (569هـ) "الإقلاب" بقوله: "وأما القلب فعند الباء خاصة، وذاك أنها تُقلَبُ في اللفظ ميما، إذا أتت بعدها الباء، لتعتل معها كاعتلالها مع أختيها الميم والواو، كقولك: عنبر وقنبر، اللفظ بهما عمبر وقمبر" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.302). و"قلب النون الساكنة أو التنوين ميما مُخفاةً مع الغُنّة، إذا أتى بعدها حرف الباء" (سالم،2003، ص.73). يشير النّصّان إلى أنّ "الإقلاب" يكون قبل حرف الباء، فيقلبان إلى ميم خالصة مع الإخفاء بغنّة، ومثاله: (مِنْ بَقْلِهَا) [البقرة: 61]، (خَبِيرٌ بِمَا) [آل عمران: 153].

رابعًا: تعريف "الإخفاء" لغة:

قال ابن فارس (395هـ) في مقاييس اللغة: "(خَفِيَ) الْخَاءُ وَالْفَاءُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ مُتَضَادَّانِ. فَالْأَوَّلُ السَّتْرُ، وَالثَّانِي الْإِظْهَارُ. فَالْأَوَّلُ خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى; وَأَخْفَيْتُهُ، وَهُوَ فِي خِفْيَةٍ

وَخَفَاءٍ، إِذَا سَتَرْتَهُ" (ج2، ص.202). ونصّ ابن فارس هنا على أنّ "الإخفاء" من الأضداد تارة يأتي بمعنى الستر، وتارة أخرى يأتي بمعنى الظهور.

"الإخفاء" اصطلاحا:

أشار العطار (569هـ) إلى آخر قسم من أقسام النون الساكنة بقوله: "وأما الإخفاء فعند سائر الحروف" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.302). وقد عرّفه علي (2004) بأنه: "النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عار عن التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول. والمراد بالحرف الأول هنا النون الساكنة والتنوين، وفى [في] الإخفاء الشفوي الميم الساكنة" (العميد في علم التجويد، ص.29). والحروف المتبقّيّة هي خمسة عشر حرفًا: ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك.

وسنضرب مثالا لكلّ حرف من هذه الحروف من كتاب الله –عزّ وجل–، وهي كالآتي:

- مثاله قبل التاء: (أَن تَسْـَٔلُواْ) [البقرة: 108]، (خَيْرٍ تَجِدُوهُ) [البقرة: 110].
- مثاله قبل الثاء: (مِن ثَمَرَةٍ) [البقرة: 25]، (تَمْهِيدًا ثُمَّ) [المدثر: 14–15].
- مثاله قبل الجيم: (فَمَن جَآءَهُۥ) [البقرة: 275]، (لِكُلّ جَعَلْنَا) [المائدة: 48].
- مثاله قبل الدال: (أَن دَعَوْاْ) [مريم: 91]، (قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) [الأنعام: 99].
- مثاله قبل الذال: (وَمِن ذُرِّيَّتِيۦ) [البقرة: 124]، (حُسْبَانًا ذَٰلِكَ) [الأنعام: 96].
- مثاله قبل الزاي: (فَمَن زُحْزِحَ) [آل عمران: 185]، (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) [طه: 102].
- مثاله قبل السين: (يُنسِيَنَّكَ) [الأنعام: 68]، (خَالِصًا سَآئِغًا) [النحل: 66].
- مثاله قبل الشين: (إِن شَآءَ) [البقرة: 70]، (نَّفْسٍ شَيْـًٔا) [البقرة: 48].
- مثاله قبل الصاد: (مِّن صَدَقَةٍ) [البقرة: 263]، (رِيحًا صَرْصَرًا) [فصلت: 16].
- مثاله قبل الضاد: (مَّن ضَلَّ) [المائدة: 105]، (مَسْجِدًا ضِرَارًا) [التوبة: 107].

- مثاله قبل الطاء: (ٱنطَلَقَا) [الكهف: 71]، (حَلَٰلًا طَيِّبًا) [النحل: 114].
- مثاله قبل الظاء: (مَن ظُلِمَۚ) [النساء: 148]، (ظِلًّا ظَلِيلًا) [النساء: 57].
- مثاله قبل الفاء: (أَنفُسَهُمۡ) [البقرة: 9]، (بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ) [البقرة: 124].
- مثاله قبل القاف: (وَمَن قَالَ) [الأنعام: 93]، (شَيۡءٖ قَالُواْ) [إبراهيم: 21].
- مثاله قبل الكاف: (مَن كَانَ) [البقرة: 98]، (ءَايَةٖۗ كَذَٰلِكَ) [البقرة: 118].

2. الحرف الثّاني من الحروف الفرعيّة "همزة بين بين":

بعد أن ذكرنا الحرف الأوّل من الحروف الفرعيّة "النّون السّاكنة والتّنوين" سننتقل إلى حرف آخر، ألا وهو: "همزة بين بين فهي التي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها فالمفتوحة بين الهمزة والألف، والمكسورة بين الهمزة والياء (يعني المدية)، والمضمومة بين الهمزة والواو" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.275). وقد ضرب العطار (569هـ) أمثلة لهمزة بين بين معتبرًا مدّ البدل ضربا منها، ممثلًا لها بما يلي:

- مثال الهمزة المفتوحة: (مَآءً) [البقرة: 22] دُعَآءً وَنِدَآءٗۚ [البقرة: 171].
- مثال الهمزة المكسورة: (مُتَّكِـِٔينَ) [الكهف: 31] (ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ) [الحجر: 95].
- مثال الهمزة المضمومة: (يَـُٔوسٗا) [الإسراء: 83] (وَلَا يَـُٔودُهُۥ) [البقرة: 255].

نستشف مما سبق أنّ "همزة بين بين" لها أحوال تختلف باختلاف حركتها كما ذكر العطار، أو باختلاف حركة الحرف الذي قبلها، كما نصّ على ذلك عمر، وهذا ممّا يسهّل على القارئ النّطق بالهمزة، لأنّ التّلفّظ بها عسير، وكانت بعض قبائل العرب تنفر منها، وخاصة إذا توالت همزتان.

3. "الألف المفخّمة" قال العطار (569هـ):

> هي التي تكون بين الألف والواو، نحو: سَلُمٌ [الأعراف: 46]... لذلك كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو، وإنما ينحو بالألف نحو الواو من لا يقدر على تحويل لسانه، وأما من يمكنه أن يقرأ القراءة المعهودة فلا. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.275).

4. "الشين التي كالجيم فهي التي يقل تفشيها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم" (العطار،569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.275).

5. "الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها فتضارع الزاي، وذلك نحو قوله (وَمَنۡ أَصۡدَقُ) [النساء: 87] (قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ) [النحل: 9] (يَصۡدِفُونَ) [الأنعام: 46] ونظائرها، على قراءة من أشم الصاد الزاي... ومنهم من يجعلها زايا خالصة" (العطار،569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.275-276).

إنّ ظاهرة تغيّرات النطق لبعض الحروف، موجودة في علم اللغة، وعلم التجويد، وعلم الأصوات، فإما أن تنحو بالألف إلى جهة الواو، أو تمزج الشين بالجيم، أو الصّاد بالزاي، وكل هذه التحوّلات صوتيّة، وبعضها ثبت خطا، والمقصد في هذا التخفيف على القارئ. وسنتناول فيما يلي الحروف الفرعيّة المستقبحة.

ب- الحروف الفرعية المستقبحة

النوع الثاني الحروف الفرعية المستقبحة التي لا يقرأ بها القرآن، ولا فصيح الكلام، ولا الشعر، وقد وردت هذه الحروف عند سيبويه (180هـ)، وهي كالتالي: "الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء" (الكتاب، ج4، ص.432).

1. "الكاف التي بين الجيم والكاف": وقد فسر عمر (2006) هذا الحرف قائلا:

التمثيل الخطّي بصورة الجيم غير دقيق؛ لأن الجيم مجهورة، وهذا الصوت من أصوات الكاف لم يفقد همسه وإن أصبح معطشًا كتعطيش الجيم، وهذا الصوت هو الذي يصفه النحاة باصطلاح الكشكشة، وهو شبيه لما في نطق العراقيين لكلمة 'كيف'. (ص.54)

2. "الجيم التي كالكاف": وقد فسّرها عمر (2006) بقوله: "إن كلمة 'رجل' تصير بهذه الجيم إلى 'ركل' ragul، وهو بهذا يجعل هذه الجيم أختًا للجيم القاهرية ومطابقة لها تمامًا" (ص.55).

3. "الجيم التي كالشين": قال عمر (2006): "مثَّل ابن عصفور له بكلمة 'اجتمعوا' التي تصير إلى 'اشتمعوا'، ونحن نعرف أن الكلمة الفصيحة 'اجتر' قد أصبحت بفضل هذا الصوت من أصوات الجيم على صورة 'اشتر'، وهكذا شاعت على ألسنة الفلاحين في ريف مصر شمالًا وجنوبًا" (ص.55).

4. "الضاد الضعيفة". وشرحها عمر (2006) قائلا:

نعرف أن الضاد الفصيحة كانت تنطق بواسطة احتكاك هواء الزفير المجهور بجانب اللسان والأضراس المقابلة لهذا الجانب، ومن ثَمَّ يكون صوت الضاد الفصيحة من بين أصوات الرخاوة، مثله في ذلك مثل الثاء. ومن هناء [هنا] وجدنا بعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء متلوًّا بحرف مفخم مجهور يحدث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم والجهر الضعيفة، فتصير الثاء بذلك ضادًا ضعيفة. (ص.55)

5. "الصاد التي كالسين": قال عمر (2006):

> الصاد والسين تشتركان في المخرج وفي الصفات كلها إلّا التفخيم والترقيق، فالصاد مفخَّمة والسين مرقَّقة، وهذا هو الفارق الوحيد بينهما، ومن ثَمَّ فإن إحداهما إذا أشبهت الأخرى فلا بُدَّ أن يكون معنى ذلك مشاركتها في الصفة الوحيدة التي فارقتها من جهتها، فإذا أشبهت الصاد السين فإن معنى [ذلك] أن تترك الصاد تفخيمها إلى ترقيق السين. (ص.55)

6. "الطاء التي كالتاء": وقد فسّرها عمر (2006) بقوله: "ولكن كلامًا شبيهًا بما قيل في وجه الشبه بين الصاد والسين يمكن أن يقال هنا أيضًا في وجه الشبه بين الطاء والتاء، فالمعروف أن التفخيم والترقيق هو أوضح ما يفرق بين الطاء والتاء الآن، فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها" (ص.56).

7. "الظاء التي كالثاء":

> إنّ كلمة 'ظالم' تصير 'ثالم'، ونحن قادرون على أن نفهم من مثاله هذا أنّ الظاء فقدت جهرها وهمست كهمس الثاء، أمّا التفخيم فمن الصّعب في هذا المثال أن نقرر أن الظاء فقدته أو احتفظت به؛ لأن الكتابة العربية لا تصطنع رموزًا للدلالة على التفخيم والترقيق، ومن ثَمَّ لا نستطيع الجزم بأن 'ثالم' السابق ذكرها مفخَّمة 'الظاء' أو مرققتها. (عمر، 2006، ص.56)

8. "الباء التي كالفاء": "الباء التي يعنيها هي ما يسمونه الباء الفارسية، وهي باء مهموسة مثل صوت 'P' في اللغات الأجنبية، والمعروف أن العرب كانوا يعربون هذه الباء بقلبها فاء، ومن ثَمَّ أصبحت كلمة 'برزده' عند تعريبها 'فرزدق'، وكلمة 'بالوزه' فالوذج" (عمر، 2006، ص.56).

ولم يختلف العطار (569هـ) عن سيبويه (180هـ) في ذكر الحروف الفرعية المستقبحة إلا في حرف واحد هو" الباء التي كالفاء" فقد ورد عند العطار "الباء التي كالميم"، وذكر العطار حرفا تاسعا " الذال التي كالثاء" عزاه للأخفش (215هـ)، (التمهيد في معرفة التجويد، ص.276-277). وإنّ النّاظر لهذه الحروف الفرعيّة المستقبحة يرى أنّها تفرّ منها الأسماع، ويبتعد عنها الشعراء، وذلك راجع إلى عدم استقامتها في اللسان العربي المبين، فجاء القرآن الكريم ليرسّخ هذا المفهوم، ويجعل الأصوات المنطوقة التي استقر عليها هي الأساس والقاعدة، لذا جاء العطار ليؤكّد على عدم جواز استعمالها، في القرآن الكريم، والشعر، وكلام العرب، واستدراك عمر (2006) على تمثيل من مثّل الكاف التي كالجيم، وتعليله لذلك باختلاف الصفة، وتسميّة هذا النطق بالكشكشة وجيه.

ثانيا: ما يقابل الحروف الفرعية عند علماء الأصوات المحدثين

إذا كان القدماء قسموا الحروف إلى أصول وفروع، ومستحسنة ومستقبحة، فإن المحدثين يدرسون أصولها وفروعها، ولا يلتفتون إلى قسمة الاستحسان والاستقباح، لأنّ المهم عندهم الاعتناء بجميع الأصوات.

يقول النيرباني (2006):

> إن التفريق بين أصول الحروف وفروعها يذكّر بالتفريق بين الفونيم (Phoneme) (والألفون) allophone) في علم الأصوات الحديث...، وليس بينهما تمام اتفاق، فوجه تفرّع هذه الحروف عند اللغويين العرب

أنها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين كما ذكر، عدا النون الخفية فوجه تفرعها أنها في الأصل صفة النون المظهرة...؛ وهذا ما يفسّر إغفالهم ذكر اللام المفخمة والراء المرققة هنا. (ص. 46)

يبيّن هذا النّصّ أنّ المحدثين لم يدرجوا في بحوثهم ما يسمى بالأصوات المستقبحة، كما وردت عند علماء اللغة، والتجويد، ولم يفرّقوا بين حسنها وقبيحها، بل جعلوا الأصوات الفرعيّة نتاج النطق بصوتين أصليين، ولم يدخلوا صوت النون ضمن هذه الأصوات الفرعية، وكذلك اللام والراء.

نستنتج مما سبق أن الحروف الفرعية عند القدماء ليست أصليّة، وإنّما هي أداء مغاير للأصل، وتقسيمها إلى مستحسن، ومستقبح، يرجع فيه إلى الاستخدام القرآني، وديوان الشّعر، وأنّ اختلاف ألقابها اجتهادات لغويين.

5.2: صفات الحروف

بمعرفة صفة كل حرف ومخرجه تتم تلاوة القرآن صحيحا من دونإخلال بالنطق بالتفريق بين الحروف المتشابهة المخارج ومعرفة كل حرف حتى يعطى حقه من دونإفراط أو تقصير. وفيما يلي تعريف صفات الحروف:

الصفة لغة: "ما قام بالشيء من المعاني الحسية والمعنوية، فالحسية كالبياض والطول والمعنوية كالعِلْم" (سالم، 2003، ص.37). يتضح من هذا النص تقسيم الصفة إلى نوعين، وأن الفرق بينهما يكمن في أن الحسية مادية غير منفكة والمعنوية تطرأ وتزول.

اصطلاحا: صفة الحرف "كيفية تعرض... [له] عند حدوثه من مخرجه تميزه عن غير [غيره] كالشدة والرخاوة ونحوهما" (الطويل، 1985، ص.123). يبيّن النّصّ طريقة خروج الحرف من مكانه الصّحيح، وأنّ لكلّ حرف صفة أو صفات يمتاز بها عن غيره.

أهمية دراسة صفات الحروف

ذكر علي (2003) ثلاث فوائد لدراسة صفات الحروف: "أ- تميز الحروف المشتركة في المخرج. ب- معرفة القوي من الضعيف؛ ليعلم ما يجوز إدغامه وما لا يجوز، فإن ما له قوة ومزية عن غيره لا يجوز أن يدغم في غيره لئلا تذهب. ج- تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج" (ص.160). واختلف العلماء في عدد صفات الحروف بحسب وجهة نظر كل واحد منهم. ونذكر فيما يلي أهم أقوال العلماء فيها:

أولًا: صفات الحروف عند سيبويه (180هـ):

"الجهر"

> حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم؛ إلا أن النون والميم قد يعتمد لها في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنةٌ. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما. (الكتاب، ج4، ص.434)

رموزه: ء، ا، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و.

"الهمس"

> فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها. وإن شئت أخفيت. (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.434)

رموزه: هـ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف.

"**الشديد**": "وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه... وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.434). و**رموزه:** ء، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب.

"**الرخو**": ضرب سيبويه (180هـ) مثالًا له قائلا: "إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت" (الكتاب، ج4، ص.435). **ورموزه:** هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف.

"**بين الرخو والشديد**": "العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.435). و**رمزه:** ع.

"**المنحرف**"

> وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدقٌ اللسان فويق ذلك. (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.435)

رمزه: ل.

"**الأغن**": "حرفٌ شديد يجري معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت" (سيبويه،180هـ، الكتاب، ج4، ص.435). **رمزاه:** ن، م.

"**المكرر**": "حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.435). و**رمزه:** ر.

"**اللين**": "لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأىٌ، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.435). و**رمزاه:** و، ي.

"**الهاوي**": "حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.435-436). و**رمزه:** ا.

"**المطبق**": ص، ض، ط، ظ. "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.436).

"**المنفتح**": "كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيءٍ منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى" (سيبويه،180هـ، الكتاب، ج4، ص.436).

"**الصفير**": ص، س، ز، " حروف الصفير. وهن أندى في السّمع" (سيبويه،180هـ، الكتاب، ج4، ص.464).

"**المستطيل**": يتحقق في حرفي: ض، ش، "لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء" (سيبويه، 180هـ، الكتاب، ج4، ص.457).

ثانيًا: أضاف ابن جني (392هـ)، صفات أخرى:

"**المستعلي**": "معنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق... وأما الخاء والغين والقاف، فلا إطباق فيها مع استعلائها" (ابن جني، 392هـ، سر صناعة الإعراب، ج1، ص.76). وقد قسم ابن جني الحروف المستعلية على قسمين: حروف مستعلية مطبقة وهي: ص، ض، ط، ظ. وأخرى مستعلية غير مطبقة: خ، غ، ق.

"**المنخفض**": "وما عدا هذه الحروف فمنخفض" (ابن جني، 392هـ، سر صناعة الإعراب، ج1، ص.76).

"**المهتوت**": "وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء" (ابن جني، 392هـ، سر صناعة الإعراب، ج1، ص.78).

"**الذلقة**": "هي ستة: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه" (ابن جني، 392هـ، سر صناعة الإعراب، ج1، ص.78).

"**المصمتة**": "وهي باقي الحروف" (ابن جني،392هـ، سر صناعة الإعراب، ج1، ص.78).

ومصطلح "الذلق" وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)، بقوله:

> إعلم [اعلم] أنَّ الحروف الذُلْقَ والشقوية [الشفوية] ستَّة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللَّسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة: ر ل ن تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها ما بين الشَّفَتيْن خاصة." (العين، ج1، ص.12)

ثالثًا: صفات الحروف عند الداني (444هـ)، بينها بقوله: "المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمستفلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.107).

رابعًا: صفات الحروف عند "العطار"(569هـ)، هي: "المهموس، والمجهور، والشديد، والرخو، وما بين الرخو والشديد، والمطبق، والمستعلي، وحروف القلقلة، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والأغن، والمنحرف، والمتكرر، والمستطيل، والمتفشي، والهاوي" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280).

ثم تابع "العطار" يشرح معاني هذه المصطلحات، ويذكر حروف كل مصطلح، وهي كالتالي:

1. "**المهموس**": "سمي المهموس؛ لأنه لان في مخرجه لضعف الاعتماد على موضعه حتى جرى معه النَّفَسُ، ألا ترى أنه يمكنك أن تكرر الحرف، مع جري النَّفَس، سَسَسَ، شَشَشَ، كَكَكَ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280). **ورموزه:** س، ت، ش، ح، ث، ك، خ، ص، ف، هـ.
2. "**المجهور**": "معنى المجهور أنه لزم مخرجه وحبس النفس أن يجري معه، لإشباع الاعتماد على موضعه، ألا ترى أنك لو تكلفت الحرف مع جري النفس لم تقدر عليه" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280). **ورموزه:** ز، ا، د، ظ، ب، ي، غ، ن، ج، ل، ض، م، و، ر، ء، ذ، ق، ط، ع.
3. "**الشديد**": "ما لزم مخرجه فلا يمكنك مدُّ الصوت به لتمكنه، ألا ترى أنك إذا قلت: الشّج والشط، ثم رمت مدَّ الصوت بالجيم والطاء امتنع عليك" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280). **ورموزه:** ء، ج، د، ت، ط، ب، ق، ك.
4. "**الرخو**": "ما لم يلزم مخرجه لزوم الشديد، فيمكن مدّ الصوت به، ألا ترى أنك إذا قلت: الهزُّ والمسُّ والرشُّ، ونحو ذلك، امتدَّ به صوتك جاريا مع الزاي والسين والشين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280). **ورموزه:** ح، س، ش، خ، ص، هـ، ز، ف، ظ، غ، ض، ث، ذ.
5. "**ما بين الشديد والرخو**": "يجمعها قولك: لم يرعونا... وذكر بعض أصحابنا... أن الحروف التي بين الشديدة والرخوة خمسة يجمعها قولك: لن عمر. وأخرج حروف المد من جملتها لتغير أحوالها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.280). **ورموزه:** ل، م، ي، ر، ع، و، ن، ا.
6. "**المطبق**":

> ما رفعت به ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى... وسميت مطبقة لأنك إذا وضعت لسانك في مواضعهن انحصر صوتك بين اللسان والحنك لانطباق اللسان على ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ولولا الإطباق

لصارت الصاد سينا، والطاء دالا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها حرف غيرها تبدل منه عند عدم الإطباق...، ولولا ما بين الهمس والجهر لصارت السين زايا. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.281)

7. "**المستعلي**": "هو المتصعد في الحنك الأعلى، وذلك سبعة أحرف، وهي الأربعة المطبقة والغين والخاء والقاف" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.281).
8. "**المنخفض**": "ما سواها فمنخفض على مراتبه في الانخفاض" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.281). هذا المصطلح لم يجعل له العطار عنوانا رئيسيا مع باقي المصطلحات الأخرى، وإنما جعله تحت "المستعلي".
9. "**حروف القلقلة**":

هي خمسة أحرف، يجمعها قولك: قُطْبٌ جَدَّ، وقد تسمى أيضا مشربة ومضغوطة، لأنه لا يمكن الوقف عليها إلا بتصويت يلحقها لضغطها. وتسمى أيضا الضاد والزاي والظاء والذال مشربة، وذاك أنه يخرج معها عند الوقف عليها شبه النفخ، غير أنها لا تضغط ضغط حروف القلقلة... وذلك نحو قولك: اقْعُدْ، واقْبِضْ، والفِظْ، وبعض العرب أشد تصويتا في ذلك. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.281)

رجوعا إلى ما سبق يتضح أن حروف القلقة خمسة هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، حيث لدى الوقف عليها يحصل صوت كصوت القلقة، وقد عد بعضهم الضاد والزاي والذال والظاء منها للشبه بينهن ولكن هذه وإن كانت مشربة في مخارجها فإنها غير مضغوطة كضغط الحروف الخمسة ولكن يخرج منها عند الوقف عليها شبه النفخ فقط.

10."**حروف المد واللين**": "الواو والياء والألف، سميت بذلك لامتداد الصوت فيها، والواو أقواها لعمل الشفتين فيها، ثم الياء، وأخفها الألف لأنها هوائية" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.281).

11."**حروف الصفير**": "ثلاثة الصاد والسين والزاي، سميت بذلك لصفيرها بعد اعتمادك على مواضعها" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

12."**الأغن**":

> النون والميم، سميا بذلك لأن فيهما غنة، وهو صوت يخرج من الخياشيم، وأصل الغنة الامتلاء... وإنما سمي هذا الصوت غنة لجريه مع النون والميم بعد لزوم اللسان موضعهما. يدلك على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيهما كالطنين، لأن الخيشوم مركب فوق الغار الأعلى، وإليه سمو هذا الصوت. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282)

13."**المنحرف**": "اللام" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

14."**المكرر**":"الراء" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

15."**المستطيل**": "الضاد، سمي بذلك... لاتصاله من موضعه بالإطباق" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

16."**المتفشي**": "الشين، سمي بذلك لتفشيه من مخرجه" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

17."**الهاوي**": "الألف والياء والواو إذا سكنتا بعد حركتيهما، سميت بذلك لأنها تهوي في خرق... الفم إلى ما بين الهمزة والهاء" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.282).

خامسًا: وصف كلّ حرف على حدة من منظور علم التجويد، وهي كالتالي:

- الألف المدية: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات، الخفاء" (خضر، 2014، ص.130).
- الهمزة: "صفاتها: الجهر، الشدة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.131).
- الهاء: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات، الخفاء" (خضر، 2014، ص.132).
- العين: "صفاتها: الجهر، التوسط، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.133).
- الحاء: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر،2014، ص.134).
- الغين: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.135).
- الخاء: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.136).
- القاف: "صفاتها: الجهر، الشدة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات، القلقلة" (خضر، 2014، ص.137).
- الكاف: "صفاتها: الهمس، الشدة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.138).
- الجيم: "صفاتها: الجهر، الشدة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات، القلقلة" (خضر، 2014، ص.138).
- الشين: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات، التفشي" (خضر، 2014، ص.139).
- الياء: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.140).
- الضاد: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات، الاستطالة (خضر، 2014، ص.141).

- اللام: "صـفاتها: الجهر، التوسـط، الاسـتفال، الانفتاح، الإذلاق، الانحراف" (خضـر، 2014، ص.142).
- النون: "صـــفاتها: الجهر، التوســـط، الاســـتفال، الانفتاح، الإذلاق، الغنة" (خضـــر، 2014، ص.143).
- الراء: "صـفاتها: الجهر، التوسـط، الاسـتفال، الانفتاح، الإذلاق، الانحراف، التكرير" (خضـر، 2014، ص.144).
- الطاء: "صـفاتها: الجهر، الشـدة، الاسـتعلاء، الإطباق، الإصـمات، القلقلة" (خضـر، 2014، ص.144).
- الدال: "صـــفاتها: الجهر، الشـــدة، الاســـتفال، الانفتاح، الإصـــمات، القلقة" (خضـــر، 2014، ص.145).
- التاء: "صفاتها: الهمس، الشدة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.146).
- الصاد: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات، الصفير" (خضر، 2014، ص.147).
- السين: "صـفاتها: الهمس، الرخاوة، الاسـتفال، الانفتاح، الإصـمات، الصـفير" (خضـر، 2014، ص.148).
- الزاي: "صـفاتها: الجهر، الرخاوة، الاسـتفال، الانفتاح، الإصـمات، الصـفير" (خضـر، 2014، ص.149).
- الظاء: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات" (خضر، 2014، ص.149).
- الذال: "صفاتها: الجهر، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.150).
- الثاء: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات" (خضر، 2014، ص.151).
- الفاء: "صفاتها: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإذلاق" (خضر، 2014، ص.152).

- الواو: "صـــفاتها: الجهر، الرخاوة، الاســـتفال، الانفتاح، الإصـــمات، اللين" (خضـــر، 2014، ص.152).
- الباء: "صـــفاتها: الجهر، الشـــدة، الاســـتفال، الانفتاح، الإذلاق، القلقلة" (خضـــر، 2014، ص.153).
- الميم: "صـــفاتها: الجهر، التوســـط، الاســـتفال، الانفتاح، الإذلاق، الغنة" (خضـــر، 2014، ص.155).

نستخلص مما سبق أن إتقان صفات الحروف ومخارجِها تجعل تلاوة القرآن صحيحة من دونلحن فيه. وصفة الحرف هي حالة تتعرض للحرف عند حدوثه من مخرجه تميزه عن غيره كالشدة والرخاوة ونحوهما. وقد اختلف العلماء في عدد صفات الحروف بحسب وجهة نظر كل واحد منهم ولكنهم اتفقوا في أغلب هذه الصفات، فالصّفات التي ذكرها كلّ من سيبويه (180ه)، وابن جني (392ه)، والداني (444ه)، والعطار (569ه) تشترك فيما بينها، غير أنّ بينها اختلافا بسيطا في العدد، مثل صفات: "المستعلي"، و"المنخفض"، و"المهتوت"، و"الذلقي"، و"المصمت"، فقد أسقطها سيبويه، بينما أثبتها ابن جني، وكذلك صفات: "المنفتح"، و"المستفل"، فقد ذكرها الداني في حين أغفلها العطار، وأيضا صفة: "ما بين الرخو والشديد" أسقطها الداني وأثبتها العطار، وكل هذا راجع إلى طريقة البحث التي استعملوها في معرفة الصّفات، إلّا أنّهم اتفقوا على أغلبها، ويبقى هامش الخلاف ضئيلا جدّا، إذ إن سيبويه، وابن جني مهدا للداني والعطار ومن حذا حذوهما.

6.2: التلفظ بحروف المد واللين

في هذا المبحث سندرس ظاهرة عرفت عند أهل التجويد بالإظهار أو التّبيين، وقد لاحظنا من خلال المتن المدروس، أنّ الإظهار لا يقتصر على "الصوامت" كما هو شائع معروف عند النحاة، بل أيضا نالت الحركات قسطا من هذا الإظهار أو التّبيين. وقد عرضوا لذلك عندما تحدثوا عن الياء والواو. فقد نالت الياء والواو حظهما من هذا الإظهار والتّبيين، وذلك في حالة كونهما ساكنتين، والسّكون هنا يعني أنّهما لم تعودا مدًّا خالصًا ولا صامتًا يحمل حركة كما في يعد ووعد، وإنّما جاءت بوصفها حركة مزدوجة مع الفتحة التي تسبقها، وهذا هو الشرط في إظهارها وتبيينها. وبلغة صوتية نقول إنّ الإظهار في هذه الحركات يكون مرتبطا بها فقط في حالة واحدة، وهي كونها نواة لمقطع كما في: (طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ) [هود: 114]. فكلمة "طرفي" تقسّم إلى: طَ/، رَ/، فَيْ. (ص + ح/، ص + ح/، ص + ح + ص). وبالتالي: "فَيْ" تشكّل مقطعا نواته مركبة من (ف_َ _ يْ)، فلمّا ألحقت بها كلمة أخرى، تحولت النواة المركّبة إلى نواة مفردة: يِنْ، (ص + ح + ص). فصارت الياء استئنافا لمقطع جديد "يِنْ/، نَ/، هَا/، رِ". وكذلك الواو مثال: (ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ) [البقرة: 86]. فالمتواليّة الصّوتيّة "اشتروا الحيوة" تقسّم إلى: اِشْ/، تَ/، رَ/، وُلْ/حَ/، يٰ/، ةَ. وبالتالي: ف"رَوْا" تشكّل مقطعا نواته مركّبة من (ر_َ _ وْا)، فلما ألحقت بها كلمة أخرى، تحوّلت النَواة المركّبة إلى نواة مفردةٍ "وُلْ" (ص + ح + ص)، وهذا شأن كل ساكنين التقيا.

بين "العطار"(569هـ) كيفية التلفظ بحروف المد واللين حال القراءة بها، وأنها تؤدي دورا مهما أكثر من غيرها بقوله: "بدأنا باللينة لأنها أكثر دورا من غيرها، والحركات ناشئة عنها، فأما حكمها فإنه لا تخلو من أن تَلِيَهَا أخواتها أو الهمزة أو حرف سوى ذلك" (التمهيد في معرف التجويد، ص.285). نرى في هذا النص أنه يشير إلى الحركات الطويلة (الألف، الواو، الياء)، حال تواليها مع بعضها أو مع الهمزة أو باقي الحروف الأخرى، وقول العطار إنّ الحركات ناشئة عنها فيه نظر، لأنّ الحركات

القصيرة إذا زادت مدّتها تحوّلت إلى الحركات الطّويلة والعكس صحيح، كما سيأتي التمثيل على ذلك في هذا المبحث.

تمكين الياء والواو والألف

أوضح "العطار" (569هـ) التمكين المطلوب في الياء والواو والألف وأنها متفاوتة فيه، بقوله: "أما الياء والواو فمتى سكنتا بعد حركتهما وجب تمكينهما كالألف من غير إفراط ولا إفحاش" (التمهيد في معرف التجويد، ص.285). فالياء، والواو يشترط في مدهما أن تكونا متولدتين من الكسرة، والضّمة، وبما أنّهما متولّدتان من حركتيهما فهما صوائت، ووصفهما بالسّكون لا يتماشى مع علم الأصوات الحديث، وأما الألف فلا تكون إلا حرف مد خالص (صائت).

"**المدُّ**" **لغة:** عرفه صاحب مقاييس اللغة، بقوله: "(مَدَّ) الْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ فِي طُولٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ" (ابن فارس، 395هـ، ج5، ص.269، مادة: مدَّ).

"**المدّ**" **اصطلاحا:** "إطالة الصوت بحرف من أحرف المدّ الثلاثة" (حسن، 1981، ص.617).

بعدما عرّفنا "المدّ" في اللغة والاصطلاح، سنضرب أمثلة لكلّ حرف من حروف المد الثلاثة:

❖ أمثلة "المد الطبيعي" الذي يسمى في علم الأصوات الحديث ب"المُدَّة الذاتية" (الحركات الطويلة) مقداره حركتان، ونرمز له صوتيا: بـ(vv):

- بِسۡمِ ٱللَّهِ [الفاتحة: 1]
- إِيَّاكَ [الفاتحة: 5]
- هَلۡ أَتَىٰكَ [الذاريات: 24]
- مَا لَكُمۡ [التوبة: 38]...
- وَعِيسَىٰ [البقرة: 136]
- وَٱلۡمِيزَانَ [الأعراف: 85]

- مِيقَٰتُ رَبِّهِۦ [الأعراف: 142]...
- مُوسَىٰ [البقرة: 136]
- طُوبَى [الرعد: 29]
- يُوحَىٰ [الأنعام: 50]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.285)

من خلال تلك الآيات الكريمات السابقة ضرب العطار أمثلة على المدّ الطبيعي بالحروف الثلاثة الألف، والياء، والواو، سواء كان المدّ في كلمة واحدة أو كلمتين. وصوتيا وردت في الآيات الكريمات مقاطع تمثّل للمدّة الذّاتيّة بالحركات الطويلة الثلاث كما في المقاطع التاليّة: (ما)، و(مِي)، و(طُو) التي يتكوّن كل مقطع من: (ص+ح ح)، (CVV).

❖ أمثلة "مد البدل" وهو أرفع درجة من "المد الطبيعي" وأول أنواع "المدة الموضوعية" مقداره ثلاث حركات أو أربع، ويرمز له صوتيا بvvvv/vvv:

- ءَادَمَ [البقرة: 31]
- وَءَاخِرُ [يونس: 10]
- ءَامَنَ [البقرة: 13]
- ءَاتَىٰهُمُ [آل عمران: 170]
- ءَاتَيْنَٰهُمُ [البقرة: 121]
- بِإِيمَٰنٍ [الطور: 21]
- وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ [النحل: 90]
- أُوتُواْ [البقرة: 101]
- وَأُوذُواْ [آل عمران: 195]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.285)

ضرب العطار في هذه الآيات الكريمات أمثلة لمدّ البدل عند ورش الذي يمدّه بثلاث أو أربع حركات لحروف المدّ الثلاثة، مثال الألف: (ءَادَمَ) المقطع الأوّل الذي يتألف من "صامت" وحركة طويلة يقدر مدّه ب: (ص+ح ح ح)، أو (ص+ح ح ح ح)، أما مثال الياء فجاء في المقطع الثاني من المتواليّة الصّوتيّة: (بِإِيمَٰنٍ)، وأما مثال الواو فكان في المقطع الأوّل من المتواليّة الصّوتيّة: (أُوتُواْ).

❖ أمثلة توال الحركات الثلاث (الألف، الواو، الياء) مع الهمزة في كلمة واحدة:

- مَآءً [البقرة: 22]
- دُعَآءً وَنِدَآءًۚ [البقرة: 171]
- شَآءَ [البقرة: 20]
- جَآءَ [النساء: 43]
- مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ [البقرة: 164]
- بَرِيٓءٌ [الأنعام: 19]
- إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ [التوبة: 37]
- وَلَا ٱلْمُسِيٓءُۚ [غافر: 58]
- لَتَنُوٓأُ [القصص: 76]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.286)

المدُّ الطويل: هو نوع من أنواع "المُدَّة الموضوعية" وله أسباب منها: مجيء الهمزة بعد الألف أو الواو أو الياء مباشرة في كلمة واحدة أو كلمتين؛ ونلحظ أن العطار وضع بعض هذه الآيات مثالا لهمزة بين بين، وليس هذا من باب تلك الهمزة فيما يظهر.

❖ أمثلة توالي الحركات الطويلة مع الهمزة في كلمتين كالتالي:

- بِمَآ أُنزِلَ [البقرة: 4]
- وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ [الأنبياء: 91]
- قَالُوٓاْ ءَامَنَّا [البقرة: 14]

وقد اختلف القراء في "المد المنفصل" الذي يكون في كلمتين، بمعنى أن الحركة الطويلة تكون في آخر المتوالية الصوتية وصوت الهمزة في أول المتوالية الصوتية التي تليها، فمنهم من يمده مدًّا طويلًا ومنهم من يقصره، ثم نبه العطار على أمور أخرى تتعلق بكيفية نطق الهمزة في قوله: "ينبغي أن لا [ألّا] تلكز الهمزة، ولا يعتمد عليها فتصير مشددة، بل يجب أن تخرج بعد حروف اللين إخراجا سهلا" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.286). يشير العطار في هذا النّصّ إلى كيفيّة التلفظ بالهمزة، إذا جاءت بعد حروف اللّين الثلاثة، ونبه على سلاسة التّلفّظ بها، وألا يتشدّد في نطقها، ووضّح العطار بقوله: "إن لم يكن قبل الياء والواو... حركتاهما خرجتا عن مضارعة الألف ودخلتا في شَبَهِ الحروف الصحاح في خلو المدّ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.286). يعني أنّ الياء والواو إذا لم تكن قبلهما الكسرة، والضمّة فلا يمدّان.

❖ أمثلة الياء والواو التي لم تسبقهما حركتهما في كلمة واحدة:

- شَيۡءٖ [البقرة: 178]
- شَيۡـٔٗا [البقرة: 48]
- مَيۡسَرَةٖۚ [البقرة: 280]
- دَيۡنٍۗ [النساء: 11]
- سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ [المائدة: 31]
- سَوۡءَٰتِكُمۡ [الأعراف: 26]

- قَوْمِ [آل عمران: 117]
- مَوْئِلًا [الكهف: 58]. (العطـار، 569هـ، التمهيـد في معرفـة التجويـد، ص.286)

نستخلص من الأمثلة السّابقة أنّ الأصل في الياء، والواو اللتين لم تسبقهما حركتهما أن تنطقا خاليتين من المدّ، إلّا إذا جاءت بعدهما همزة، فعندئذ يمدّان، كما في رواية ورش عن نافع بعد حروف المدّ الثلاثة، ونبه، ولكنّ مقدار هذا المدّ اختلف القراء في مدّته. وبلغة صوتية نقول إنّ التّلفّظ بالمدّ في حرفي الياء، والواو اللتين لم تسبقهما "صوائتهما" (الكسرة قبل الياء، والضّمّة قبل الواو) يعدّان من "الصّوامت" إلّا إذا كانت بعدهما الوحدة الصّوتيّة الهمزة فتزيد مدتّهما في النّطق لشبههما "بالصّوائت"، ويطلق عليهما مصطلح "أنصاف الصّوائت"، أو "أنصاف الصوامت"، على نحو أدق يقول بشر (2007): "والحقيقة أنّ هذه الأصوات من حيث النّطق الصّرف تقترب من الحركات في صفاتها. ولكنها في التّركيب الصّوتيّ للّغة تسلك مسلك الأصوات الصّامتة، ومن هنا كانت تسميّتها بأنصاف حركات، ويجوز تسميّتها بأنصاف صوامت" (ص.368). زيادة على ذلك فإنّ كونهما نواة لمقطع يليه مقطع آخر نواته الوحدة الصّوتية الهمزة كما في: (شَيْءٍ)، و(سَوْءَةَ) فالأصل في المقطع الأوّل أنّه يتكوّن من: (ص + ح + ص)، (CVC)، ولكنه لما كانت نواة المقطع الذي يليه صوت الهمزة كما في المتواليّة الصّوتيّة الواحدة تحوّل إلى "صامت" و"حركة طويلة": (ص+ح ح)، (CVV)، على قراءة من يمدّه مدّا طبيعيّا من القراء، وهناك من يمدّه بأربع، أو ست حركات، وبالتالي يتكوّن من: (ص + ح ح ح ح)، أو (ص+ ح ح ح ح ح ح).

❖ أمثلة الياء والواو اللتين لم تسبقهما حركتهما في كلمتين:

- "نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ [المائدة: 27]
- ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ [سبأ: 16]
- خَلَوۡاْ إِلَىٰ [البقرة: 14]
- وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ [النساء: 90]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

مثّل العطار في هذه الآيات على إظهار الياء، والواو الساكنتين الخاليتين من المدّ. ويفسّر صوتيّا بأنّ صوتي الياء، والواو إذا لم تتقدّم عليهما الصوائت القصيرة التي ينشآن منها كانتا "صوامت"، وبالإضافة إلى ذلك كونهما نواة لمقطع كما في: (تَيْ)، و(لَوْا) ونرمز لهما ب: (ص + ح +ص)، (CVC)، وبالتالي يجب إظهارهما أثناء الأداء الصّوتيّ.

❖ الياء المتحركة المكسور ما قبلها:

يحدثنا العطار(569هـ) بقوله: "إن تحركت الياء وانكسر ما قبلها وجب أن لا [ألّا] يُفْرَطَ في كسرها، لئلا تنشأ بعده ياء أخرى ساكنة، مخففة الياء أو مشددة" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.287). نبّه العطار إلى عدم زيادة مدّة حركة الحرف السّابق على الياء التي تحمل حركة، خشية حدوث ياء قبلها. صوتيّا يعني أنّ "الصّائت القصير" (الكسرة – الفتحة) الذي يليه صوت الياء الصامتة ينبغي ألّا تُزاد مدّة نطقه؛ لئلا يتحوّل إلى "صائت طويل"، كما سيأتي في الأمثلة الآتيّة.

❖ أمثلة الياء المتحركة المكسور ما قبلها هي:

- مِّن صِيَامٍ [البقرة: 196]
- مِن قِيَامٍ [الذاريات: 45]
- لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ [البقرة: 71]
- إِنِّيٓ [المائدة: 28]

- مِنِّيٓ [آل عمران: 35]
- وَلِيَ [ص: 23]
- على قراءة من فتح ياءات... الإضافة...
- غَنِيٌّ [البقرة: 263]
- وَلِيَّ [الأنعام: 51]
- فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا [مريم: 29]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.287)

ساق العطار في هذه الآيات الكريمات أمثلة للياء التي سبقتها حركة الكسرة، محذّرا القارئ من زيادة مدّتها، خشية حدوث ياء مدّيّة قبلها، أو اختفائها مع حركتها، منبها إلى عدم زيادة مدّة الكسرة التي قبلها وخاصة قبل ياء الإضافة في بعض القراءات، فتارة تكون الياء مدّية عند بعض القراء كما في رواية حفص عن عاصم المشتهرة بالمشرق، وتارة أخرى غير مدّيّة، كما في رواية ورش عن نافع المدني المقروء بها في المغرب العربي؛ ولأنّ القراءة سنة متّبعة، وبالتالي إذا زيدت مدّتها (الكسرة) تذهب الياء الأخيرة مع حركتها، فتتحوّل الكسرة إلى حرف مدّ. صوتيّا نقول إنّ صوت الياء "الصامتة" عند بعض أئمة القراءة يختفي نهائيّا بمجرّد زيادة مدّة "الصائت القصير" (الكسرة)، وتفسير ذلك أنّ تغيير نواة بعض المقاطع من "صامت" إلى "صائت طويل" يسقط المقطع الأخير من المتواليّة الصّوتيّة، كما في: (إِنِّيٓ) فإنّها في الأصل تتكوّن من ثلاثة مقاطع: (ص + ح + ص)، (CVC)، و(ص + ح)، (CVC)، و(ص +ح)، (CVC)، ولكنها بسبب زيادة مدّة "الصائت القصير" (الكسرة) تتحوّل إلى مقطعين فقط: (ص + ح + ص)، (CVC)، و(ص + ح)، (CVV).

نستنتج مما سبق أنّ الياء لها عدّة حالات الحال الأولى أن تكون قبلها فتحة ويقع عليها السكون، سواء وقعت بعدها همزة، أو حرف آخر في كلمة واحدة، والحال الثّانيّة أن تسبقها فتحة وتكون ساكنة، سواء جاءت بعدها همزة، أو حرف آخر في كلمتين، والحال الثّالثة مجيئها بعد الكسرة وعليها فتحة.

❖ الواو المتحركة المضموم ما قبلها:

يوضح العطار (569هـ) الواو المتحركة بقوله: "إن تحركت الواو وانضم ما قبلها وجب أن لا [ألّا] يفرط في ضم الحرف قبلها، كي لا تنشأ بعده... [بعدها] واو أخرى ساكنة، مخففة كانت الواو أو مشددة" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.287).

❖ أمثلة الواو المتحركة المضموم ما قبلها:

- قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص: 1]
- قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ [الملك: 29]
- هُوَ ٱلَّذِيٓ [التوبة: 33]
- عَدُوٌّ مُّبِينٌ [البقرة: 168]
- وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ [هود: 52]
- فِي عُتُوّ [الملك: 21]
- غُدُوُّهَا [سبأ: 12]. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.287)

يشير العطار في هذه الآيات الكريمات إلى الواو التي سبقتها الضّمّة ولم تحدث فيها شيئا من المدّ، بل بقيت مستقلة تحمل الحركات الثّلاث (الفتحة – الضّمّة – الكسرة)، منبها إلى عدم الإفراط في حركة الضّمّ التي قبلها، لأنّ ذلك يؤدي إلى إظهارها وتبيينها، سواء كانت مخفّفة، أو مشدّدة، فإذا أفرط في الحركة التي قبلها ستختفي وتذهب، حتى ولو كانت مشدّدة. وبلغة صوتيّة

نقول إنّ "الصائت القصير" (الضّمّة) إذا وقع بعده صوت الواو "الصّامت" ينبغي ألّا تزاد مدّته في النّطق، لأنّ ذلك يفضي إلى اختفاء صوت الواو الذي بعده، ويتحوّل "الصائت القصير" إلى "صائت طويل" ويسقط حينئذ المقطع الأخير من المتواليّة الصّوتيّة، كما في: (هُوَ) التي تتألّف من مقطعين، المقطع الأوّل يتكوّن من: "صامت" و"صائت قصير" (ص + ح)، (CV)، والثاني من: "صامت" و"صائت قصير" (ص + ح)، (CV)، فإذا زادت مدّة "الصائت القصير" في المقطع الأوّل سقط الأخير منهما.

- ❖ الياء والواو المفتوح ما قبلهما: يصفهما العطار (569هـ) بقوله: "إن سكنتا وانفتح ما قبلهما ولقيهما ساكن وجب تبيينُ حركة الياء بالكسر من وسط اللسان، وتبيين حركة الواو بالضم من الشفتين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.287). يبيّن العطار إظهار الياء والواو السّاكنتين اللتين قبلهما فتحة، وذلك بسبب مجيء حرف ساكن بعدهما، فتنطق الياء بالكسرة، والواو بالضّمّة، وهذه قاعدة عربية عندما يلتقي حرفان ساكنان يكسر الأوّل منهما، وكسره إظهار له.
- ❖ أمثلة الياء والواو المفتوح ما قبلهما:
  - طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ [هود: 114]
  - يُصۡحِبَنِي ٱلسِّجۡنِ [يوسف: 39]
  - فَإِمَّا تَرَيِنَّ [مريم: 26]
  - ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ [البقرة: 86]
  - فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ [البقرة: 94] ونظائرها... هذا على قراءة الجمهور... [و]عن نافع، باختلاس ضمة الواو من ذلك حيث كان... وفيه ثلاث قراءات أخرَ، إحداها فتح الواو، والثانية كسرها، والثالثة همزة

مضمومة مكان الواو. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.288)

يوضّح العطار في هذه الأمثلة إظهار الياء، والواو في حالة كونهما ساكنين، والسّكون هنا يعني أنّهما لم يعودا مدًّا خالصًا ولا صامتًا يحمل حركة كما في "يَعد" و"وَعد"، وإنّما جاءا بوصفهما حركة مزدوجة مع الفتحة التي تسبقهما، وهذا هو الشرط في إظهارهما وتبيينهما، وهذا بحسب القراءة التي يقرأ بها كلّ قارئ، لأنّ بعض القراءات تختلس الضّمّة التي على الواو، أو تفتحها، أو تكسرها، وأخرى تستبدل الواو بهمزة تحمل ضمّة إلى غير ذلك.

- ❖ الياء والواو الساكن ما قبلهما: يوضحهما العطار (569هـ) بقوله: "إن سكن ما قبلهما وجب أيضا تبيينهما، ولا سيما إذا كان الساكن ألفًا" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.289). يشير هذا النّصّ إلى أنّ الياء، والواو إذا تقدّم عليهما حرف ساكن وجب إظهارهما وتبيينهما، وخاصّة إذا تقدّم عليهما حرف الألف السّاكن، وفي الحقيقة أنّ الألف "صائت طويل"، وليس ساكنا، كما سبق بيان ذلك في مبحث الصّوامت والصّوائت.
- ❖ أمثلة الياء والواو الساكن ما قبلهما:
  - ءَايَةً [البقرة: 259]
  - يُوَيۡلَتَىٰ [المائدة: 31]
  - يُوَيۡلَنَآ [الأنبياء: 14]
  - مَا وَصَّىٰ [الشورى: 13]
  - إِنَّمَا يُوحَىٰٓ [الأنبياء: 108]
  - إِنَّمَا يُوَفَّى [الزمر: 10]
  - وَٱلۡيَوۡمِ [البقرة: 62]

- ٱلۡيُسۡرَ [البقرة: 185]
- ٱلۡوَقۡتِ [الحجر: 38]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.289)

بيّن العطار في تلك الأمثلة المواضع التي يجب فيها إظهار الياء، والواو، سواء كان ذلك في كلمة واحدة، أو كلمتين، وكذلك إذا كان قبلهما حرف الألف، أو حرف ساكن، خشية اختفائهما في النطق، لأنّ مراعاة ذلك يفضي إلى إظهارهما وأدائهما أداء صحيحا، فالإظهار هنا يعني أنّهما يحملان حركة مستقلة سالمة من الاختلاس.

- ❖ التقاء ياءين أو واوين: يشرح العطار (569هـ) هذا الالتقاء بقوله: "إن التقت ياءان أو واوان لم يَخْلُ التقاؤهما من أمرين: أحدهما أن تلتقيا وأولاهما ساكنة، والثانية أن تلتقيا متحركتين" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.289). يعني أنّ حرف الياء والواو يمكن أن يجاور كل منهما مثيله في حالتين، إمّا أن يكون الأوّل من المثلين حرف مدّ والآخر حرفا صحيحا يحمل حركة، وإمّا أن يحمل كل واحد منهما حركة خاصة به، ونلحظ بأنّ العطار وصف الياء والواو المدّيتين بالسّكون، وفي الحقيقة أنّهما "صوائت طويلة" مثل الألف، كما سيتبيّن في الأسطر الآتيّة.
- ❖ الحال الأولى: إشباع الكسرة يقول العطار: "إن التقت ياءان أولاهما ساكنة وجب إشباع الكسرة التي قبل الأولى" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.289). يوضّح هذا النّصّ الحال الأولى من تجاور الياء مع مثلها، وذلك بسبب زيادة مدة الكسرة التي تحت الحرف السّابق عليها، فتتحوّل الحركة القصيرة إلى حركة طويلة، كما سيتضح من خلال الأمثلة التالية.
- ❖ أمثلة إشباع الكسرة:
  - "فِي يَتَٰمَى [النساء: 127]
  - فِي يُوسُفَ [يوسف: 7]

- هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي [الأحزاب: 43]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.289).

نرى في هذا النّصّ أن الكسرة إذا أشبعت صارت ياء مدّيّة، وتقدّر بحركتين، وينتج عن هذا المدّ ياء في آخر الكلمة الأولى تليها ياء تحمل حركة سواء كانت مفتوحة، أو مضمومة في بداية الكلمة الموالية، وبالتالي لزم إظهار كلّ واحدة منهما. صوتيا نقول إنّ "الصّائت القصير" (الكسرة) لما زيدت مدّته تحوّل إلى "الصائت الطويل" (الياء) في آخر المتواليّة الصّوتيّة وفي بداية الثانيّة صوت الياء الصّامتة، كما في: (فِي يُوسُفَ) فالتّجاور لا يؤثر في النّطق بهما، بل يجب إعطاء كلّ واحد منهما حقّه ومستحقّه.

❖ الحال الثانية التقاء الواوين: يوضح العطار (569هـ) التقاءهما بقوله: "إن التقت واوان لم يَخْلُ من أن تكون قبل الأولى حركتها أو فتحة، فإن كان قبلها حركتها وجب تمكينها وتخفيف المفتوحة بعدها من غير إفراط... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران: 200]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.290). يوضّح العطار في هذه الجزئيّة مسألة التقاء الواوين، وكيفيّة نطقهما، وأنّ لهما حالتين، فإمّا أن تسبق الأولى حركة الضّمّ فيلزم مدّها، وإمّا أن تكون الثانية مفتوحة فحينئذ يجب عدم التكلّف في نطقها لأنها متحركة.

❖ مجيء الياء والواو بعد هاء الكناية: قال العطار (569هـ): "ويجري هذا المجرى الياء والواو اللاحقتان هاء الكناية إذا أتى بعدهما مثلهما... لِقَوْمِهِۦ يُقَوْمِ [المائدة: 20]، فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا [الأنبياء: 90]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.290). ومثل هذا يسري على هذا ياء الصلة وواؤها عند العروضيين.

❖ الواو التي ينشا المد من إطالتها

ذكر العطار في هذا النّصّ، أنّ الياء والواو الكائنتين بعد الهاء المكسورة أو المضمومة في آخر الكلمة، وتليها ياء أو واو أخريان مفتوحان في بداية الكلمة، فإنّ الأولى منهما تكون مدّا للهاء، والثانيّة تنطق نطقا سهلا، حتى لا يقع القارئ في المبالغة عند نطقها، فتفقد بعض صفاتها، وفي هذا الصّدد يشرح لنا العطار (569ه) سبب عدم جواز إدغامهما بقوله: "إنما لم يَجُز إدغام ذلك لأن الياء والواو هاهنا تشبهان الألف في السكون ومجانسة الحركة المتقدمة، فصار ذلك بمنزلة قولك: زورا ياسرًا، وأكرما واقدًا. وقد عرفت أن إدغام الألف غير ممكن" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.290). وعلق أستاذنا الدكتور رشيد بوزيان بأن العطار أخطأ في هذا الموضع وتابعته في ذلك ما معنى عدم جواز إدغام الياء المدية (ياء صلة الضمير) في الياء اللينة المفتوحة في أول الكلمة التي بعدها، "ويجري هذا المجرى الياء والواو اللاحقتان هاء الكناية إذا أتى بعدهما مثلهما... لِقَوْمِهِۦ يُقَوْمِ [المائدة: 20]، فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا [الأنبياء: 90]". وأضاف معللًا؛ وإنما أتي العطار من الخلط بين ما هو نسقي وما هو من شأن الخط والرسم.

❖ إدغام الواو في مثلها: بعدما تكلّمنا عن عدم جواز إدغام الواو في مثلها فيما سبق، سنذكر الحالة التي تدغم فيها: "إن انفتح ما قبل الواو الأولى نحو قوله: عَصَواْ وَّكَانُواْ [البقرة: 61]، وعَفَواْ وَّقالوا [الأعراف: 95]، وآوَواْ وَّنَصَرُواْ [الأنفال:72] وما أشبه ذلك، لزم الإدغام" (العطار، 569ه، التمهيد في معرفة التجويد، ص.290). يعني أنّ الواو تدغم في مثلها بشرط أن تكون الواو الأولى ساكنة في آخر الكلمة، والثّانيّة مفتوحة في بداية الكلمة التي تليها، وهذا مطرد في كل الحروف وليس خاصًا بالواو.

❖ التقاء ياءين متحركتين أو واوين: وما زلنا في ذكر أحوال التقاء الياء والواو، سواء كانتا مجتمعتين في كلمة، أو كلمتين، وسنتحدّث هنا في هذه الحالة عن حكمهما حيث يقول العطار

(569هـ): "إن التقت ياءان متحركتان أو واوان وجب تبيينهما معا لتتخلص إحداهما من الأخرى وذلك نحو قوله: فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ [النحل: 97]... وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٖۗ [هود: 66] وَوُفِّيَتۡ [الزمر: 70]، وَوَجَدُواْ [الكهف: 49]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.290). وتنصّ هذه الأمثلة على أهمّيّة إظهار الياءين، أو الواوين إذا كانتا متحرّكتين، ووجوب فصلهما في النّطق، حتى تفرز كل واحدة منهما على حدة، لذا نصّ العطار على ضرورة الحيطة والحذر من اختلاسهما.

- ❖ التقاء ياءين أو واوين الأول منهما مشدد: يشرح ذلك العطار (569هـ) بقوله: "إن كانت الأولى مشددة وجب أن تُعْتَمَدَ الخفيفة بالتخفيف والمشددة بالتشديد، لئلا تغلب إحداهما على الأخرى وذلك نحو قوله: وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ [الأنعام: 52]، ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ [الأحزاب: 13]، بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ [الأعراف: 205]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.290-291). فالياءان والواوان إذا كان أوّلهما مشدّدا والثّاني مخفّفا، نبه العطار على ضرورة إعطاء كل حرف منهما عناية خاصّة، فيراعي القارئ حالة النطق بهما فيشدّد الأوّل ويخفّف الثّاني، كما ورد في الأمثلة السابقة.
- ❖ الياءان أو الواوان المتحرك الأول منهما: يوضح العطار (569هـ) حكمهما بقوله: "إن تحركت الأولى وسكنت الثانية وجب تبيين حركة الأولى لتسلم الساكنة، وذلك نحو قوله: ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ [النساء: 11]، وٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ [التوبة: 52]، وَأَحۡيَيۡنَا [ق: 11]، قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ [الجاثية: 26]، ومَا وُۥرِيَ [الأعراف: 20]، يَلۡوُۥنَ [آل عمران: 78]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.291). وهذا لا يختلف عن سابقيه من الأمثلة، فيحثّ على وجوب إظهار الياءين، أو الواوين، إذا اجتمعتا في كلمة واحدة، وكانت الأولى منهما متحرّكة، والثّانيّة ساكنة، لئلا تختفي الياء، أو الواو الساكنتان، كما هو موضّح في الأمثلة.

7.2: التلفظ بحروف الحلق

إنّ التّلفّظ بالحروف يأتي على ثلاثة أقسام، أولًا: قسم التلفظ بحروف المد واللين، وسبق الكلام عليه في المبحث السابق. ثانيًا: قسم التلفظ بحروف الحلق، وهو الذي سنتطرق إليه في هذا المبحث. ثالثًا: قسم التلفظ ببقية الحروف المعجمة الذي سنبحثه لاحقا، وقد تناول العطار (569هـ) التلفظ بحروف الحلق مبيّنا الحاجة الماسة إلى إظهارها بقوله: "وهذه الأحرف تُحْوج إلى فَضْلِ تبيين...، لشدة تلامُحِها [لعل هناك تصحيفا في الكلمة: لشدّة تلاحمها] وتداخلها وتقارب مخارجها ومدارجها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.291). نستخلص مما سبق أن ظاهرة التبيين التي أشار إليها العطار في المبحث السابق تقتضي أنّ الإظهار لا يختص بالصوائت بل يشمل الصوامت الحنجرية والحلقية وغيرهما، وزيادة على ذلك، توجد فيها ظاهرة الإبدال الذي نخصّه بالبحث والتّنقيب، إذًا فما ماهية الإبدال فيها؟ وكيف بيّنها العطار في كتابه الذي بين أيدينا؟ وكيف تناول ظاهرة التّبيين فيها؟

أولًا: إبدال حروف الحلق

تعرف الحروف الحلقية ظاهرة الإبدال، التي تتّسم بقوّة تداخلها، وهذا ما نعرضه بتفصيل في الأسطر التاليّة.

أ- **إبدال الهاء من الهمزة:** بين العطار (569هـ) التداخل الواقع بين حروف الحلق في قوله: "ومما يدل على شدة تداخلها إبدال بعضها من بعض، ألا ترى أن الهاء أبدلت... من الهمزة في قولهم: أَرَقْتُ الماء وهرقته، وأنَرْتُ الثوبَ وهَنَرْتُهُ، وأَرَحْتُ الدابة وهَرَحتها، وإياك وهياك... قال: فهيَّاك والأمر الذي إنْ تَوَسَّعَتْ موارده ضاقت عليك مصادره" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.291). يتحدّث النّصّ عن إبدال الهاء من الهمزة، وذلك راجع إلى قوّة التّقارب والتّلاحم

في المخرج، لأنّ مجرى الحنجرة تخرج منه الهمزة والهاء، ولصعوبة التّلفّظ بالهمزة أبدلها بعض العرب بالهاء تسهيلا في النّطق، كما ورد في نثرهم، وشعرهم، وقد سبق أن ذكرنا أنّ الحنجرة هي أوّل المخارج، وأنّها مستقلّة عن مخرج الحلق كاستقلاله عن باقي المخارج الأخرى، وبالتالي فإنّ الهمزة والهاء حنجريتان، كما ذكر ذلك زاهيد (2005) في كتابه حركات العربيّة، (ص.31).

ب- إبدال الحاء من الهاء، والهاء من الحاء: وضح العطار (569هـ) تداخلهما، وأنه يبدل كل واحد منهما من الآخر، في قوله:

تداخل الهاء والحاء حتى تصير الحاءُ هاءً والهاء حاء، روينا أنّ النعمان بن المنذر قال لرجل ذكر عنده رجلا:

أردت كيما تَذِيمَهُ فَمَدَهْتَهُ...، أي كيما تَعيبهُ فَمَدَحْتَهُ. وقال رؤبة:

الله دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ

ويُرْوَى: المُزَّهِ، يريد: المُدَّحَ والمُزَّحَ.

وأنشد أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى لبعض بني سعد:

حَسْبُكِ بعض القولِ لا تَمَدَّهِي غَرَّكِ بِرْزَاغُ الشباب المزدهي

يريد: لا تَمَدَّحي، ويقال: شباب بُرْزُغٌ وَيُرْزُوعٌ وبِرْزَاعٌ، إذا تَمَّ. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.291-292)

يفسّر هذا النّصّ إمكانية إقلاب الهاء حاء والحاء هاء، حيث تحلّ كلّ واحدة منهما مكان الأخرى، وسبب ذلك تجاور مخرجيهما وشدّة التّلاحم بينهما، حتى صار ذلك أمرا اعتياديا في النّطق، تكلمت به العرب في شعرها ونثرها.

ت- إبدال العين من الحاء: فسر العطار (569هـ) إبدال العين بقوله: "تداخل العين والحاء، فإن العين في كلام قوم من العرب تصير حاء، في قولهم: مَحَهُمْ، يريدون: مَعَهُمْ، فإذا أدغموا قالوا:

مَحُمْ... وسمع عمر رجلا يقرأ هذا الحرف: لَيَسْجُنُنَّهُ عَتَّى حين... لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ [يوسف: 35]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.292).

والنّاظر في هذه الأمثلة من كلام الله –عزّ وجل– وكلام العرب يرى هذا التناغم والتّناسق في إبدال العين من الحاء، حيث استعمله العرب للتّخفيف، ولعلّ السبب في ذلك راجع إلى فنّ التّواصل، والتّخاطب في لهجات العرب، وقوّة إدراكهم وإبدالهم للحروف المتّحدة في المخرج، وهذا من بديع صنيعهم، وسليقة لسانهم.

ثانيًا: أحكام حروف الحلق

1. "الهمزة": يبيّن العطار (569هـ) طريقة نطق الهمزة بقوله: "إن الهمزة يجب أن تُخْرَجَ إخراجا سهلا على تُؤَدَة من غير لَكْزٍ ولا اعتماد عليها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.292). حذر العطار في هذا النّصّ من المبالغة في نطق الهمزة وعدم السلاسة والتّأنّي في إخراجها، ومن ناحيّة أخرى وضّح زاهيد (2005) مكان خروجها وكيفيّته قائلا: "فمخرج الهمزة من الحنجرة، وذلك بالتقاء الحبلين الصّوتيين وانفراجهما، ويجتمع الهواء مدّة من الزّمن يتبعه انفجار، فنسمع صوت الهمزة" (ص.65). ونرى في هذا النّصّ تبيين كيفيّة خروج الهمزة، وذلك بالتصاق الحبلين الصّوتيين وانفتاحهما، وينتج عن هذا الالتصاق والانفتاح حبس الهواء مدّة يسيرة، ثم يطلق دفعة واحدة. ويصفها بشر (2007) بقوله إنّ: "القول بأنّ الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرّأي الراجح إذ إنّ وضع الأوتار الصّوتيّة حال النّطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس" (ص.288). ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أن الهمزة تخرج من الحنجرة، وأنها صوت انفجاريّ، وأنّ القول الراجح فيها أنّها مزدوجة بين الجهر والهمس.

2. "الهاء": يوضّح العطار (569هـ) الطّريقة الصحيحة لإخراج الهاء بقوله: "يجب إخراجها بحيث تُسْمَعُ، لأنها خفية جدًا، ومتى ما لم يُتكَلَّف إظهارها خرجت كالهمزة الملينة" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.292). يعني أنه يلزم القارئ شيء من الجهد والطّاقة لكي ينطق الهاء نطقا صحيحا، لأنه إذا لم يقم به فسينقلب نطقها إلى نطق الهمزة المسهّلة.

3. تبيين العين، والحاء، والغين، والخاء: ذكر العطار (569هـ) حكم تجاورها لبعض الحروف بقوله: "يجب تبيينُها جدا، لبعد مخرجها، ولا سيما إذا سكنت الغين والخاء قبل الشين، نحو قوله: فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ [يس: 9]، يَغۡشَىٰ [الليل: 1]، يَخۡشَىٰ [طه: 3]، وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ [الأحزاب: 37] لئلا تصير الغين خاء والخاء غينًا" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.292). حذّر العطار في هذا النّصّ من مسألة في غاية الأهمّيّة، يجب على قارئ القرآن الكريم ألّا يتسرّع في النّطق بها، ألا وهي حروف العين، والحاء، والغين والخاء، فينبغي إظهارها، وتوضيحها، وخصوصا إذا كانت الغين، والخاء ساكنتين قبل حرف الشين، وذلك بسبب بعد مخرجها، خشية إبدال الغين بالخاء، والعكس، كما هو موضّح في الأمثلة آنفا.

4. حكم تجاور حرفين من الحروف الحلقية: تعرض العطار (569هـ) إلى الأحكام المتعلقة بتوالي حرفين حلقيين، سواء كانا في كلمة واحدة أو في كلمتين بقوله:

> فإن اجتمع اثنان من الحلقية، مِثْلَيْن كانا أو متقاربين، كانا بالتبيين أحرى، ذلك نحو قوله: ءَأَنتُمۡ [النازعات: 27]، وأَءِذَا [الإسراء: 49]، وأَُنَبِّئُكُم [آل عمران: 15]، وجَآءَ أَمۡرُنَا [هود: 40]، وهَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ [البقرة: 31]، وأَوۡلِيَآءُٓ أُوْلَٰٓئِكَ [الأحقاف: 32]، وٱلسُّفَهَآءُٓ أَلَآ [البقرة: 13]، وجَآءَ أُمَّةُۢ [المؤمنون: 44]، وشُهَدَآءَ إِذۡ [البقرة: 133]، وهَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ [النساء: 51]، ومن يَشَآءُ إِلَىٰ [البقرة: 142]، هذا على مذهب

أهل التّحقيق... وفِيهِۛ هُدٗى [البقرة: 2]، وبِأَفۡوَٰهِهِم [آل عمران: 167]، وجِبَاهُهُمۡ [التوبة: 35]، ونَطۡبَعُ عَلَىٰ [يونس: 74]، ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ [البقرة: 235]، ويَبۡتَغِ غَيۡرَ [آل عمران: 85]، وأَنۢبِئُهُم [البقرة: 33]، وٱللَّهُ أَعۡلَمُ [الأنعام: 124]، ونَبِّئۡ عِبَادِيٓ [الحجر: 49]، ووَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ [الأحزاب: 48]، ووَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ [المائدة: 13]، وعَلَيۡهِ عُكِفِينَ [طه: 91]، وعَنۡهُ حُجِزِينَ [الحاقة: 47]، وأَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا [الرعد: 37]، وتَسۡبِيحَهُمۡۚ [الإسراء: 44]، ويَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ [هود: 48]، ووَسَبِّحۡهُ [الإنسان: 26]، وأَبۡلِغۡهُ [التوبة: 6]، وعَنۡهُ غَٰفِلُونَ [يوسف: 13]، وأَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا [المؤمنون: 14]، ولَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ [طه: 91]، وفَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ [الزخرف: 89]، ووَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ [النساء: 46]، وأَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا [البقرة: 250]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.293)

يشير العطار في هذا النص إلى وجوب إظهار هذه الحروف الستّة: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء إذا توالى منها اثنان في كلمة أو كلمتين، وأوضح أنه لا فرق بين أن يكون الحرفان المتواليان متفقين في ذات الحرف أو حرفين مختلفين من هذه الحروف الستة المذكورة، وسواء أكانا متفقين في الحركة أم لا، فينبغي على القارئ مراعاة نطق كل واحد على حدة، من دونإفراط ولا تفريط في إظهارها، أمّا الهمزة المقصودة هنا فهي المحقّقة، لأنّ جميع هذه الحروف شديدة التماثل والتشابه عند الاستعمال، ولكون الحنجرة والحلق متجاورين.

نشير إلى أنّ إفراد حروف الحنجرة والحلق بالبحث وإعطائها عناية خاصة يمثل ضربًا من التعمق في دراسة الأصوات اللغوية، وفهما حسنا للظواهر الصوتية المختلفة وهذا ما يقرب هذا

المبحث من الدراسة الصوتية المعاصرة، وهو الأمر الذي سيق المبحث من أجل إثباته، وسنتعرض في المبحث الموالي لبقية الحروف.

8.2 التلفظ ببقية حروف المعجم

إذا كانت حروف الحلق تمتاز بالوقوف عندها ودراستها بعناية، وأخذ الحيطة والحذر في نطقها، فإنّ صاحب التّمهيد فصّل في فروعها وأصولها، حتى لا يبقى للقارئ إلّا الالتزام، وتطبيق القواعد التي نصّ عليها، من دونمبالغة ولا تقصير، كما خصّ بقية الحروف المعجمة بالبحث والتنقيب، حيث قال: "أما القسم الثالث: فإنه يشتمل على ما بقي من الحروف المعجمة، وهو عشرون حرفا" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.293).

هي كالتالي:

"الباء": تحدّث العطار (569هـ) عن حكم الباء حال مجاورتها للحروف بقوله: "ويجب أن يُتَوَقَّى فيها من التشديد، تحرك ما قبلها أو سكن، لأنها شديدة في نفسها، وذلك نحو قوله: أَعْلَمُ بِمَا [المائدة: 61]، ويَحْكُمُ بَيْنَهُمْ [البقرة: 113]، وإِيَّاكَ نَعْبُدُ [الفاتحة: 5]، ولِمَ تَعْبُدُ [مريم: 42] ونظائرها" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.293). يحذّر هذا النّصّ من النّطق بالباء مشدّدة، وخاصّة إذا سبقها حرف متحرّك أو ساكن، كما في الأمثلة الموضحة أعلاه، وذلك لأنّ من صفاتها الشدّة، فهي من: "المواضع التي يقف فيها مجرى الهواء وقفا تامّا عند إحداث الأصوات [أصوات] الوقفات الانفجاريّة في اللغة العربيّة، كما ينطقها مجيدو القراءات والمتخصّصون بها... هي:1- الشّفتان، وذلك بأن تنطبقا انطباقا تامّا كما في حالة الباء" (بشر، 2007، ص.247). فإذا لم يتفطّن القارئ حال نطقها سيزيد في تشديدها، وهذا مخل بقراءتها متجاورة مع غيرها من الحروف، أمّا مع مثلها يضيف العطار قائلا: " فإن التقت باءان متحركتان وجب أن تُبيَّنَا لتَتَمَيَّزَ إحداهما عن الأخرى، وذلك نحو قوله: ٱلْعَذَابُ بِمَا [الأنعام: 49]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.293). فيجب إظهار الباء

إذا تجاورت مع مثلها، حيث تكون الباء الأولى في آخر الكلمة والثانية في بداية الكلمة الموالية، شريطة أن تكون الباء متحركة في الموضعين، وسنذكر مجموعة من الحروف تشترك معها في الحكم، كما ذكرها العطار (569هـ) بقوله:

> وكذلك كل حرفين التقيا متحركين من كلمة واحدة أو كلمتين، وذلك نحو قوله: تَتَمَارَىٰ [النجم: 55]، وكِدتَّ تَرۡكَنُ [الإسراء: 74]، وثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ [المائدة: 73]، وثَمَانِيَ حِجَجٍ [القصص: 27]، وطَرَآئِقَ قِدَدًا [الجن: 11]، وعَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ [الحجر: 47]، وإِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٍ [المرسلات: 32]، وٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ [الحج: 2]، وفَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ [الأعراف: 176]، وتَعۡرِفُ فِي [المطففين: 24]، ومَا سَلَكَكُمۡ [المدثر: 42]، ووَإِن يَكُ كَٰذِبًا [غافر: 28]، وقَالَ لَهُمۡ [طه: 90]، وٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ [الفاتحة: 3-4]، ووَنَحۡنُ نُسَبِّحُ [البقرة: 30]، وهُوَۚ وَأُوتِينَا [النمل: 42]، وأَن يَأۡتِيَ يَوۡم [البقرة: 254] وما أشبه شيئا من ذلك. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.294)

يوضح هذا النص أنّ الحروف المتماثلة الواردة في هذه الأمثلة، يجب أن ينطق كل واحد منها بما كان ينطق به منعزلا عن غيره قبل الاجتوار، كيلا يسبّب التجاور إدغاما ولا اختلاسا. وتفسير هذا الإظهار صوتيّا هو أنّ صوت التاء، والثاء، والجيم، والقاف، والراء، والسين، والصاد، والفاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء إذا تكرر كل واحد منهما يبقى مستقلّا عن مماثله، وذلك لأنّهما يشكّلان مقطعين صوتيّين كما في: (تَ، تَ) من المتواليّة الصّوتيّة: (تَتَمَارَىٰ)، فإنّ المقطع الأوّل يتكوّن من: "صامت" و"صائت قصير"، وكذلك الثاني، وهلمّ جرّا.

إظهار الحروف المتقاربة والمتباينة

يقول العطار(569هـ) عن حكم الحروف المتقاربة والمتباينة إن: "حكم المتقاربيْن والمُتَبَايِنَيْنِ مثل حكم المتماثلين، وكذلك إذا توالى حرفان مشددان أو ثلاثة أحرف... مشدّدة، نحو قوله: قَدْ بَيَّنَّا [البقرة: 118]، وزَيَّنَّا [الأنعام: 108]، ووَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ [الفلق: 4] ونظائرها، فأخلق بتمييزها" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.294). لا شكّ في أنّ للحروف مستويات عدّة، يختلف كلّ مستوى عن الآخر في النّطق، فمستوى التّقارب بين الحروف قد يلحق بها بعض التّغيّرات، مثل: الإدغام، أو الاختلاس، أو التّفخيم، أو التّرقيق، أو التّخفيف، وللخروج من هذه التّغيّرات النّطقيّة يجب على قارئ القرآن الكريم أن يأخذها من القراء المتخصّصين بالتّلقّي، والمشافهة.

وبعد أن تحدّثنا عن مستويات الحروف من حيث التّغيّرات التي تحدث عند التّماثل، والتّقارب، والتّباين، فسنخصّص الأمثلة الآتيّة، للمزيد من التّوضيح والبيان، وسنقوم بالجمع بين الحروف التي يحذر من إبدال بعضها من بعض، حتى لا يقع القارئ في لحن تلاوة القرآن الكريم.

1. "التاء" و"الدال"

> وَلْيُتَعَمَّلْ لتخليصها لئلا تختلط بالدال، وذلك نحو قوله: أَنتَ [البقرة: 35]، ووكُنتَ [البقرة: 143] وكُنتُمْ [البقرة: 23]... ثم 'الدال' ويجب تبْيِينُها إذا سكنت بعد الجيم وقبل الخاء أو تحركت بعد الصاد، ولا سيما إذا كانت الصاد ساكنة، لئلا تصير بعد الجيم وقبل الخاء تاء، وبعد الصاد طاء. وذلك نحو قوله: فَتَهَجَّدْ [الإسراء: 79]، ويَدْخُلَ [البقرة: 111]، ويَدْخُلُونَ [النساء:124]، وَصَدَفَ [الأنعام: 157]،

وأَصۡدَقُ [النساء: 87]، فَٱصۡدَعۡ [الحجر: 94]، ويَصۡدُرُ [الزلزلة: 6].

(العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.294)

نبّه العطار على العناية بنطق حرف التّاء حتى لا تنقلب إلى الدال، وسبب هذا التبادل الحاصل بينهما في النّطق هو أنّ: "صوت الدال هو النّظير المجهور للتاء، وليس بينهما من فرق إلّا أنّ الوترين الصّوتيين يتذبذبان مع الدّال في أثناء النّطق" (بشر، 2007، ص.250). والحاصل أنّ التاء، والدال متفقتان في المخرج وتختلفان في الصفة إذ إن الأولى مهموسة، والثّانية مجهورة.

2. "الجيم" و"الشين"

ويجب تبيينها [الجيم] إذا سكنت قبل تاء أو هاء، لئلا تختلط بالشين، وذلك نحو قوله: ٱجۡتَبَىٰهُ [النحل: 121]، ويَجۡتَبِي [آل عمران: 179]، وٱجۡتَنِبُواْ [الحجرات: 12]، وٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ [الجاثية: 21]، وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ [الأنعام: 79] ونظائرها. ويجب أن تُظهر أيضًا إذا أتت بعد لام ساكنة نحو ٱلۡجَنَّةَ [البقرة: 35]، وَٱلۡجِبِلَّةَ [الشعراء: 184]، ٱلۡجَمَلُ [الأعراف: 40]، ٱلۡجَآنَّ [الرحمن: 15]، و ٱلۡجَحِيمِ [البقرة: 119] ونظائرها... ثم 'الشين' ويجب أن يُتَعَمَّلَ لإنعامها، وتفشيها، وذلك نحو قوله: شُهَدَآءَ [البقرة: 133]، وشُفَعَٰٓؤُاْ [الروم: 13] وشَرَاب [الأنعام: 70]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.294-296)

بيّن هذا النّصّ الحالات التي يجب فيها إظهار الجيم حتى لا تتحوّل إلى شين، وذلك إذا كانت ساكنة وبعدها تاء، أو جاءت بعدها هاء ساكنة، أو سبقتها لام التّعريف، ولها عدّة تحقّقات في نطقها، كما وصفها بشر (2007) أنّها: "صوت لثوي- حنكي وقفة- احتكاكيّة (مركب)...

مجهور. ورمزه. [dj] وهذه الصورة من النّطق متطوّرة عن الأصل السّابق، وعليها سار (ويسير) الثّقات من قراء القرآن الكريم" (ص.339). وأمّا الشّين فعلى القارئ أن ينطقها ناعمة، حتى لا: "يتحوّل صوت الشين إلى هذه الجيم عندما يصيبه الإجهار في بعض السّيّاقات في الأداء غير الدّقيق في النّطق" (بشر، 2007، ص.303). فينبغي أن ينتبه القارئ إلى صفة التّفشي فيها، لأنّه إذا لم يتفطّن لذلك عند نطقها صارت جيما.

3. **"الذال" و"الثاء":**

"ويجب إظهارها [الذال] من قوله: ٱلۡعَذَابِ [البقرة: 49] وبابه، لئلا تمتزج بالثاء... ثم 'الثاء' وَلۡتُمَيَّزُ من الذال، نحو قوله ٱلثَّرَىٰ [طه: 6] ومَثۡنَىٰ [النساء: 3] ومَثۡوَىٰكُمۡ [الأنعام: 128]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.294-295). يشير هذا النّصّ إلى التّقارب الحاصل بين الذّال والثاء، وأنّه يلزم القارئ تبيين الأولى حتى لا تختلط بالثّانيّة لأنّه: "لا فرق بينهما إلّا أنّ الأوتار الصّوتيّة تتذبذب في حال النّطق بالذّال، ولا تتذبذب في نطق الثّاء" (بشر، 2007، ص.298). لذا يتضح أن الفرق بينهما في صفتي الجهر والهمس، فإذا لم ينتبه القارئ إلى تذبذب الحبلين الصّوتيّين عند نطق الذال، فإنّها ستتحوّل إلى ثاء.

4. **"السين"**

ويجب تصحيحها وتَصْفِيَتُها، وأَجْدِرْ بذلك إذا سكنت بعد الراء [سكنت قبل الراء]، لئلا تصير صادا، وذلك نحو قوله: إِسۡرَٰٓءِيلَ [البقرة: 40]، وٱلۡأَسۡرَىٰ [الأنفال: 70]، و أَسۡرَىٰ [الإسراء: 1] ونظائرها. ويجب أيضا إظهارها إذا سكنت قبل التاء، مع مجانبة تشديد التّاء، وذلك نحو قوله: لَسۡتَ [النساء: 94]، ولَسۡتُمۡ [المائدة: 68]، ولَسۡتُنَّ [الأحزاب: 32] ونظائرها. وفي باب افتعل واستفعل، نحو ٱسۡتَوَىٰ [البقرة: 29] ويَسۡتَوِي

[النساء: 95]، ووَٱسۡتَغۡنَى [التغابن: 6]، ووَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ [الفاتحة: 5]، وأَن يَسۡتَقِيمَ [التكوير: 28] ونظائرها... قرأت على يعقوب الحضرمي...، فبلغت إلى قوله – عز وجل–: وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ [الحج: 65] فقال: يا سهل، سمِّعْني صفير السين. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.295)

نرى أنّ من الظواهر الأدائيّة التي تعتري الحروف، مثل: صفاء النّطق في حرف السّين، وإظهارها وخاصّة إذا كانت ساكنة قبل حرفي الراء والتاء، حتى لا تنقلب إلى صاد، ويجتنب تشديد التاء التي تأتي بعدها، كما جاء في الأمثلة السّابقة: "بأن يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا، مع التقاء مقدمته باللثة العليا مع وجود منفذ ضيّق للهواء فيحدث الاحتكاك. ويرفع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف. ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة حال النطق به" (بشر، 2007، ص.301). فعلى القارئ أن يبيّنها حال الأداء الصوتي بها، خشية تأثرها، أو تأثر الحرف المجاور لها.

1. "الصاد" و"الضاد" والطاء" و"الظاء"

ويجب... تسمين الصاد، وتجويد الضاد، ولا سيما إذا أتت بعدها الظاء، نحو قوله: يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ [الفرقان: 27]، وأَنقَضَ ظَهۡرَكَ [الشرح: 3]، ويجب أن يُتَوَقَّن [يتوقّى] من تشديد الطاء، لأنها شديدة في نفسها. فأما الظاء فيجب أن تُظْهَرَ وتُبَانَ، لئلا تمتزج بأختيها الذال والثاء. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.296)

نبه العطار في هذا النص إلى العناية بنطق حروف الإطباق، وخاصة إذا تجاورت مع مثيلاتها، بأن تفخم الصاد، وتحسن الضاد، وتجتنب المبالغة في تشديد الطاء، وتبيّن الظاء حتى

لا تختلط بالذال، والثاء، لأنّ الصاد كالسين: "مع فارق الإطباق (التفخيم) الناتج عن ارتفاع مؤخر اللسان تجاه الحنك الأعلى ورجوعه قليلا إلى الخلف" (بشر، 2007، ص.301-302). والضاد إذا تلاها حرف الظاء لزم تبيينها لأنّ الأولى من داخل الفم، والثّانيّة من خارجه: "اللسان مع الظاء يرتفع مؤخره تجاه أقصى الحنك الأعلى، كما يرجع إلى الخلف قليلا، فيحدث الإطباق (التفخيم)، كما هو الحال في نطق الصاد والضاد والظاء" (بشر، 2007، ص.299). وبالتالي يتضح لنا أن حروف الإطباق متّحدة في المخرج، ومتقاربة في الصفات.

1. "الراء":

> ويجب ترقيقها، ساكنة كانت أو متحركة، وَلْيُجْتَنَب من الهَرْهَرَةِ بها، وذلك نحو قوله: أَنِ ٱشْكُرْ لِي [لقمان: 14]، و وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ [العنكبوت: 17]، و إذا وَلِيَتْهَا أُخْتُهَا نحو قوله: شَهْرُ رَمَضَانَ [البقرة: 185]، وتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ [المائدة: 89]، وٱلْأَبْرَارِ رَبَّنَا [آل عمران: 193-194]... مما ينبغي للقارئ أن يتفقد في قراءته إرقاق [ترقيق] الراء إذا كانت خفيفة متحركة أو ساكنة، كقوله: قُلْ أَمَرَ رَبِّي [الأعراف: 29] و وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا [النحل: 77] ونَّغْفِرْ لَكُمْ [البقرة: 58]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص. 295)

لعلّ هذا الترقيق الذي ذكره العطار في الراء، سواء كانت خالية من الحركات أم لا، قراءة من القراءات غير منتشرة في الأقطار، لأنّ الأصل في الراء التفخيم إلّا إذا كانت مكسورة، أو ساكنة وقبلها حرف مكسور، كما قال بشر (2007) في كتابه علم الأصوات (ص.404-407). فالراء صوت يحدث عن: "تكرار ضربات اللسان على مؤخر اللثة تكرارا سريعا. ومن ثم كانت تسميّة الراء بالصوت المكرر. ويكون اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين. وتتذبذب

الأوتار الصوتية عند النطق به" (بشر، 2007، ص.345). وبالتالي يتبين أن من صفات الراء التكرار، فلا ينبغي الزيادة فيها حتى لا يصير معيبا عند القراءة.

2. "الزاي": "ويجب أن يُزَلْزَلَ بها، نحو قوله: زَبُورًا [الإسراء: 55]، وكَنَزْتُمْ [التوبة: 35]، وَٱسْتَفْزِزْ [الإسراء: 64]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص. 295). بين العطار وجوب تبيين الزاي، حتى لا يقع القارئ في تفخيمها، وهو نظير السين المجهور.

3. "الفاء": "وليتلطَّف لإخراجها وتمييزها من الحرف الذي بينها وبين الباء، نحو پور، وذلك نحو قوله: فَاطِرِ [الأنعام: 14]، وفُكِهَة [يس: 5]، وفَأَوْلَىٰ [محمد: 20]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.296). يعني أنّ القارئ يحتاج في نطق الفاء، أن يكون متلطّفا لئلا يجعلها مجهورة كما أكّد ذلك بشر (2007) بقوله: "وليس للفاء نظير مجهور في اللغة العربيّة، ومن ثم يخطئ كثير من العرب في نطق صوت [v] في لغة كالإنجليزية مثلا في نحو victory، فينطقونه مهموسا (لا مجهورا) متأثرين بعاداتهم النّطقية للفاء العربية المهموسة" (ص.297). وهذا يدلّ على دقّة العطار في تحرير نطق هذا الحرف، كما تبعه كمال بشر في بيان الخطأ الحاصل في نطق الفاء.

4. "القاف": "ويجب أن تُحْفَظَ من التشديد إذا أَتت بعد نون ساكنة أو تنوين نحو: من قَبْلُ [البقرة: 25]، وَمَن قَالَ [الأنعام: 93] وسَمِيع قَرِيب [سبأ: 50]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.296). ذكر العطار أهمية النطق بالقاف إذا جاءت بعد نون ساكنة أو تنوين، وأن يُبقي القارئ ما فيها من التشديد، حيث يقول بشر (2007): "استقر للعرب رأيهم في أن القاف مجهورة، وأنها من أصوات القلقلة لانتظامها صفتي الشدة والجهر، شأنها في ذلك –على رأيهم – شأن أخواتها المقلقلات، وهي بهذا الوصف ينبغي أن تنطق قصيّة لا لهويّة" (ص.387).

نستشف من هذين النصين أن صفة الشدة لازمة في القاف لذا نبه العطار على عدم الزيادة فيها، وخاصة إذا جاءت بعد النون الساكنة والتنوين.

5. **"الكاف"**: "ويجب تفخيمها" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.296). نص العطار على أنّ من صفاتها التّفخيم والمقصود به كما وضّح ذلك بشر (2007) بقوله: "الهواء عند النطق بالكاف يقف وقوفا تاما، بحيث لا يسمح بمرور الهواء ألبتة [البتة]، لالتقاء أي التصاق أقصى اللسان بأقصى الحنك، وفجأة وبسرعة ينفصل العضوان بعضهما عن بعض انفصالا تاما فيخرج الهواء منفجرا" (ص.309). ومن هنا نستخلص أنّ الكاف صوت انفجاري، مهموس.

6. **" اللام"**:

> ويجب إظهارها إذا سكنت قبل نون، لئلا تندعم، وذلك نحو قوله: قُلْنَا [البقرة: 34]، وجَعَلْنَا [البقرة: 125]، ووَظَلَّلْنَا [البقرة: 57]، وأَنزِلْنِي [المؤمنون: 29]، وأَدْخِلْنِي [الإسراء: 80] وأَكْفِلْنِيهَا [ص: 23]، ونظائرها. وَلْيُجْتَنَبْ مع ذلك تحريكها، والتخلص من ذلك أَنْ يُلْصَقَ طرف اللسان بما حاذاه من الحنك من مخرج اللام، ثم يُنْطَقَ بالنون من غير أن يضطرب اللسان باللام، لتسلم من التحريك. ويجب أيضا ترقيقها ساكنة كانت أو متحركة خفيفة كانت أو ثقيلة، وذلك نحو قوله: بَلْدَةً [الفرقان: 49]، وغِلْظَةً [التوبة: 123]، وقُلْتُمْ [البقرة: 55]، ويَلْتَفِتْ[هود:81] وثُمَّ ٱجْعَلْ [البقرة: 260]، وأَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً [آل عمران: 154] وأُحِلَّ لَكُمْ [البقرة: 187] ونظائرها. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.297)

وضح العطار في الموضع أعلاه، أنّ الأصل في اللام الترقيق، وذلك في عدّة مواضع، أن تكون ساكنة أو متحركة بإحدى الحركات الثلاث الفتحة والضمة والكسرة، سواء كانت مشدّدة أو غير مشدّدة، وذكر أنها تنطق مظهرة إذا كانت ساكنة قبل حرف النون، وحذر القارئ من النطق بها متحركة في هذه الحالة، ووصف طريقة نطقها الصحيح، ثم ذكر حالات تغليظها بقوله: "إذا انفتحت بعد صاد أو ظاء...، نحو: ٱلصَّلَوٰةَ [البقرة: 3]، وصَلَوٰت [البقرة: 157]، وصَلَّىٰ [القيامة: 31]، وظَلَمَ [البقرة: 231]، وظَلَمُواْ [البقرة: 59]، فإنّ ذلك وما يجري مجراه لا يؤخذ به ما وُجِدَ مندوحةٌ عنه" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.297). ويوضح ما ورد في هذا النص قول بشر (2007): "أن اللام تفخم أيضا إذا وقعت بعد حرف من حروف الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء)... وفي رأينا أيضا أن هذا التفخيم يقع سواء أكان حرف الإطباق السابق مفتوحا... أم مضموما كما في نحو: صُلّى عليه، ضُلّل، أم ساكنا كما يطلق" (ص.408). ولها حالتان مع لفظ الجلالة، الأولى أن تكون مفخمة كما يقول العطار (569هـ):

> فأما اللام من اسم ٱللَّهِ المُعَظَّم فيجب أن يُنظر إلى ما قبل الاسم، فإن انفتح أو انضم وجب تفخيمه، وذلك قوله: تَٱللَّهِ [يوسف: 73]، و وَإِلَى ٱللَّهِ [البقرة: 210]، وإِنَّ ٱللَّهَ [البقرة: 20]، وقَالَ ٱللَّهُ [آل عمران: 55] ورُسُلُ ٱللَّهِ [الأنعام: 124] وما أشبه ذلك. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.297-298)

يعني أن تفخيم اللام في اسم الجلالة بحسب الحركة التي قبله، إن كانت فتحة أو ضمة تفخم حينئذ، كما جاء في الأمثلة أعلاه. والحالة الثانية أن تكون مرققة، بيّنها العطار (569هـ) بقوله:

فإن كان المفتوح أو المضموم قبل الاسم لامًا خفيفة أو ثقيلة وجب ترقيقها، وتفخيم الاسم، وذلك نحو قوله: وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ [النساء: 83]، وجَعَلَ ٱللَّهُ [النساء: 5]، ووَأَحَلَّ ٱللَّهُ [البقرة: 275]، وما أشبه ذلك. فإن انكسر ما قبل الاسم وجب ترقيقه، نحو قوله: بِٱللَّهِ [البقرة: 8]، وأَفِي ٱللَّهِ [إبراهيم: 10]، وصِرَٰطِ ٱللَّهِ [الشورى: 53]، وما أشبه ذلك. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.297-298)

يشير هذا النص إلى أن اللام المفتوحة والمضمومة قبل اسم الجلالة ترقق، سواء كانت مشدّدة أو مخفّفة، كما يرقق اسم الجلالة المسبوق بالكسرة، فاللام المضمومة والمفتوحة تجلب التفخيم لاسم الجلالة، كذلك اسم الجلالة يجر الترقيق لها، ثم انتقل من تفخيم اللام وترقيقها إلى ذكر الحروف التي تدغم فيها بقوله:

واعلم أن لام المعرفة تدغم في القرآن وغيره في ثلاثة عشر حرفًا، لمقاربتها هذه الحروف وموافقتها لها، النون نحو قوله: ٱلنَّبِيُّ [آل عمران: 68]...، والراء نحو قوله: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [الفاتحة: 1]...، والدال نحو قوله: ٱلدِّينِ [الفاتحة: 4]...، والتاء نحو قوله: ٱلتَّوَّابُ [البقرة: 37]...، والظاء نحو قوله: ٱلظَّنَّ [النساء: 157]...، والصاد نحو قوله: ٱلصِّرَٰطَ [الفاتحة: 6]...، والزاي نحو قوله: ٱلزَّكَوٰةَ [البقرة: 43]...، والسين نحو قوله: وَٱلسَّحَابِ [البقرة: 164]...، والطاء نحو قوله: ٱلطَّيِّبِ [آل عمران: 179]...، والثاء نحو قوله: ٱلثَّمَرَٰتِ [البقرة: 22]...، والضاد نحو قوله: وَلَا ٱلضَّآلِّينَ [الفاتحة: 7]...، والشين نحو

قوله: ٱلشُّهَدَآءُ [البقرة: 282]...، والذال نحو قوله: جَنَاحَ ٱلذُّلِّ [الإسراء: 24]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.297-298)

نرى أن هذا النص يحدد الحروف التي تدغم لام المعرفة الشمسية فيها وهي التي نظمها الجمزوري (1198هـ) بقوله: "ثَانِيهِمَا إِدْغَامُهَا فِي أَرْبَعِ ... وَعَشْرَةٍ أَيْضًا وَرَمْزَهَا فَعِطِبْ ثُمَّ صِلْ رُحْمًا تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ ... دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ" (تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، ص.5). ونلاحظ أن العطار اقتصر على ثلاثة عشر حرفا، ولم يذكر إدغام اللام في مثلها، الذي ذكره الجمزوري في نظمه.

1. "الميم":

> ويجب إظهارها إذا كانت ساكنة عند الواو والفاء، وإخفاؤها فيما عداها، وإظهارها عند الواو أسهل منه عند الفاء، وذلك أنّ الميم توافق الواو في المخرج فأما عند الفاء فَيُحْتَاج فيها إلى تكلف، لأن الفاء بانحدارها إلى الفم باعدت الميم، وذلك نحو قوله: عَلَيۡهِمۡ وَلَا [الفاتحة: 7]، وعَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ [البقرة: 64]، ومِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ [المجادلة: 14]، و هُمۡ فِيهَا [البقرة: 39]، وفَأَنتُمۡ فِيهِ [الروم: 28]، و وَهُمۡ فَٰسِقُونَ [التوبة: 84]، وما أشبه شيئا من ذلك. وأكثر أهل الأداء على إظهارها أيضا عند الباء نحو قوله تعالى: هُم بِمُؤۡمِنِينَ [البقرة: 8]. (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.299-300)

نستنتج من هذا النص وجوب إظهار الميم الساكنة إذا تجاورت مع الواو والفاء والباء، والسبب في ذلك اتحادها في المخرج، إلا أن الفاء تزيد عليها، فهي صوت "شفتي أسناني" يعني أنها تخرج من الشفة السفلى والثنايا العليا، وتخفى مع بقيّة الحروف، ووصف بشر (2007) طريقة

نطق الميم بقوله: "تنطبق الشفتان انطباقا تاما عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبسا تاما في الفم، ويخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط، وتتذبذب الأوتار الصوتية بصوت الميم" (ص.348). وهكذا تقرر أنّ صوت الميم مخرجه الشفتان، ويختلف عن الواو، والباء، والفاء في بعض الصفات كما مر معنا بالتفصيل في مبحث صفات الحروف، والحاصل مما سبق لزوم إظهار الميم إذا سكنت، والحذر من إخفائها أو اختلاسها، لأنّ ذلك يؤدي إلى اللحن في القراءة.

2. "النون": "واعلم أن النون الساكنة الأصلية والتنوين على أربعة أضرب: مُظْهَرَةٌ، ومدغمة، ومخفاة، ومقلوبة. فأما الإظهار فعند الأحرف الحلقية لتباعدها منها وأشد الحلقية منها تباعدا الهمزة والهاء والعين والحاء وأخفاها بعضهم عند الغين والخاء..." (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص 301). وقد أقر العطار في هذا النص أن أحكام النون الساكنة والتنوين أربعة، وسبق أن تناولناها بالتفصيل في مبحث الحروف الفرعية، وأما كيفية نطقها فيصفها بشر (2007) قائلا: "عند النطق بصوت النون يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة فيقف الهواء أو يحبس، وينخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف، وتتذبذب الأوتار الصوتية" (ص.348). وبصفة عامة فالنون الساكنة لها حالات وتغيرات، ينبغي للقارئ أن يلتزم بها، حال تلاوته لكتاب الله.

عموما نستنتج مما سبق أن للتلفظ بالحروف، ما عدا المد واللين، وكذلك حروف الحنجرة والحلق، تغيرات من بينها الإبدال والإظهار والإدغام، وقد استفاض صاحب المتن المدروس في مسألة الإظهار حتى لا يزل القارئ فيها باختلاسها أو تشديدها، لذا حذّر العطار من الإفراط والتفريط في نطقها، لأنّ ذلك يؤدي إلى اللحن فيها، وقد فصلنا القول في كل حرف، سواء أكان من قبيل علم التجويد أو علم الأصوات الحديث.

وخلاصة القول في هذا الفصل أنّ مفهوم علم التّجويد، مر بمراحل عديدة، سواء في اللغة، أو في الاصطلاح، أو في علم الأصوات الحديث، وهو يدلّ على الإتقان، والإحكام، والحسن، والجمال في القراءة، وأنّ له أسسا اعتمدها الأوّلون من جيل الصحابة –رضي الله عنهم–، حيث تلقّوا هذا العلم مشافهة من رسول الله ﷺ وسار على نهجهم علماء هذه الأمة، وكتبوا فيه مؤلفات حتى لا يزيغ أحد بعدهم، وذكر العطار مصطلح "التّغنّي" الممدوح منه والمذموم، وتطرق كذلك لمصطلح اللحن الذي يدل على الخطإ في التلاوة. وحذر علماء التجويد منه لأنه يقود إلى إفساد كلام الله –تعالى– وتغيُّر معنى بعض الكلمات، ومن هنا تتّضح العلاقة الوطيدة بين علم اللغة، وعلم التّجويد، وعلم الأصوات الحديث في دراسة الحروف بالتفريق بين المصوّت وغيره، وكذلك دراسة مخارجها وصفاتها، ومن خلالها يظهر الخلاف الحاصل بين القدامى والمحدثين في عدد مخارج الحروف، إذ إنّ القدامى جعلوها ستة عشر أو سبعة عشر مخرجا، بينما يرى أصحاب علم الأصوات أنّها أحد عشر أو عشرة أو تسعة أو ثمانية مخارج، وقسم الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ) الحروف على تسعة أحياز، وقسمها العطار (569هـ) على ثمانية أحياز، ويرجع اختلافهما في هذا التقسيم إلى مخرجي الجوف والحنجرة، فقد اعتبر الفراهيدي الجوف مثل بقية الأحياز، خلافا للعطار فقد اعتبر الجوف مخرجا مقدرا لا يتساوى مع أمثاله. وذكر الفرق بين الحروف الأصلية والفرعية عند القدماء وتقسيمها إلى مستحسن ومستقبح، ومرجع ذلك الاستخدام القرآني وديوان الشّعر. فإتقان صفات الحروف ومخارجِها يجعل تلاوة القرآن صحيحة من دونلحن فيه، واتفقوا في أغلب هذه الصفات، فالصّفات التي ذكرها كلّ من سيبويه (180هـ)، وابن جني (392هـ)، والداني (444هـ)، والعطار (569هـ) تشترك فيما بينها، غير أنّ بينها اختلافا بسيطا في العدد، إذ إن سيبويه، وابن جني مهدا للداني والعطار ومن حذا حذوهما، وبيّنا النّطق السّليم لحروف المد واللين حال القراءة بها، وأنها تؤدي دورا مهما أكثر من غيرها لكونها ناشئة عن

الحركات، وأنّ العناية بدراستها تقي قارئ القرآن من اللحن فيه، وإفراد حروف الحنجرة والحلق بالبحث وإعطاؤها عناية خاصة يمثل ضربا من التعمق في دراسة الأصوات اللغوية، وفهما حسنا للظواهر الصوتية المختلفة وهذا ما يقرب هذا المبحث من الدراسة الصوتية المعاصرة، وأن التلفظ بالحروف ما عدا المد واللين، وكذلك حروف الحنجرة والحلق، لها تغيرات من بينها الإبدال والإظهار والإدغام، وقد استفاض صاحب المتن المدروس في مسألة الإظهار، لذا حذّر من الإفراط والتفريط في نطقها، لأنّ ذلك يؤدي إلى اللحن فيها، وقد فصلنا القول في كل حرف، سواء أكان من قبيل علم التجويد أو علم الأصوات الحديث.

الفصل الثالث: الظواهر التطريزية (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)

يعد التنويع الصوتي وسيلة مهمة لنقل المعلومات والأفكار والمشاعر بشكل فعال، ويعين على الإدراك، ويساعد على الفهم، والإدراك، ولِلغة المنطوقة طرق عديدة يلجأ إليها المتحدث المدرك لطبيعة ما يقول، حتى يستطيع أن يعطي المطلوب لصوته المطرّز.

1. استثمار الحركات الطويلة عند القراءة

تحدّثنا في الفصل السّابق عن بعض القضايا الاصطلاحية الصّوتيّة القطعية في علم التّجويد، وبعض حقوق الحروف من حيث التلفظ بها، وسنضيف في هذا الفصل قضايا قطعية وفوق قطعية، ومن بين الظواهر التي سنذكرها: الحركات الطويلة عند القراءة. ولئن كانت الحروف جميعها قد استوفت حقوقها من حيث التلفُّظُ بها فإنّ بعضها (الحركات الطويلة) مرشّح –بحكم صَائِتِيَّتِهِ ومرونته الفائقة– للاستثمار أكثر من غيره في الأداء الصوتيّ، وهو أمر سيتّضح في المبحث الأول من الفصل الآتي.

أولا: أهمية الحركات الطويلة

اعتنى علماء التّجويد بالحركات الطويلة وما يعتريها من الطّول والقصر في المدّة التي تستغرقها أثناء الأداء الصّوتي للقرآن الكريم، وقد وضحوا أهمية الحركات الطويلة في الآيات الكريمات، كما هو موجود في السلسلة الكلامية التي تتألف منها اللغة العربية على المستوى القطعي، فهي تتكون من مستويين رئيسيين:

المستوى الأول: المستوى القطعي ويركز فيه على "الصوائت" و"أنصاف الصوائت" و"الصوامت".

المستوى الثاني: المستوى فوق القطعي وتدرس فيه القضايا التّطريزية مثل النّبر والتّنغيم وما أشبه ذلك، يقول العطار (569هـ):

بدأنا باللينة لأنها أكثر دورا من غيرها، والحركات ناشئة عنها، فأما حكمها فإنه لا تخلو من أن تَلِيَهَا أخواتها أو الهمزة أو حرف سوى ذلك. فأما الألف فلا يمكن ائتلافها مع مثلها، وقد تأتلف الياءان والواوان، وإذ قد ثبت ذلك فاعلم أن الألف لا تكون إلا ساكنة مفتوحا ما قبلها، ولا خلاف في تمكينها، فأما الياء والواو فمتى سكنتا بعد حركتهما وَجَبَ تمكينهما كالألف من غير إفراط ولا إفحاش. (التمهيد في معرف التجويد، ص.285)

ويشير هذا النّص إلى أنّ دور "الحروف اللّيّنة" (الألف –الياء – الواو) أكثر من غيرها من الحروف المعجمة الأخرى، وأنّ الحركات أبعاضها، وأنّ مدّتها الزمنية التي تستغرقها أعضاء النّطق لها تختلف بحسب اختلاف الحروف التي تأتي بعدها، سواء كان ذلك الحرف مماثلا للياء والواو أو من بقية الحروف المعجمة. وأنّ الألف تبقى ألفا مهما كان مدّها، وأما الياء والواو فيمكن مدّهما بأمثالهما، فالياء تمدّ بياء أخرى نحو: "يَسۡتَحۡيِۦٓ" [البقرة: 26]، والواو تمدّ بواو أخرى مثل: "دَاوُۥدُ" [البقرة: 251]. وبيّن العطار (569هـ) أنّ الألف لها ميزة تتميّز بها عن الياء والواو، وهي أنّها لا تكون إلّا ساكنة وبهذا تكون أشدّ توغّلا منهما في المدّ، ولها شرط واحد: تقدّم الفتحة عليها. أمّا الياء والواو فيشترط لطول مدّتهما الزّمنية شرطان رئيسان: أولًا أن يكونا ساكنين، وثانيًا: تقدّم الكسرة على الياء، والضّمة على الواو.

ونستنتج مما سبق أنّ الحرف الممدود سواء كان ممدودا بالياء أو بالواو يتكوّن من ثلاثة عناصر: حرف، وحركة، وحرف مدّ، وهذا لا يتماشى مع علم الأصوات الحديث إذ يعدّه مقطعا واحدا يتكوّن من حرف وحركة طويلة (ص–ح ح) سواء في ذلك المقطع المتحرك بالفتح أو الكسر أو الضّمّ، (زاهيد، 2005م، ص.51). وقد بيّن العسس (2010) أحوال حروف "المدّ" و"اللّين" بقوله:

الياء والواو تارة توصفان بحرفي 'المدّ' و'اللّين' وذلك إذا سكنتا وانكسر

ما قبل الياء وانضم ما قبل الواو، وتارة توصفان بحرفي اللين فقط وذلك

إذا سكنتا إثر فتح، وإذا خلتا من هذين الوصفين بأن كانتا متحركتين بأي حركة كانت كانتا حرفي علة فقط والأمثلة غير خفية. وأما الألف فلا توصف إلا بحرف المد واللين وهذا الوصف لازم لها لأنها لا تتغير عن سكونها ولا عن فتح ما قبلها بخلاف الواو والياء. (ج1، ص.268)

فالياء والواو لهما ثلاثة أحوال: الحالة الأولى: أن يكونا حرفي مدّ بشرط سكونهما ووجود الكسرة قبل الياء والضّمّة قبل الواو، والحالة الثّانية: أن يكونا حرفي لين بشرط سكونهما ووجود الفتحة قبلهما، والحالة الثالثة: أن يكونا حرفي علّة بشرط خلوّهما من السّكون وتحركهما بإحدى الحركات الثلاث: الفتحة، والكسرة، والضّمة. أمّا الألف فلها حالة واحدة ثابتة عليها لا تتبدّل عنها، وهي بقاؤها ساكنة، بشرط وجود فتحة على الحرف الذي قبلها. وبعبارة صوتيّة نقول بأنّ الياء والواو تارة تصنّفان: "صوائت"، وتارة "أنصاف الصوائت"، والألف لا تكون إلا "صائتا"، ولمّا كانت الألف والياء والواو حروف "مدّ"، فما هو "المدّ" وما أنواعه؟

تعريف "المدِّ" لغة: عرف ابن فارس (395هـ) "المدّ" بقوله: "(مَدَّ) الْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ فِي طُولٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ. تَقُولُ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمُدُّهُ مَدًّا، وَمَدَّ النَّهْرُ، وَمَدَّهُ نَهْرٌ آخَرُ، أَيْ زَادَ فِيهِ وَوَاصَلَهُ فَأَطَالَ مُدَّتَهُ" (مقاييس اللغة، ج5، ص.269، مادة: مدّ). فالمدّ قائمٌ على الجرّ، فجرّ الشيء يكون بالتّطويل والإيصال، وهو يدلّ في عمومه على إطالة المدّة الزّمنية. وهذا ما أشار إليه الراغب (502هـ) حيث قال: "أصل المَدّ: الجرّ، ومنه: المُدّة للوقت الممتدّ" (المفردات في غريب القرآن، ص.763، مادة: مد). ويضيف ابن منظور (711هـ) في لسان العرب قائلا: "المَدُّ: الجَذْب والمَطْلُ. مَدَّه يَمُدُّه مَدّا ومدَّ بِهِ فامتَدّ ومَدَّدَه فَتَمَدَّد، وتَمَدَّدناه بَيْنَنَا: مَدَدْناه. وَفُلَانٌ يُمادُّ فُلَانًا أَي يُماطِلُه ويُجاذِبه. والتَّمَدُّد: كَتَمَدُّدِ السِّقاء، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ تَبْقَى فِيهِ

سَعَةُ 'المَدِّ'. والمادَّةُ: الزِّيَادَةُ الْمُتَّصِلَةُ" (ج3، ص.396، مادة: مدد). فيدلّ المدّ على السّعة والزّيّادة والمطل، كمماطلة المدين للدّائن. وبمجموع تلك النّصوص نستنتج ما يلي:

أوّلًا: أنّ معنى "المدّ" مرتبط بالجرّ والاتصال بين الشيئين والجذب والمطل.

ثانيًا: أنّ "المدّ" المراد به السّعة والزّيَادة والإطالة للمُدّة الزمنيّة.

"**المدّ" اصطلاحًا:** عرّف ابن الجزري (833هـ) "المدّ" بقوله: "وأمّا 'المدّ' فهو عبارة عن أصوات حروف المدّ واللّين، وهو نوعان: 'طبيعّي' و'عرضيّ'" (التمهيد في علم التجويد، ص.54). فالمدّ بحسب تعريف ابن الجزري له هو: الصّوت المصاحب لحروف المدّ واللّين، ومنه الطّبيعيّ، والعرضيّ، وقد بيّن الجرمي "المدّ" بأنّه: "إطالة الصّوت بحرف من حروف 'المدّ' الثلاثة، وهي: الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، وكذا بحرفي اللين الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما" (2001م، ص.249). فالجرمي لم يختلف عن ابن الجزري (833هـ) في تعريفه للمدّ إلّا أنّ عبارة الجرمي كانت أوضح من عبارة ابن الجزري، باستعماله لكلمة "الإطالة" التي تدلّ على المعنى الدّقيق لمدّ الصّوت. ومن خلال تتبّعنا لهذه النّصوص، نلاحظ أنّ هناك ارتباطا واضحا بين التّعريف اللّغويّ والمصطلحيّ للمدّ، فالمدّ يشترك عندهما في معنى الجرّ والإيصال والإطالة والزّيّادة في المدّة الزّمنيّة (التي تستغرقها أعضاء النّطق لحروف المدّ واللين فقط) وكلّ هذه المعاني ترتبط فيما بينها من حيث تمطيط الصّوت وتطويله، وبالتّالي فإنّ "المدّ" لا يصلح إلّا في حروف العلّة واللّين. وبلغة صوتيّة نقول بأنّ "المدّ" مقتصر على قسمين من أصوات اللغة العربيّة هما:

1. "الصّوائت" وهي: الألف، والياء، والواو.
2. "أنصاف الصوائت" وهما: الياء، والواو.

وبناء على ذلك نمثل "للمدّ الطّبيعيّ"، بقول الله –تعالى–: (مٰلِكِ) [الفاتحة: 4] التي تتكوّن من ثلاثة مقاطع "المقطع" الأول منها:(مَا) "صامت" و"صائت" وهما يشكلان مقطعا صوتيّا طويلا مفتوحا (CVV)، و"المقطع" الثّاني: (لِ) والثّالث: (كِ) فيتكونان من "صامت" و"صائت" قصير (CV). أمّا "المدّ العارض للسّكون" فنمثل له بقول الله –عزّ وجل–: (نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5] فالمقطع (عِينْ) الذي يتكوّن من: "صامتين" بينهما "صائت" طويل في حالة الوقف (CVVVVC)، ونرمز ب(C)على "الصّامت"، والرّمز VVVV))على طول المدّ في "المقطع" المقصود مدّه، وفي حالة الوصل تتحوّل كلمة (عِينُ) إلى "مقطعين" الأوّل منهما: نرمز له ب(CVV)، والثّاني منهما: نرمز له ب(CV)، وأمّا "مدّ اللّين" في كلمة: (شَيْء) [البقرة: 20] فتتكون هذه الكلمة من مقطعين: الأول منهما: (شَيْ) يتكوّن من: "صامت" و"صائت" و"نصف صائت" (CVC)، والثّاني منهما:(ءٍ) يتكوّن من "صامت" و"صائت" و"صامت" (CVC)، ولا يكون إلّا في صوتي الواو والياء، وبما أنّنا تكلمنا عن المقاطع الصّوتيّة للمدّ، فلابد لنا من التعريج على "المقطع" بشيء من التفصيل عن كيفية إنتاجه ومم يتكوّن وماهي أنواعه؟

"**المقطع**": يفسر بركة (2017) كيفية إنتاج "المقطع" بقوله:

"إنّ إنتاج 'المقطع' يتمّ في موجة صوتية واحدة ذلك أنّ الموجة الصوتية عند إنتاجه تتّصف بأنّها مُستمرّة في الزّمن ومتماسكة لا انقطاع في وحداتها المكوّنة المتتالية، وهذا ما يختلف عن كيفية إدراكها في ذهن الإنسان، إذْ إنّ الدماغ يُفسّر الكمّ المتواصل الذي يلتقطه تفسيرا يُجزئه إلى إشارات متتالية متمايزة." (ص.145–146)

وفقا لهذا التّصوّر، هناك فرق بين الواقع الصوتيّ وتفسيره: فالواقع مؤدّاه حصول المقطع كله دفعة واحدة بفعل موجة صوتية واحدة لا تمفصل فيها. وتفسيره أنّه حصل من الدماغ كما لوكان مجموعة من العناصر حدثت مرتّبة وخضعت لتسلسل زمني. ويضيف بركة (2017)

موضّحا مكوّنات "المقطع" وأنواعه بقوله: "يتكوّن 'المقطع' من اتّحاد 'صامت' (أو نِصف صامت)، أو أكثر، 'بصائت' واحد. وهو نوعان: 'المقطع المفتوح' الذي ينتهي 'بصائت' طويل أو قصير، و'المقطع المغلق' الذي ينتهي 'بصامت' أو 'نصف صامت'" (ص.147). يدلّ هذا النّصّ الذي بين أيدينا، على أنّ "المقطع" يشترط في تكوينه اتّحاد عنصرين: "الصّامت" أو "نصف الصّامت" و"الصّائت"، إمّا أن يتّحد "صامت" مع "صائت"، أو يتّحد "نصف الصّامت" مع "الصّائت"، وله نوعان: مقطع مفتوح، ومغلق، فالمقطع المفتوح إمّا أن يكون طويلا أو قصيرا، فإذا كان آخره حركة طويلة مثل: الألف أو الياء أو الواو فحينئذ يسمى بالمقطع المفتوح الطّويل، وإذا كان آخره حركة قصيرة مثل: الفتحة والكسرة والضّمّة فيسمّى بالمقطع المفتوح القصير. بخلاف المقطع المغلق فإنّه لا بدّ أن يكون في آخره "صامت" أو "نصف صامت". وأمّا عدد مقاطع اللّغة العربيّة فمحل خلاف، وقد أوصلها: "ابن حلام (1980م) في تحليله للمقطع من فرضيات صوتية ومورفولوجية... إلى ثمانية:

(cv-cvc-cvv-ccvc-cvcc-ccvv-cvvc-ccvcc)" (زاهيد، 1999، ص.27).

وبناء على هذا فإنّ مقاطع اللّغة العربيّة إمّا أن يتكوّن الواحد منها من: "صامت" يليه "صائت" (ص/ح)، أو "صامت" يليه "صائت" قصير ثم يليه "صامت" (ص/ح/ص)، أو "صامت" يليه "صائت" طويل (ص/ح ح)، أو "صامتين" يليهما "صائت" قصير ثم يليه "صامت" (ص ص/ح/ص)، أو "صامت" يليه "صائت" قصير ثم يتبعه "صامتان" (ص/ح/ص ص)، أو "صامتين" يتّحد معهما "صائت" طويل (ص ص/ح ح)، أو "صامتين" بينهما "صائت" طويل (ص/ح ح/ص)، أو "صامتين" يليهما "صائت" قصير ثم يليه "صامتان" (ص ص/ح/ص ص) وسننتقل من تعريف "المقطع" إلى أقسام "المدّ".

أقسام "المدّ": ينقسم المدّ إلى الأصليّ، والفرعيّ.

تكلمنا فيما سبق عن "المدّ" في اللّغة والاصطلاح وأنواعه: الطّبيعي والعرضيّ وعن طبيعة "المقطع"، وسنتطرّق هنا لأقسام "المدّ" الأصليّ منه والفرعيّ، حيث بيّن الداني (444هـ) أقسام "المدّ" بقوله:

> وأمّا الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلفٍ، فالطّبيعيّ حقه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف 'المدّ' و'اللّين' ممكناتٍ على مقدار ما فيهن من 'المدّ' الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع... والمتكلف حقه أن يزاد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من 'المدّ' الذي لا يوصل إلى النّطق بهن إلّا به، من غير إفراط في التّمكين ولا إسراف في التمطيط. وذلك إذا لقين الهمزات والحروف السواكن لا غير. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.100)

وقد أشار الدّاني (444هـ) في هذا النّصّ إلى أنّ المدّ قسمان: طبيعيّ ومتكلّف. أمّا "المدّ الطبيعيّ": فعبارة عن مدّة زمنيّة يستطيع القارئ فيها نطق فتحة واحدة مرّتين، أو كسرة واحدة مرّتين، أو ضمّة واحدة مرّتين، سواء كان الحرف ممدودا بالألف، أو بالياء، أو بالواو. وأمّا "مدّ التّكلّف": فيُقدَّر بتضعيف المدّة الزّمنيّة التي تستغرقها أعضاء النّطق للقارئ بأحد حروف المدّ واللّين (الألف، والياء، والواو)، بمدّة زمنيّة يتمكّن القارئ فيها من النّطق بألفين أو ياءين أو وواوين.

وقد وضّح الداني (444هـ) مقدار "مدّ التكلف" قائلا:

> حقيقة النطق بذلك أن تمد الأحرف الثلاثة ضعفي مدهن في الضرب الأول. والقراء يقدرون ذلك مقدار ألفين إن كان حرف المد ألفا، ومقدار ياءين إن كان ياء، ومقدار واوين إن كان واوا، لما دخله من زيادة

التّمكين، وإشباع المدّ دلالةً على تحقيقه وتفاضله. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.100)

ونستنبط من هذا النّصّ أهمّيّة الزّيّادة والإشباع في "المدّ" وتفاضله في الحروف، إذ إن المقدار الزّائد يعطي رونقا وجمالا، يجعل المتلقّي يتشوف لمعاني الآيات القرآنيّة. وقد وضع ابن الجزري (833هـ) رائزا لنوعي المدّ قائلا: "فالطبيعيّ هو الذي لا تقوم ذات حرف 'المدّ' دونه. و'العرضيّ' هو الذي يعرض زيادة على 'الطبيعي'، لموجب يوجبه" (التمهيد في علم التجويد، ص.54). كما وضع رائزا آخر لسبب حدوث كل منهما: "المدّ الطّبيعيّ" لا يحتاج إلى سبب، والعرضيّ يحتاج وجوده إلى سبب (الوقف). وقد ميّز ابن الجزري (833هـ) في المدّ بين (التّمكين) و(الإشباع) وأوضح الفرق بينهما قائلا:

> وأمّا 'التّمكين' فهو عبارة عن الصّيغة (... وقد) يعبر به عن 'المد العرضي'، يقال منه مكن، إذا أريدت الزيادة. وأما 'الإشباع' فهو عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك، ويستعمل أيضا ويراد به أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات. (التمهيد في علم التجويد، ص.54-55)

توضّح النصوص السّابقة الفرق بين "المدّ الطبيعيّ" و"المدّ العارض" للسّكون، أمّا "المدّ الطبيعيّ" فلا يحتاج إلى سبب من أسباب "المدّ" مثل: الهمزة أو السّكون. وأمّا "المدّ العارض" فيحتاج إلى أن تتغيّر حركة الحرف الذي بعد حرف "المدّ" إلى السّكون في حالة الوقف، سواء كانت فتحة أو ضمّة أو كسرة. وبلغة صوتية نقول: إنّ مُدّة "الصّوائت" في "المدّ الطبيعيّ" تقدّر بحركتين قصيرتين، ولا تحتاج إلى وجود الوحدة الصوتيّة الهمزة أو السّكون، مثال "المقطع" الذي فيه همزة: مَّآءِ [البقرة: 164]، (ص + ح ح ح ح + ص)، (CVVVVC)، أمّا مثال "المقطع الذي يشتمل على صوت

ساكن كما في المتوالية الصوتية: ءَآلْـَٰٔنَ [يونس: 91] فإن مُدّة "المقطع" الأول تطول بسبب السكون. وأمّا "المدّ العارض" للسّكون فمدّته تزيد عن مقدار حركتين بحسب أوجه بعض القراءات العشر، فمنهم من يمدّ بمقدار أربع حركات قصيرة ومنهم من يجعلها بمقدار ستّ حركات قصيرة، وذلك لأن "الصامت" الذي تغيرت حركته إلى السّكون، سواء كانت حركته بالضمّ أو الكسر أو الفتح، لكونه سببا في زيادة مُدّة "الصائت" الذي قبله مثال ذلك: "المقطع" الذي آخره أحد الأصوات الصامتة المتحرّكة أثناء وصل القراءة، ولكنها في حال الوقف عليها تسكّن كما في "المقطع" الأخير من المتواليّة الصّوتيّة: (نستعين) فإنّها في حالة الوصل تتكوّن من أربعة مقاطع: (ص + ح + ص، ص + ح، ص + ح ح، ص + ح)، (CV – CVV – CV – CVC)، وأمّا في حالة الوقف على "الصامت" الأخير منها فإن مقاطعها تنقص بسبب خلوّه من الحركة، ويكون جزءا من "المقطع" الذي قبله ويجلب له طول المُدّة الموضوعيّة، وبالتالي تتكون من ثلاثة مقاطع: (ص + ح + ص، ص + ح، ص + ح ح ح ح + ص)، (CVVVVC – CV – CVC). وبين الداني (444هـ) تفاوت القراء في إشباع المدّ العارض للسّكون بقوله:

"فمنهم من يزيد في تمكينه وإشباعه من أجل الساكنين، ليتميز بذلك، وكون ما سكن للوقف كاللازم، وهم الآخذون بالتحقيق. ومنهم من لا يبالغ في إشباعه. وهم الآخذون بالتوسط وتدوير القراءة، وعلى ذلك ابن مجاهد وعامة أصحابه. ومنهم من يمكن مده ولا يشبعه زيادةً على الصيغة، لأن سكون ما بعده للوقف عارض، ولأن الوقف مما يختص بالجمع بين الساكنين، وهم الآخذون بالحدر." (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.174)

ونستنتج من كلام الدّاني (444هـ) في هذا النّصّ مستويات ثلاثة للمدّ العارض للسّكون:

- المستوى الأول: الإشباع: فإذا كان القارئ يقرأ بالتّحقيق لابدّ له من المبالغة في إشباع مدّه، فيلحقه بمستوى المدّ اللّازم (يقدّر بست حركات)، كما في: "مسلمون" فإنها تتألّف من ثلاثة

مقاطع: (ص + ح + ص، ص + ح، ص + ح ح ح ح ح ح + ص)، (CVC–CV–CVVVVVVC).

- المستوى الثاني: التّوسّط والتّدوير: فإنّ من يقرأ بهما يقلّل من تلك المبالغة في إشباعه ومقداره أربع حركات، نحو: "مُؤْمِنُونْ"، فالمقطع الأخير منها (ص + ح ح ح ح + ص)، (CVVVVC).
- المستوى الثّالث: القصر: وهو إذا كان القارئ يقرأ بالحدر يمدّه مدّا طبيعيا (يقدّر بحركتين)، ولا عبرة عنده بالسّكون العارض للحرف الذي بعد حرف المدّ. وبلغة صوتيّة نقول إنّ "المدّ العارض للسّكون" تارة يكون أداؤه الصوتيّ بالمدّة الموضوعيّة التي تستغرقها أعضاء النّطق لأصوات المدّ ولا بدّ لها من سبب. وتارة أخرى يؤدى بالمدّة الذّاتيّة التي لا تحتاج إلى سبب، ولا يكون "صائتا" طويلا إلّا بهذه المدّة. وسنضرب أمثلة على أقسام "المدّ" من الكتاب المدروس "التّمهيد في معرفة التّجويد".
- المثال الأول: الحروف الآتية في فواتح السّوّر الثّنائيّة، مثّل لها العطار (569هـ) بقوله: "فجملة الثّنائيّ اثنا عشر حرفا، بخلاف في واحد، وهي: با تا ثا، حا، خا، را، طا، ظا، فا، ها، يا. والمختلف فيه زَيْ. وأجمع القراء على قصر هذه الحروف" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.301). فهذه الحروف الثّنائيّة التي في فواتح السّوّر لا خلاف بين القراء في مدّها مدّا طبيعيّا ونطقها بدون همزة. وبلغة صوتيّة نقول إنّ المدّة التي أجمع عليها القراء لهذه الأصوات تسمى بالمدّة الذاتيّة، لأنّها لا تنتهي بالوحدة الصّوتيّة الهمزة، وإنّما تتكوّن من: "صامت" و"صائت طويل" والذي يطلق عليه في علم الأصوات الحديث "المقطع الطويل المفتوح"، (ص+ ح+ ح)،(CVV).

- المثال الثّاني: الحروف الواردة في فواتح السّوَر الثلاثية: ولقد بيّن العطار (569هـ) الحروف الثّلاثيّة التي تأتي في فواتح السّوَر بأنّها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
  - الأوّل: لا خلاف في قصره لتحرك أوسطه، وهو الألف.
  - الثّاني: ما قبل أوسطه من غير جنسه وهو حرفان عين وغين والمد فيهما أنقص من مد سين، وأخواتها لمخالفة الحركة فيهما الياء، وبقية الحروف الثلاثيّة أندى منهما صوتًا لموافقة الحركة فيها الذوائب التي في أحشائها.
  - الثّالث: على ثلاثة أضرب: أحدها ما أوسطه ألف وهو تسعة أحرف دال ذال، صاد، ضاد، قاف، كاف، لام، واو، زاي بخلاف. الثاني: ما أوسطه ياء قبلها كسرة، وهو أربعة أحرف: جيم، سين، شين، ميم. الثالث: ما أوسطه واو قبلها ضمة، وهو نُون. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.304-305).

يشير هذا النّصّ إلى أنّ فواتح السور المكونة من الحروف الثّلاثيّة تتفاوت في "المدّ"، فحرف الألف ليس في نطقه نوع من أنواع "المدّ". أمّا حرفا العين والغين فيمدّان مدّا متوسّطا، لأنّ الحرف الذي مدّتا به حرف لين. وبعبارة صوتيّة نقول إنّ الصّوت الذي جرى به "المدّ" "نصف صائت" كما في: (عَيْن) فإنها تتكوّن في النطق من: "صامت" و"صائت قصير" و"نصف صائت" يليها "صامت" وذلك أنه لما غابت الألف بعد العين المفتوحة كان ذلك سببا في قصر المدّ، لذلك يمدّان مدّا متوسّطا. وأمّا بقيّة الحروف الثّلاثيّة الآتيّة في فواتح السّوَر: فإنّها تمدّ مدّا مشبعا، لأنّ الحروف التي مدّت بها يكون مدّها أطول، سواء كانت ممدودة بالألف أو بالياء أو بالواو.

نستنتج من النّصّ السّابق ما يلي:

أوّلا: أنّ السّبب الرئيسي الذي يسمح بتطويل "المدّ" التّجانس بين الحركة وحروف المدّ، والمجانسة يقصد بها أن الفتح يناسبه الألف والكسر مجانس للياء والضم مجانس للواو مثل: "الضالين" فإن صوت الضاد هنا مفتوح والفتحة يجانسها الألف، وبالتالي فإنه لا فرق بينهما إلا في المُدّة الزمنية، وكذلك صوت اللام فإنه مكسور والكسرة تجانسها الياء.

ثانيا: أنّ قصر "المدّ" سببه عدم التّجانس بين حركة الحرف الممدود وحرفي اللّين. مثال: "غَيْنْ" فصوت الغين مفتوح تليه ياء ساكنة فعدم التجانس بينهما كان سببا في قصر المُدّة. وذكر العطار (569هـ) أسماء السّوّر التي تبدأ بالحروف المقطّعة بقوله: "اعلم أنّ جملة السور التي تأتي في فواتحها الحروف المقطعة ثلاثون سورة، وهن [الٓمٓ] [البقرة: 1] في فواتح ست السور: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. والٓمٓصٓ [الأعراف: 1] والٓرٰۚ [يونس: 1] والٓمٓرٰۚ [الرعد: 1] في فواتح ست السور، والطواسين الثلاث، وآل حاميم السبع، وكٓهيعٓصٓ [مريم: 1] وطه [طه: 1] ويٰسٓ [يس: 1] وصٓۚ [ص: 1] وعٓسٓقٓ [الشورى: 2] وقٓۚ [ق: 1] نٓۚ [القلم: 1]." (التمهيد في معرفة التجويد، ص. 305)

فهذه السّوّر تتفاوت في "المدّ" بحسب الحرف الكائن فيها، سواء كان من الحروف الثّنائيّة أو الثّلاثيّة على التّفصيل السّابق. وبعد أن تكلمنا عن المدّ في الحروف المفردة الآتيّة في بداية السّوّر، سنتطرّق للمدّ في الكلمة الواحدة والكلمتين.

1. "المدّ الطّبيعيّ" لحرف الألف

- "بِسۡمِ ٱللَّهِ [الفاتحة: 1]
- إِيَّاكَ [الفاتحة: 5]
- هَلۡ أَتَىٰكَ [الذاريات: 24]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

يتحقّق المدّ في هذه الأمثلة التي أوردها العطار بمقدار لا يتجاوز حركتين، وهذا ما يسمى بالمدّ الطّبيعي عند أهل التّجويد، ويطلق عليه صوتيّا "الصّائت الطويل" أو الحركة الطّويلة.

2. "مدُّ البدل" لحرف الألف

عرف الطويل (1985) "مدّ البدل" بأنه: "ما تقدم فيه الهمز على حرف المد، نحو: "آمنوا، إيمانًا، أوتوا". وسمي بدلًا لإبدال حرف المد من الهمز؛ إذا [إذ] أصله: "أأْمنوا" قلبت الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى، وهكذا الأمثلة الباقية" (مدخل في علوم القراءات، ص.190). فيدلّ مصطلح "مدّ البدل" على حرف المدّ الناتج من حركة الهمزة بشرط وجود همزة قبله. وبعبارة صوتيّة فإنّ الوحدة الصوتيّة (الهمزة) إذا أتت مرتين في بداية المتوالية الصّوتيّة بينهما حركة، تبدل الثّانيّة منهما إلى أحد الصوائت الثلاثة (ا –ي – و).

❖ أمثلة "مدّ البدل" لحرف الألف: يمثل له العطار (569هـ) بقول الله –عز وجل–:

- "ءَادَمَ [البقرة: 31]
- وَءَاخِرُ [يونس: 10]
- ءَامَن [البقرة: 13]
- ءَاتَىٰهُمُ [آل عمران: 170]
- ءَاتَيْنَٰهُم [البقرة: 121]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

فالملاحظ في هذه الأمثلة، أنّ المدّ صار من جنس الحركة التي قبله، فالأصل أنهما همزتان الأولى مفتوحة والثّانية ساكنة، فحذفت الهمزة الثّانية، وعوضت بحرف مدّ يجانس حركة الهمزة الأولى. وصوتيّا فالمقطع الأول من الأمثلة السّابقة كان يتألّف من: "صامت"، وحركة قصيرة، و"صامت" (CVC)، فتحوّل إلى: "صامت" وحركة طويلة (CVV).

3. المدّ المتصل

إذا كان "المدّ الطّبيعي" و"مدّ البدل" يقعان في كلمة واحدة، فهل "المدّ المتصل" يوافقهما في ذلك أم لا؟، وهذا ما سنتعرف عليه عند دراسته عند علماء التّجويد، حيث عرّفه الحسن (801هـ) بقوله:

> المد المتصل لاتصال الهمزة بكلمة حرف المد وله محل اتفاق ومحل اختلاف فمحل الاتفاق هو أن السبعة الأشياخ اتفقوا على المد قبل الهمز ومحل الخلاف هو تفاوت الزيادة في المراتب ونصوص النقلة فيها مختلفة وعبارة بعضهم توهم التسوية وأما عبارة الناظم رضي الله عنه فمطلقة تحتمل التفاوت والتسوية. (سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ص.50)

يتضح من هذا النّصّ أنّ "المدّ المتّصل" يشترط فيه تقدّم حرف المدّ على الهمزة في كلمة واحدة، والتصاقها به، ولا خلاف بين القراء السّبعة فيه، واختلفوا في مراتب الزّيادة في مدّه. وتستوي في ذلك حروف المدّ الثّلاثة: الألف، والياء، والواو. وبلغة صوتيّة نقول إنّ أصوات المدّ الثّلاثة لابدّ أن تسبق الوحدة الصوتية الهمزة، وتتّصل بها في متوالية صوتية واحدة. و"المدّ المتّصل" يندرج في علم الأصوات ضمن "المُدَّة الموضوعيّة"، ومن خلال ما سبق يتضح أنه مثل المدّ الطّبيعي والبدل يقع في كلمة واحدة.

❖ **أمثلة "المدّ المتصل":**

- "مَآءً [البقرة: 22]
- دُعَآءً وَنِدَآءً [البقرة: 171]
- شَآءَ [البقرة: 20]

- جَآءَ[النساء: 43]
- مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ [البقرة: 164]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

يمثل العطار "للمدّ المتّصل" بأمثلة تدلّ على قوّة استدلاله، وتدبّره لكتاب الله –عزّ وجل– ، وباستقراء هذه الأمثلة يمكن أن نفسر صوتيّا أنّ "المدّ المتّصل" سببه اتّحاد "الصّائت" مع الوحدة الصّوتيّة الهمزة في متواليّة صوتيّة واحدة، ويشترط فيه تقدّم "الصّائت" عليها. ونرمز له صوتيّا ب(C) شرط أن يكون ذيل المقطع همزة.

4. **"المدّ المنفصل"**:

إذا كان "المدّ المتّصل" في كلمة واحدة سببه الهمزة، فهل يوافقه "المدّ المنفصل" أو يختلف عنه في بعض الجزئيات؟ وهذا ما سيأتي تفصيله في الفقرات الآتيّة. فقد عرف علي (2004) "المدّ المنفصل" بقوله: "وأما المنفصل فهو أن يقع الهمز بعد حرف المد وكل منهما في كلمة نحو: إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ [الحجرات: 9]، وسمي منفصلا: لانفصال سببه عنه وهو الهمز، وكون كل من الهمز والمد في كلمة" (ص.88). يعني صوتيّا مجيء إحدى "الصوائت" (ا– ي – و) في نهاية المتوالية الصّوتية الأولى، وتكون الهمزة في بداية المتوالية الصوتية الموالية.

❖ **أمثلة "المدّ المنفصل"**: يقول العطار (569هـ): "وأما الآتي من كلمتين فنحو قوله:

- بِمَآ أُنزِلَ [البقرة: 4]
- وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ [الأنبياء: 91]
- قَالُوٓاْ ءَامَنَّا [البقرة: 14]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.286). ونستخلص من الأمثلة السابقة أن "المدّ المنفصل" يتفق مع "المدّ المتصل" في اتحاد الأسباب، ويختلفان في أن المنفصل يقع في كلمتين عكس المتصل.

5. **"مَدُّ العدل"**: يعرف السيوطي (911هـ) "مدّ العدل" بقوله: مَدُّ الْعَدْلِ لِأَنَّهُ يَعْدِلُ حَرَكَةً فَالْجُمْهُورُ أَيْضًا عَلَى مَدِّهِ مُشَبَّعًا قَدْرًا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى تَفَاوُتِهِ" (الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص.335). نستشف من تعريف السيوطي أن مد العدل هناك من أهل التجويد من يمده مدا طبيعيا بقدر حركتين، ولكن جمهورهم يمدونه مدا مشبعا، والإشباع يقتضي أنه يعدل عدة حركات، ويمثل له العطار (569هـ) بقوله:

"ومما ينبغي أن يُمَدَّ لالتقاء الساكنين قوله:

- ٱلْحَآقَّةُ [الحاقة: 1]
- ٱلطَّآمَّةُ [النازعات:34]
- لَرَآدُّكَ [القصص: 85]
- ٱلضَّآلِّينَ [الفاتحة: 7]
- ٱلظَّآنِّينَ [الفتح: 6]
- ٱلْعَآدِّينَ [المؤمنون: 113] ونظائرها" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.306).

يتضح من النص السابق أن العطار ممن يقولون بإشباع "مد العدل" كما هو واضح من الأمثلة التي ساقها، وبهذا نختم الحديث عن مد الألف حيث أوضحنا أنه يكون في "المد الطبيعي" و"مد البدل" و"المد المتصل" و"المد المنفصل" و"مد العدل"، مما يعني صوتيا أن مدة الألف في الحقيقة إنما هي حركة طويلة ولها أسباب تزيد مدتها بوجودها، بدءا من تحولها من الوحدة الصوتية "الهمزة" وكذلك أيضا مجاورتها لها إما في متوالية صوتية واحدة أو متواليتين صوتيتين تكون الألف في آخر المتوالية الأولى والهمزة في بداية المتوالية الثانية، أو أن يقع بعدها "صامت ساكن" ففي هذه الأحوال تتفاوت مدتها الزمنية من ثلاث حركات قصيرة إلى ست حركات قصيرة، وسنتناول فيما يلي أنواع مد الياء.

ثانيًا: مُدّة الياء:

أ- "**المدّ الطّبيعي**" للياء: مثل له العطار (569هـ) بقوله تعالى:

- " وَعِيسَىٰ [البقرة: 136]
- وَٱلۡمِيزَانَ [الأعراف: 85]
- مِيقَٰتُ رَبِّهِۦ [الأعراف: 142]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

ب- "**مدّ البدل**" للياء (مدُّ التّوسط): مثل له العطار (569هـ) في قوله تعالى:

- " بِإِيمَٰنٍ [الطور: 21]
- وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ [النحل: 90]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

ت- "**المدّ المتّصل**" للياء:

- " بَرِيٓءٞ [الأنعام: 19]
- إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ [التوبة: 37]
- وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ [غافر: 58]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

ث- "**المدّ المنفصل**" للياء: "وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ [الأنبياء: 91]" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

ج- "**مَدّ العدل**" للياء:

- "ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ[الفاتحة: 3-4]
- قِيلَ لَهُمۡ [البقرة: 11]
- إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ [البقرة: 125] " (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.306).

وخلاصة القول إن مدة الياء لها أنواع مختلفة، لأن الياء المدية إما أن تكون مدا طبيعيا وهو الذي لا تعدّ حرف مد إلا به، أو تكون منقلبة عن همزة كما في "إيمان" فتولدها من الهمزة

مدعاة لزيادة "مدتها الذاتية" كما في: "عيسى"، أو بحسب نوع الحرف الذي بعدها لأنه إما أن يكون همزة فإن كانت معها في كلمة واحدة كان المد متصلا مثل: "النسيءِ"، وإن كانت في آخر الكلمة والهمزة في بداية الكلمة الأخرى كان المد منفصلا مثل: "التي أحصنت"، فإن وقع بعدها حرف ساكن فحينئذ تمدّ مدّ عدل مثل: "قِيل لَّهُمْ". وبلغة صوتية نقول إن مدة الياء في الحقيقة إنما هي حركة طويلة ولها أسباب تزيد مدتها بوجودها، ابتداء من تحولها من الوحدة الصوتية "الهمزة" وكذلك أيضا مجاورتها لها إما في متوالية صوتية واحدة أو متواليتين صوتيتين تكون الياء في آخر الأولى والهمزة في بدابة المتوالية الثانية، أو أن يقع بعدها "صامت ساكن" ففي هذه الأحوال تتفاوت مدتها الزمنية من ثلاث حركات قصيرة إلى ست حركات قصيرة، وفي نهاية الحديث عن مدة الياء ننتقل إلى مدة الواو في الأسطر الآتية.

ثالثًا: مدَّة الواو

أ- "**المدّ الطّبعيّ**" للواو: مثل له العطار (569هـ) بقوله تعالى:

- "مُوسَىٰ [البقرة: 136]
- طُوبَىٰ [الرعد: 29] "
- يُوحَىٰ [الأنعام: 50]
- أُوتُواْ [البقرة: 101]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

ب- "**مدّ البدل" للواو**: مثل له العطار (569هـ) بقوله – عز وجل –:

- "أُوتُواْ [البقرة: 101]
- وَأُوذُواْ [آل عمران: 195]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.285).

ت- "**المدّ المتصل" للواو**: مثل له العطار (569هـ) بقوله – تعالى–:" لَتَنُوأُ [القصص: 76]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

ث- **"المدّ المنفصل" للواو:** مثّل له العطار (569هـ) بقول الله – عز وجل-: "قَالُوٓاْ ءَامَنَّا [البقرة: 14]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.286).

ج- **"مَدّ العدل" للواو:** مثل له العطار (569هـ) بقوله – تعالى-:

"فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا [آل عمران: 51]

ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ [آل عمران: 52]" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.306).

فإذا كان الألف والياء ترد عليهما أنواع المدود مختلفة فكذلك الواو كما ورد في الأمثلة أعلاه، ولا فرق بين أسباب المد في كل منها، ومن هنا سوف نتطرق إلى مقدار مد العدل الوارد في الأمثلة السابقة، فقد ذكر العطار (569هـ) اختلاف علماء التّجويد في "مدّ العدل" بقوله:

> اختلف أهل الأداء في مقدار هذا المد فأهل التحقيق يمدونه على قدر أربع أَلِفَاتٍ، وبعضهم على قَدْرِ ثلاث ألفاتٍ وأهل الحدر يمدونه على قدر ألفين: إحداهما حرف المد الساكن والثانية المدة الفاصلة بين الساكنين. فأما المحققون فعذرهم في تطويل المد في هذا الباب أن الحادرين يمدونه بقدر ألفين وشرط التحقيق أن يزاد على الحدر مثله. ثم كل من نقص تحقيقه نقص مده. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.306-307)

وخلاصة ما أشار إليه العطار هنا أن هناك اختلافا بين أهل التحقيق وأهل الحدر من علماء التجويد في مدة مد العدل الذي يرى أهل التحقيق أنه يدور ما بين ثمان وست حركات، بينما يرى أهل الحدر أنه يقتصر على أربع حركات، وحجة أهل التحقيق فيما ذهبوا إليه أنه من المعروف أن الحدر يزاد عليه مثله وأهل الحدر يمدونه أربع حركات.

وقد رجّح العطار الاقتصاد في مدّ العدل في قوله: "الصواب عندي أن يكون هذا المد على قراءة أهل التحقيق والحدر مقتصدا، إذ كان عوضا من الحركة فينبغي أن يكون على مقدارها" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.307). ويضيف ابن الجزري (833هـ) ذاكرا بعض الترادف الذي قد يحصل بين بعض مصطلحات المد في كتابه النشر للقراءات العشر:

> وَأَمَّا الْمَدُّ لِلسَّاكِنِ اللَّازِمِ فِي قِسْمَيْهِ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا الْمَدُّ اللَّازِمُ إِمَّا عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مُضَافٍ، أَوْ لِكَوْنِهِ يَلْزَمُ فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ عَلَى قَدْرٍ وَاحِدٍ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: مَدُّ الْعَدْلِ ; لِأَنَّهُ يَعْدِلُ حَرَكَةً. فَإِنَّ الْقُرَّاءَ يُجْمِعُونَ عَلَى مَدِّهِ مُشْبَعًا قَدْرًا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ، لَا أَعْلَمُ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ خِلَافًا سَلَفًا وَلَا خَلَفًا، إِلَّا مَا ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْفَخْرِ حَامِدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسْنَوَيْهِ الْجَاجَانِيُّ فِي كِتَابِهِ 'حِلْيَةُ الْقُرَّاءِ' نَصًّا، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مِهْرَانَ حَيْثُ قَالَ: وَالْقُرَّاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي مِقْدَارِهِ، فَالْمُحَقِّقُونَ يَمُدُّونَ عَلَى قَدْرِ أَرْبَعِ أَلِفَاتٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُدُّ عَلَى قَدْرِ ثَلَاثِ أَلِفَاتٍ، وَالْحَادِرُونَ يَمُدُّونَ عَلَيْهِ قَدْرَ أَلِفَيْنِ، إِحْدَاهُمَا الْأَلِفُ الَّتِي بَعْدَ الْمُحَرَّكِ وَالثَّانِيَةُ الْمَدَّةُ الَّتِي أُدْخِلَتْ بَيْنَ السَّاكِنَيْنِ لِتَعْدِلَ.
>
> (ج1، ص.317)

لقد بين ابن الجزري هنا أحكام "المدّ اللّازم" الذي يطلق عليه أيضا بعض علماء التجويد "مد العدل" لأنه يعدل حركة والقراء فيه على أقسام بين "التّحقيق" و"الحدر" وقد تبع ابن الجزري في ذلك ما قاله العطار فيه وما ذكره من اختلاف بينهم بشأنه.

ويجدر بنا هنا أن نتعرض للفائدة المتوخاة من دراسة كمية المدة الزمنية في الصوائت القصيرة والطويلة وفي هذا الصدد يوضح عمر (2006) أهميّة هذه الدراسة بقوله:

المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الخلافيتين اللتين تسميان 'الطول والقصر'؛ فالطول في الحروف الصحيحة تشديد، والقصر إفراد، والطول في حروف العلة مد، والقصر حركة... وليس يخفى ما للكمية من صلةٍ في التفريق بين الصيغة والصيغة، وبين الكلمة والكلمة... والفرق بين فَعَلَ وفَاعَلَ فرق في الحركة والمد، والفرق بين لم ولام فرق في الحركة والمد أيضًا، وبذلك تكون الكمية عظيمة الأهمية في مجال القيم الخلافية في اللغة، ومن ثَمَّ تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى. (ص.300)

يشير هذا النّصّ إلى الفروق التي تحدثها الحركات القصيرة والحركات الطّويلة في الصّيغ والكلمات، والمعاني المختلفة، سواء كان ذلك على مستوى جهة التّقابل بين الحركة القصيرة والحركة الطّويلة، أو الحركات نفسها من حيث الفتحة والكسرة والضمة (ـِ ـُ)، أو كان ذلك التّقابل بين الحركات الطويلة (ا – ي –و) على المستوى القطعيّ للّغة، وقد تكْمُن أهميّة الكميّة على المستوى فوق القطعي.

وقد مر بنا أن حروف المد تعتريها أنواع من المدود مختلفة بحسب مواقعها، لكن هل لتلك المدود المختلفة دلالات؟ وما هي أنواعها؟ وذلك ما سنتناوله في النقاط الآتية:

أولا: المبالغة

تعد المبالغة من الدلالات التي تنتج عن اختلاف مدة حروف المد، حيث يقول ابن الجزري (833هـ):

مَدُّ الْمُبَالَغَةِ... إِنَّمَا سُمِّيَ مَدَّ الْمُبَالَغَةِ; لِأَنَّهُ طَلَبٌ لِلْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ إِلَهِيَّةِ سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ: وَهَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهَا تُمَدُّ عِنْدَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِغَاثَةِ، وَعِنْدَ الْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ شَيْءٍ، وَيَمُدُّونَ مَا لَا أَصْلَ لَهُ

بِهَذِهِ الْعِلَّةِ. قَالَ: وَالَّذِي لَهُ أَصْلٌ أَوْلَى وَأَحْرَى. (النشر في القراءات العشر، ج1، ص.345)

يشير هذا النص إلى أن المد يدل على نفي وجود إله مع الله سبحانه وتعالى. ولذا يكون في كلمة التوحيد، وهو مروي عن أصحاب القصر في المد الجائز المنفصل، ومقداره أربع حركات، ويسمى مد المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي ألوهية سوى الله سبحانه، ويوضح الحسن (801هـ) ذلك بقوله: "وأما مد المبالغة فللتعظيم نحو لا إله إلا الله" (سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ص.48). يتضح من النّصّوص أعلاه أنّ هذا النّوع من المدّ له وظيفة دلاليّة؛ فطول المدّ وإشباعه فوق المعتاد يدلّ على العناية بالمضمون نفيا أو إثباتا أو توكيدا.

ثانيا: الاستغراق

ومن المعاني التي يدل عليها المد معنى الاستغراق، ويعرفه اللبدي (2009) بقوله:

> وهو الاسْتِيعابُ والإحاطةُ، وهو أحدُ مَعاني "أل" التَّعْريفِ؛ تقولُ: الإنْسانُ خَيْرٌ مِنَ البَهيمةِ، أيْ: كلُّ إنْسانٍ خَيْرٌ مِن كلِّ بَهيمةٍ. ويُفيدُ الاسْتِغراقَ أيضًا كَلِمةُ "كلٍّ"، كقَولِه تعالى :كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: 185]. كما تُفيدُ النَّكِرةُ المَنْفيَّةُ أيضًا الاسْتِغراقَ، نَحْوُ: لا رَجلَ في الدَّارِ، ونَحْوُ قَولِه تعالى :فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ [الشعراء: 100-101]. (ص. 165)

يتضح من التعريف السابق أن للاستغراق أدوات وصيغا تدل عليه كما يدل عليه المد، حيث يقول المقابلة (2019):

> ونجد ذلك في المد العارض للسكون وقد اختلف القراء في مده بين حركتين وأربع حركات وست حركات ولكن الغالب منهم فضل الإطالة

في المد إلى ست حركات للاستغراق في الدلالة، ونجد ذلك في قوله تعالى: (نستعين)، و(يعلمون)، و(بعذاب)، فمن يؤدي المد في هذه الكلمات في ست حركات كما في (نستعين) إنما أراد الاستغراق في الاستعانة بالله إلى آخر حد منها وكذلك الاستغراق في العلم حتى استيعابه، يقول السيوطي: والمدّات في أصول الأفعال أحدثت لمعان"...، والاستغراق بالعذاب إلى منتهاه، ومنه الاستغراق في النفي، كقوله تعالى: [مَّا أنا بِمُصْرِخكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرخي] [إبراهيم: 22] فقد بلغت البراءة منتهاها، ومنها قوله تعالى: [ولا الضَّالّينَ] [الفاتحة: 7]. فقد بلغوا منتهاهم في الضلال والغي، ومن الاستغراق في النفي دلال [دلالة] المد في قوله تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ] [الكافرون 1–2]، فالمد في نفي عبادة الكافرين فيه استغراق واستمرارية لا تنقطع. (ص.71)

فقد ورد في هذا النص أن المد يعد أسلوبا من الأساليب التي تفيد معنى الاستغراق كما وردت الأمثلة على ذلك في النص، وذلك لأن الصّوت (ممثَّلا بالمدّ) يتكامل مع الدلالة في إنتاج المعنى وتوضيحه.

ثالثا: الترهيب

الترهيب لغة: يعرف ابن منظور (711هـ) الترهيب بقوله: "رَهِبَ... يَرْهَبُ رَهْبةً ورُهْبا... ورَهَبا... أَي خافَ. ورَهِبَ الشيءَ رَهْبا ورَهَبا ورَهْبةً: خافَه... وتَرَهَّبَ غيرَه إِذا تَوَعَّدَه... وأَرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه: أَخافَه وفَزَّعه" (لسان العرب، ج1، ص.436، مادة: رهب). بذا نرى أنّ الترهيب يدلّ على التخويف والتوعد والفزع.

الترهيب اصطلاحا: "كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله" (زيدان، 2001، ص.437). ويمثل له المقابلة (2019) بقوله:

> ونجد ذلك في كلمات الحاقة، والصاخة، والطامة، فمع أنها تندرج تحت نوع المد اللازم الذي يلزم ست حركات عند جميع القراء إلا أنها تلتزم دلالة واحدة عندهم، فوقع هذه الكلمات على النفس فيه الرهبة والإنذار والوعيد، ومما يزيد من هذه الرهبة ويجعل لها أثرا في النفوس صوت المد الذي يستمر إلى آخر نَفَسٍ في النَّفْسِ ولو قرأنا هذه الكلمات من دون مدّ أو خففنا من كمية المدّ فيها لما وجدنا تلك الرهبة التي توافق المدّ المستطيل فيها. ونجد المد متألفا في الدلالة على الرهبة مع حروف الشدّة التي اشتملت عليها الكلمات المذكورة من طاء وصاد وقاف وحاء، ومايؤكد دلالة الرهبة التي تحملها هذه الكلمات السياق القرآني الذي جاءت فيه يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ [عبس: 34-35] فهل هناك أكثر رهبة من هذا اليوم؟. (ص.71)

يعكس المدّ الوارد في الترهيب وجوها من التّكامل بين الصّوت والدلالة الذي أشرنا إليه سابقا، وقد أوضحت الأمثلة الواردة في هذا النص القيم الدلالية التي تكمن في إطالة الصوت وتمطيطه، فكل ما كان النفس طويلا كانت دلالته أشد على المتلقي وأكثر رهبة.

رابعا: الترغيب

التّرغيب لغة:

عرف ابن منظور (711ه) الترغيب بقوله: "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة إِذا حَرَصَ عَلَى الشيءِ، وطَمِعَ فِيهِ. والرَّغْبة: السُّؤالُ والطَّمَع. وأَرْغَبَنِي فِي الشَّيءِ ورغَّبَنِي، بِمَعْنًى. ورَغَّبَه: أَعْطاه مَا رَغِبَ" (لسان العرب، ج1، ص422). يعني أن الرغبة هي إرادة الشيء والحرص عليه والطمع فيه.

الترغيب اصطلاحا:

عرف زيدان (2001) الترغيب اصطلاحا بأنه: "كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه" (ص437). فالمتأمل لهذا التعريف يتضح له أن الترغيب هو أسلوب للحث على الانقياد إلى فعل أمر ما أو تركه، ومثل له المقابلة (2019) بقول الله تعالى: "[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكوثر] [الكوثر: 1]، فالإطالة في كمية [المدّ] هنا تحقق البهجة في النفس وتبعث على الرجاء وترغب في تحصيل الكوثر ويدل على ذلك ما جاء بعد المد من طلب وهو الصلاة والنحر، وفيها كذلك دلالة التعظيم" (ص.71). فلا يخفى ما في كمية المد وإطالته من حث النفوس وتشويقها مايتحقق معه هدف الترغيب الذي جاء المد للدلالة عليه.

خامسا: الاستغاثة

ومن المسائل التي يدل عليها المد الاستغاثة، وقد عرفها ابن فارس (395ه) بقوله: "(غَوَثَ) الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالثَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْغَوْثُ مِنَ الْإِغَاثَةِ، وَهِيَ الْإِغَاثَةُ وَالنُّصْرَةُ عِنْدَ الشِّدَّةِ" (مقاييس اللغة، ج4، ص. 400). وهذا يعنى أن الاستغاثة هي طلب العون والنصرة وقت الحاجة، ويضيف المقابلة (2019):

ومنها قوله تعالى: [ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنك] [المائدة:114]. فنبي الله عيسى يستغيث ربه حيث افتتح كلامه بقوله (اللهم) ثم بين الغاية من هذه المائدة فأرادها أن تكون عيدا لهم وأن تكون معجزة كذلك، وجاء المد في قوله (ربنا) ليعبر عن هذه الحاجة بطلب الغوث من الله، أما المد في كلمة (مائدة) فيدل على المبالغة التي تظهر عظم هذه المعجزة، فهي مائدة تستطيل باستطالة كمية المد في الكلمة، وتجمع شتى أصناف الطعام. (ص.72)

أوضح هذا النص أن المد يأتي للاستغاثة فقد جاء في الآيات التي استشهد بها في كلمة "اللهم" ثم في "ربنا" و"مائدة" وكلها تشير إلى أن للمد دلالات تبين قيمته وتوضح مقاصد المتكلم، فقد قصد به أولا: المعجزة، وثانيا: الحاجة، وفي الثالثة: جاء لطلب السعة في المائدة، وهذه كلها مقاصد مختلفة عبر عنها بتطويل المدة الزمنية للمد.

سادسا: الاستمرارية: ومن قيم الأداء الصوتي للمد دلالة الاستمرار وقد بينها المقابلة (2019) بقوله:

ومنها قوله تعالى: ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ [الزمر: 29]، لتبرز كلمة متشاكسون في المد وهي تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، مايعطي معنى النزاع المستمر والجدل القائم. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: [فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ] [الشعراء: 94] تدل على الاستمرار في الغي والضلال. ومنها أيضا دلالة المد في قوله تعالى: [لِلطَّآئِفِينَ] [البقرة: 125]، حيث الطواف مستمر حتى قيام الساعة ليلا ونهارا صيفا وشتاء. ومنها أيضا

قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا [يونس: 12]، فالداعي يستمر بالقيام رجاء لرحمة ربه ومن الاستمرارية أيضا قوله تعالى في سورة الكهف وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ [الكهف: 34]، فالحوار استمر طويلا بين الرجلين. ومن الاستمرارية ما يدل على الاستمرار في الزمن وهو ما يُعبر به عن طول المدة الزمنية المستغرقة في أداء الفعل لا الفعل نفسه ومن ذلك قوله تعالى: وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ [يوسف: 16]، وقوله تعالى: فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ [هود: 70]. فزمان مجيئهم كان طويلا ورؤية إبراهيم لأيدي الملائكة كانت طويلة أيضا. (ص.72)

نستنتج من الأمثلة الآنفة الذكر القيم التعبيرية الصوتية للمد التي دلت على الاستمرارية، فكانت الاستمرارية في دوام المخاصمة كما في المتوالية الصوتية "متشاكسون" وبالتحديد في مقطع "سون" (ص + ح ح ح ح + ص)، ودلت على الاستمرار في الغي والضلال في المتوالية "الغاوون" وخاصة في المقطع "وون" منها (ص + ح ح ح ح + ص)، وعلى استمرار فعل الطواف في كل الأزمنة في المتوالية "للطائفين" فكانت في المقطع "طا" (ص + ح ح ح ح)، وعلى استمرار الدعاء طلبا لاستجابته في المتوالية "دعانا" وخصوصا في المقطع "عا" (ص + ح ح ح ح)، كما جاءت المتوالية الصوتية في "يحاوره" لتدل على الاستمرار المستفاد من المقطع "حا" (ص + ح ح ح ح)، ونجد الاستمرارية في زمن الفعل لا في الفعل نفسه في المتواليتين الصوتيتين "وجاءوا" و"رءا" فطول المدة في المقطعين "جا" (ص + ح ح ح ح)، و"ءا" (ص + ح ح ح ح)، دل على استمرار زمن الفعل، ومع أنّ هذا غير مضطرد.

سابعا: العموم والشمولية

من الدلالات الصوتية للمد الشمولية، وقد أوضحها ابن فارس (395هـ) بقوله: "(شَمَلَ) الشِّينُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ مُنْقَاسَانِ مُطَّرِدَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَعْنَاهُ وَبَابِهِ. فَالْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى دَوَرَانِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَأَخْذِهِ إِيَّاهُ مِنْ جَوَانِبِهِ... وَالْأَصْلُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي يُخَالِفُ الْيَمِينَ" (مقاييس اللغة، ج3، ص. 215-216). فيدل هذا النص على أن للشمول معنيين هما: الإحاطة بشيء ما، والجهة المخالفة لليمين، وما يخصنا من المعنيين هو الأول الدال على الإحاطة. وبين المقابلة (2019) العموم والشمول بقوله:

> من ذلك المد الحاصل في كلمة (دابة) في قوله تعالى: وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا [هود: 6]، فتجريد الكلمة من التعريف وموقعها بعد النفي يعطيها صفة العموم، ومايزيد في دلالة العموم والشمولية ذلك المد المشبع، الذي يدل على الكلية المطلقة فتشمل الخلائق كلها بأصنافها وأجناسها المرئية وغير المرئية المدركة وغير المدركة. ومن ذلك أيضا المد الحاصل في كلمة (كافة) في قوله تعالى: وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗ [سبأ: 28]. فكمية المدّ المتحققة في كلمة (كافة) تحمل دلالة العموم والشمولية، وتدل على أن هذا الرسول ﷺ لم يختص بزمن ما ولم يبعث لطبقة خاصة أو أمة من دونأمة أخرى فقد تجاوزت رسالته حدود الزمان والمكان لتشمل الإنسانية كافة وتعم العالم أجمع، ومايؤكد دلالة العموم في هذه الكلمة تجريدها من التعريف وما سبقها من نفي. (ص.73)

استشهد النص السابق بمقطعين من متداولتين صوتيتين في آيتين كريمتين هما: "دابة" و"كافة" حيث أوضح أن المد دل على الشمول في المقطعين المتكونين من: "صامت" يليه "صائت طويل" ثم "صامت" (دابة) و(كافة) لأنه شمل جميع المخلوقات والثقلين (الإنس والجن).

ومن خلال النصوص السابقة تعرفنا على أهمية دراسة الحركات القصيرة والطويلة في اللغة العربية وخاصة الأداء الصوتيّ للقرآن الكريم، وأنّ للمدّ قسمين تندرج تحتهما أنواع متعددة، وله أسباب، ومر بنا أن الحروف الصحيحة علامة طولها التشديد، وعلامة الإفراد فيها الخلو من الشدة، وأن الفرق بين حروف المد (الألف والياء والواو) والحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) هو بحسب طول المدة الزمنية وقصرها في نطقها، وأشرنا إلى تلك الفروق التي تحدثها الحركات القصيرة والحركات الطّويلة في الصّيغ والكلمات، والمعاني المختلفة مثل معاني: "المبالغة"، و"الاستغاثة"، و"الترغيب"، و"الترهيب" وغيرها، وهذا غير مضطرد أيضا.

2. القول على معاني "الحدر" و"التّحقيق" و"التّرديد" و"التّرجيع" و"التّرسل" و"التّقطيع"

مايميّز الأداء الصوتيّ للّغات هو التّباينُ في درجات الصّوت صعودا وهبوطا، إما على مستوى المقاطع في الكلمة الواحدة –وهو غير مقصود في هذا المبحث– وإما على مستوى أعم من ذلك (الآية القرآنية، والجملة، والبيت الشعري...) وعلى الرغم من الاختلاف في مفهوم "التنغيم" ومن الجدل كذلك، في منزلته في اللغة العربية قديما فليس إلا إطارا يشمل هذه الظواهر الصوتية التي في العنوان أعلاه. ولذلك –وقبل التطرق إليها– سنبدأ بمفهوم التنغيم:

"التنغيم" لغة:

يمكننا تعريف التنغيم من خلال ما عرفه به ابن فارس (395هـ) حيث قال: "(نَغَمَ) النُّونُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ لَيْسَ إِلَّا النَّغْمَةُ: جَرْسُ الْكَلَامِ وَحُسْنُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا. وَهُوَ النَّغْمُ. وَتَنَغَّمَ الْإِنْسَانُ بِالْغِنَاءِ وَنَحْوِهِ" (مقاييس اللغة، ج5، ص. 452، مادة: نغم). ويضيف عمر وآخرون (2008) بأنه: "توالي درجات صوتيَّة مختلفة أثناء النُّطق، مثل اختلاف التَّنغيم في عبارة: لا يا شيخ" (ج3، ص.2246، مادة: ن غ م). يلاحظ من النصين أن التنغيم يختص بالكلام وطرق تأديته، وتجويده، من حيث الأداء الصوتي وتفاوته والدلالات التي يحدثها ذلك التفاوت.

"التنغيم" اصطلاحا:

تطرق باي (1998)" لتعريف "التنغيم" اصطلاحا حيث قال: "هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين" (ص.93). وعرفه عمر (1990) "بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام، وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات، والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام" (ص.164).

يتضح جليا مدى الترابط بين التعريف اللغوي والاصطلاحي "للتنغيم" إذ يتفق التعريفان على أنه يختص بالكلام من حيث الإيقاعات الموسيقية، وما يحدثه اختلاف النطق به من تغيير في دلالاته من حيث النفي والإثبات والاستفهام والاستنكار وغيرها. ونجد من بين علماء اللغة من اكتفى بالتمثيل لمصطلح "التنغيم" من دونأن يصرح بتعريف صريح له، وذلك كابن جني (392هـ) الذي مثل له بقوله:

> من ذلك لفظ الاستفهام؛ إذ ضامه معنى التعجب استحال خبرًا. وذلك قولك: مررت برجل أي رجل. فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهمًا. وكذلك مررت برجل إيما [أيما] رجل؛ لأن ما

زائدة. وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر والتعجب ضرب من الخبر. فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية. (الخصائص، ج3، ص.272)

فقد عبر ابن جني من خلال هذا النص بالتمثيل على المعنى الدلالي الذي يؤديه أسلوب الاستفهام الممزوج بالتعجب حيث يتغير من الاستفهام إلى الإخبار، ونلاحظ هنا أنه اقتصر على بعض أغراض "التنغيم" ولم يشملها كلها بأمثلة، وهذا مايؤكد درايته بظاهرة "التنغيم". وكما ورد عند ابن رشد (595هـ):

أَن العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، كانت في أَوساط الأَقاويل أَو في أَواخرها. وأَما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات والنغم إذا كانت في أَوساط الأَقاويل. وأَما إذا كانت في أَواخر الأَقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا. وإن كان فتحة أَردفوها بأَلف، وإن كان ضمة أَردفوها بواو، وإن كان كسرة أَردفوها بياء. وذلك موجود في نهايات الأَبيات التي تسمى عندهم القوافي. وقد يمدون المقاطع المقصورة في أَوساط الأَقاويل إذا كان بعض الفصول الكبار ينتهي إلى مقاطع مقصورة في أَقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة، مثل قوله تعالى 'ويظنون بالله الظنونا'. وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف. (تلخيص الخطابة، ص.118).

يمكننا بالنظر إلى ما ساقه ابن رشد في النص السابق أن نستنتج أنه فرق بين "التنغيم" في المقاطع الممدودة التي استخدمها العرب في أواسطها وأواخرها والمقاطع المقصورة التي

لم يستخدموه إلا في أواخرها، وحينئذ يمدونها بحركة مجانسة لحركتها، مع أنهم قد يمدون أواسط المقصورة كما يمدونها عند الوقف.

وخلاصة القول إنّ مفهوم "التنغيم" موجود في تراثنا العربيّ وقد أشار إليه ابن جني (392هـ) وابن رشد (595هـ) في كتبهما إيماءً، إلّا أنّ الدراسات المعاصرة أفردته بالبحث والتنقيب حتى صار ظاهرة صوتيّة لسانيّة يعتنى بها، ومن الأمثلة على "التنغيم": **مثال: جواز التشويق والتحبير أثناء الأداء الصوتيّ للقارئ:**

- "عَنْ أَنَسٍ ابن مالك، أَنَّ أَبَا مُوسَى قَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ، فَقَامَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يستمعن لِقِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ لَشَوَّقْتُكُنَّ تَشْوِيقا، وَلَحَبَّرْتُكُنَّ تَحْبِيرا" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.110). فدل هذا الأثر على جواز التشويق والتحبير وإلا لما استمعت أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– له، ولما قال أبو موسى لو شعرت لشوقتكن...الخ.

مثال القراءة بالتحزين: يمكننا التمثيل لتحزين القراءة كأسلوب من أساليب "التنغيم" بما أورده العطار (569هـ) من الآثار، وهو:

- "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، وَتَغَنَّوْا بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقرآن فَلَيْسَ مِنَّا" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.91).
- "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: 'إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ قِرَاءَةً مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَحَزَّنُ بِهِ'" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.127). ففي هذين الأثرين تشريع للبكاء في تلاوة كتاب الله –عز وجل– وتنبيه على الطرق التي يحصل بها، وأن هذا الأداء الصوتيّ المتمثل في ظاهرة "التنغيم" كان معروفا عند السلف.

مثال الأمر بتزيين تلاوة القرآن: سنورد في هذا الأمر ما استدلّ به العطار (569هـ) على ذلك بسنده:

- "عن النبي ﷺ قال: زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.63). ويوضح المعنى المراد من هذا الحديث، قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ" (العطار،569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.67). ويضيف العطار (569هـ) في حديث آخر: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةً، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.69). تشير هذه الأحاديث التي ساقها العطار إلى الحضّ والترغيب في تزيين التلاوة وتحسين الصوت بها، وذلك ما يعرف عند علماء الأصوات بالوظيفة الجمالية.

ثناء الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الأداء الحسن:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "كَأَنَّ صَوْتَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص.109). وقد وضح الهروي (224هـ) معنى الأحاديث الواردة في حسن الصوت بقوله: "عَلَى هَذَا الْمَعْنَى تُحْمَلُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي حُسْنِ الصَّوْتِ، إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ الْحُزْنِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّشْوِيقِ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي مُوسَى... فَهَذَا وَجْهُهُ لَا الْأَلْحَانُ الْمُطْرِبَةُ الْمُلْهِيَةُ" (عبد الله، 224هـ، فضائل القرآن، ص.164). ويضيف العطار(569هـ): "ليس المراد بذلك التطريب المكروه والتلحين المذموم، وإنما المراد به الترتيل، وتحسين الصوت، وحفظ الحروف، ومراعات الوقوف، إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة، مع استشعار الخوف وارتداء الحزن" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.123). ويؤكد هذا المعنى حديث: "ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قيل للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: أيّ الناس أَحْسَنُ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ؟ قَالَ: " مَنْ إِذَا قرأ سَمِعْتَ قِرَاءَتَهُ رُئِيتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.124). نرى أن هذه النصوص السابقة تشير إلى بعض القضايا التطريزية حال أداء تلاوة كتاب الله –عز وجل–، إلا أن العلماء حذروا من المبالغة فيها،

ووضعوا ضوابط ينبغي على القارئ الالتزام بها، وعدم خلطها بالإيقاعات الموسيقية وتمطيط الحروف لأن ذلك ينحرف به عن جادة الصواب، ولا يتلاءم مع قدسية القرآن الكريم.

وبعد التعرف على مفهوم ظاهرة "التنغيم"، سنتطرق للظواهر الأدائية الصوتية التي نرى أنها تمثل امتدادات لها، وسنعالج هذه الظواهر لغويا واصطلاحيا، ونمثل لها وفق الترتيب الذي أورده المؤلف:

1) "الحدر" لغة: عرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)، قائلا: "الحَدْر: ما تحدِرُه من علو إلى سفل" (العين، ج3، ص.178). أي ما تحطه وتنزله من مستوى عال إلى مستوى أكثر منه استفالا وانخفاضا، فأحد المعاني الأساسية للحدر، إذًا، هو الهبوط. وقد ذكر هذا المعنى ابن فارس (395هـ) في مقاييس اللغة، فقال: "(حَدَرَ) الْحَاءُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: الْهُبُوطُ، وَالِامْتِلَاءُ. فَالْأَوَّلُ حَدَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَنْزَلْتَهُ. وَالْحُدُورُ فِعْلُ الْحَادِرِ. وَالْحَدُورُ، بِفَتْحِ الْحَاءِ: [الْمَكَانُ] تَنْحَدِرُ مِنْهُ. وَالْأَصْلُ الثَّانِي قَوْلُهُمْ لِلشَّيْءِ الْمُمْتَلِئِ حَادِرٌ" (ج2، ص.32، مادة: حدر). ولعلّ مسار الحركة من المكان العالي إلى المكان السّافل يرتبط بالسّرعة، وهذا ما سوّغ لابن منظور (711هـ): تعريف "الحدر" بقوله: "الحَدْرُ: الإسراع فِي الْقِرَاءَةِ" (لسان العرب، ج4، ص.172، مادة: حدر).

ونلاحظ في ربط "الحدر" بالقراءة استثمارا للمجاز، وعبورا للّفظ من المعنى العام إلى المعنى المجازي كما سيتضح من التّعريفات المصطلحية الآتية.

"الحدر" اصطلاحا: قال العطار (569هـ): "وَ'حَدْرُ' القراءة حَطُّهَا عن 'التّحقيق' و'التّرديد' و'الترجيع' و'الترسل' و'التقطيع' " (التمهيد في معرفة التجويد، ص.185). ويرتبط المعنى المصطلحي "للحدر" بمعناه اللغويّ ارتباطا جليا، ولعلّ من أوضح تعريفاته الاصطلاحيّة قول الداني (444هـ): "سرعة القراءة مع تقويم الألفاظ وتمكين الحروف" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.73). "فالحدر" في القراءة مستوى منحط عن مستوى "التّرتيل"، والسّمة المميّزة له هي السّرعة، غير أن تلك السّرعة لا

يصاحبها إجحاف بالأداء بأيّ وجه؛ ولهذا نجد الداني (444هـ) يربط السّرعة بقيدين مهمّين: "مع تقويم الألفاظ وتمكين الحروف". وهو أمر أجمع عليه أصحاب الشّأن؛ فقد نقل السخاوي (643هـ) كيفية أداء "الحدر" بقوله: "نحن إذا حدرنا لا نسقط الإعراب، ولا نشدّد مخففا، ولا نخفف مشددا، ولا نقصر ممدودًا، ولا نمد مقصورًا" (جمال القراء وكمال الإقراء، ص.643-644). وربما يكون مفهوم مصطلح "الحدر" أوضح في قول ابن الجزري (833هـ): "الْحَدَرُ'... عِبَارَةٌ عَنْ إِدْرَاجِ الْقِرَاءَةِ وَسُرْعَتِهَا وَتَخْفِيفِهَا بِالْقَصْرِ وَالتَّسْكِينِ وَالِاخْتِلَاسِ وَالْبَدَلِ وَالْإِدْغَامِ الْكَبِيرِ وَتَخْفِيفِ الْهَمْزِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ، وَوَرَدَتْ بِهِ الْقِرَاءَةُ مَعَ إِيثَارِ الْوَصْلِ، وَإِقَامَةِ الْإِعْرَابِ وَمُرَاعَاةِ تَقْوِيمِ اللَّفْظِ، وَتَمَكُّنِ الْحُرُوفِ" (النشر في القراءات العشر، ج1، ص.207).

وبمجموع تلك النّصوص نستنتج ثلاثة أمور مترابطة:

الأوّل: ارتباط مفهوم "الحدر" بالسّرعة، فالحدر قراءة سريعة.

الثاني: أنّ من مظاهر تلك السّرعة: الاختلاس والبدل الكبير، كما ورد في كلام ابن الجزري أعلاه.

الثالث: أنّ تلك السّرعة مقيدة بحدود لا تتجاوزها "عدم إسقاط الإعراب، وتشديد المخفّف... إلخ".

2) "التحقيق" لغة: مأخوذ من "الحق". و"الحق"- كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)- "نقيض الباطل" (العين، ج3، ص.6، مادة: ح ق). والجذر كلّه يدور حول معنى واحد: "يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ" (ابن فارس، 395هـ، مقاييس اللغة، ج2، ص15، مادة حق). والتّحقيق معناه التّأكيد واليقين، يقال حقّق الخبر أي أكّده وتيقّن منه، وهو ضدّ الشّكّ، وعند تلاوة القرآن الكريم يكون "التّحقيق" بحسب تعريف الداني (444هـ) أن تعطى الحروف حقها في المدّ والهمز والفتح والتّشديد والإدغام والإخفاء إلى غير ذلك من أحكام التجويد التي يجب على القارئ مراعاتها عند القراءة لكي يكون قادرا على الوصول إلى درجة التحقيق التي هي إتقان التّلاوة وحسنها، وسنوضح ذلك في التّعريف الاصطلاحيّ.

"**التّحقيق" اصطلاحا:** عرف الداني (444هـ) مصطلح "التّحقيق" بقوله:

'التّحقيق' الوارد عن أئمة القراءة حده أن توفى الحروف حقوقها، من 'المدّ' إن كانت ممدودة، ومن 'التّمكين' إن كانت ممكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن التّشديد إن كانت مشددة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومن الفتح إن كانت مفتوحة، ومن الإمالة إن كانت ممالة، ومن الحركة إن كانت متحركة ومن السّكون إن كانت مسكنة، من غير تجاوز ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.89)

ويشير هذا النّصّ إلى وحدة تعريف "التّحقيق" في الاصطلاح واللغة، فالتّحقيق هو تمكين الحروف من "مدّ" سواء كان "المدّ" مدّا أصليّا أو فرعيّا، ومن همز، وتشديد، وإدغام، وفتح، وإمالة، وحركة، وسكون، وأن يحذر القارئ من المبالغة، والتّعسف، والإفراط، والتّكلف، في هذا كله. وهذه الأوصاف تباين "الحدر" بما يقتضيه –كما سبق– من سرعة واختلاس وتخفيف...إلخ، كما قال عنه ابن الباذش (540هـ): "'التحقيق': فهو حلية القراءة، وزينة التلاوة، ومحل البيان، هو إعطاء الحروف حقوقها، وتنزيلها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، ولطف النطق به، ومتى ما غير ذلك زال الحرف عن مخرجه وحيزه" (الإقناع في القراءات السبع، ص.280).

فصاحب الإقناع هنا يشيد بالتّحقيق، حيث وصفه بأنّه يضفي على القراءة الجمال، ويبيّن المعنى، ويعطي الحروف حقّها، ويوضّحها، ويرجع الحرف إلى أصله، ويكمّل معناه ويسهّل لفظه، وبهذا يكون قد جمع بين تعريف "التحقيق" والإشادة به، فحلية القراءة، وزينة التّلاوة، يطلق عليها مصطلح "الوظيفة الجمالية" للأداء الصّوتيّ للقرآن، وهي درجة عالية من الإتقان والحسن، يتميّز بها كلام الله –سبحانه وتعالى– عن غيره من الكلام، سواء كان نظما أو نثرا.

أمّا العطار (569هـ) فرام الجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للّفظ، جاعلا من الأوّل مدخلا إلى الثاني، فقال: "أما 'التّحقيق' فإنه تفعيل من الحقِّ، وأصل الحقِّ وضع الشيء موضعه وتوجيهه إلى ما هو له، وهو ضد الباطل، إذ الباطل توجيه الشيء إلى ما ليس له" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.186). وقد اتفق العطار (569هـ) مع الداني (444هـ) في أنّ "التحقيق" ضد الباطل، "فالتّحقيق" إقامة الحق ووضع الشيء في موضعه الصّحيح، أمّا الباطل فهو وضع الشيء في غير موضعه. فقال:

> اعلم أن 'التحقيق' و'الترتيل' يتفقان من وجه ويفترقان من وجه. فأما وجه اتفاقهما فمن إذ إن 'الترتيل' صفة من صفات 'التحقيق'، وليس به، وذاك أنه مصدر رَتَّلَ الرجلُ كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على تُؤَدَة وتَمَهُّل. و'التحقيق' مصدر حَقَّقْتُ الشيء، والاسم منه الحق، ومعناه أن يؤتى بالشيء على حقه. وقد علمت أن إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها إلى غير ذلك مما أوضحناه قبل موجود في كلا المذهبين. وأما وجه افتراقهما فمن إذ إن 'الترتيل' يكون بتحقيق الهمزات وتخفيضها. واختلاس الحركات، وإقرارها و'التحقيق' بخلاف ذلك. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.189-190)

وذكر العطار (569هـ) وجه اتّفاق "التّحقيق" مع "التّرتيل"، ووجه اختلافهما، أمّا وجه الاتفاق بينهما فإنه: يجب على القارئ أن يخرج كل حرف من مخرجه، ويمنحه كل صفة من الصفات التي يمتاز بها من غيره من الحروف، سواء كان القارئ يقرأ بالتّحقيق أو بالتّرتيل. وأمّا وجه الاختلاف بين التّحقيق والتّرتيل فإنّه: يجوز للقارئ الذي يقرأ بالتّرتيل أن يحقّق بعض الهمزات ويسهّل بعضها، ويختلس بعض الحركات في بعض المواضع فيتلفّظ بجزء من الحركة، فتكون

حركة ناقصة، بينما يتلفّظ في مواضع أخرى بالحركة كاملة، في حين أنّ القارئ الذي يقرأ بالتّحقيق لا يسهل الهمزات ولا ينقص من الحركات شيئا. ومع ذلك هذه أحكام لابدّ فيها من مشافهة الشيوخ الماهرين في التّلاوة، لأنّ القراءة سنة متّبعة. وبلغة صوتيّة نقول إنّ "التّحقيق" يتّفق مع "التّرتيل" في إخراج كل صوت من مخرجه، ويعطيه كل سمة تمييزيّة يمتاز بها عن غيره، ويختلفان في أنّ القارئ الذي يؤدي بالتّرتيل يمكنه أن يختزل الحركات، ويسهل الوحدات الصّوتية لصوت الهمزة، بعكس القارئ الذي يؤدي بالتّحقيق لا ينقص الحركات، ولا يسهّل الوحدات الصّوتيّة لصوت الهمزة.

ونستنتج من هذا أنّ "التّحقيق" أرفع درجة وأبلغ في الإتقان من "التّرتيل" ولكن له حدّ ينتهي إليه، ولا يجوز للقارئ تجاوزه، كما بينه التميمي (324هـ) بقوله: "إِن لهَذَا 'التَّحْقِيق' مُنْتَهى يَنْتَهِي إِلَيْهِ ثمَّ يكون قبيحا مثل الْبيَاض لَهُ مُنْتَهى يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَإِذا زَاد صَار برصا وَمثل الجعودة لَهَا مُنْتَهى تَنْتَهِي إِلَيْهِ فَإِذا زَادَت صَارَت قططا" (كتاب السبعة في القراءات، ص.76). فإذا كان "التّحقيق" يفوق "التّرتيل" في حسن التّلاوة وجودتها إلّا أنّه لا تجوز المبالغة فيه لكيلا توصف القراءة بالقبح.

ويستفاد من مجموع النّصوص السّابقة:

- أنّ العطار رادف بين "التحقيق" و"الترتيل" من وجه، وميّز بينهما من وجه آخر، بأن جعلهما يشتركان في جُلّ الخصائص والسمات ويفترقان (التحقيق والترتيل) من حيث تحقيق الهمزات وتخفيضها واختلاس الحركات وإتمامها، والتحقيق بعكس ذلك.
- أنّ "التحقيق"– شأنه شأن المباحث التّجويدية كلها– ينبغي ألّا يُتجاوَزَ فيه الحدّ.

وبما أنّنا عرفنا "التّحقيق" ووجه شبهه بالتّرتيل واختلافه معه، سنتنقل إلى مصطلح "التّرديد".

3) "**الترديد**" **لغة:** تعددت دلالات "التّرديد" عند علماء اللغة حيث قال ابن فارس (395هـ): "(رَدَّ) الرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ رَجْعُ الشَّيْءِ. تَقُولُ: رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَرُدُّهُ رَدًّا. وَسُمِّيَ الْمُرْتَدُّ لِأَنَّهُ رَدَّ نَفْسَهُ إِلَى كُفْرِهِ" (مقاييس اللغة، ج2، ص.386، مادة: رد). "فالرّدّ" يدلّ على رجوع الأشياء

إلى ما كانت عليه. وقد يرد "الرّدّ" بمعنى الصّرف كما نصّ على ذلك ابن سيده (458هـ) بقوله: "الرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيءِ وَرَجْعُه، رَدَّه يَرُدُّه رَدًا وتَرْدَادا، وهو بِناءٌ لِلتَّكْثِيرِ" (المحكم والمحيط الأعظم، ج9، ص.266، مادة: رد د). فمن دلالات "الرّدّ" الصّرف وهو مفهوم يدلّ على كثرة التّرداد، وقد يكون الصّرف لذوات الأشياء بالكليّة، كما أنّه قد يقتصر على بعض عوارضها، وقد بيّن ذلك الراغب (502هـ) بقوله: "الرَّدُّ: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله" (المفردات في غريب القرآن، ص.348، مادة: رد). فمفهوم الرّدّ شمل صرف الأشياء بذواتها أو للأحوال التي تعرض لها. وقد أضاف الزّمخشريّ (538هـ) معنى آخر للرّدّ بقوله: "ردّد القول: كرّره، ولا خير في القول المردد، ورادّه القول راجعه إياه." (أساس البلاغة، ج1، ص.347، مادة: ر د د). فالرّدّ يدلّ على تكرير الصّوت لدى المتكلّم، مع أنّ هذا التّكرير غير محبذ في الكلام إلّا إذا كان لتلاوة كتاب الله، فتكريرها يزيدها حسنًا وجمالا وبهجة.

"**التّرديد**" **اصطلاحا:** ذكرنا فيما سبق أنّ مصطلح "التّرديد" يدور مداره في اللغة إلى الرّجوع والصّرف والتّكرار. وقد عرّفه العطار (569هـ) بقوله: "وأما 'التّرديد' فإنه تكرير الكلام، رَدَّدَ الرجل الكلام إذا كرَّرَهُ فتردَّدَ، أي تكرّر" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.186). نرى ترابطا بيّنا بين المعنى المصطلحي للتّرديد ومعناه اللغويّ، فالتّرديد وثيق الصلة بالتّرجيع، كما سيتضح لاحقا.

4) "التّرجيع" لغة: تكلمنا فيما سلف عن مصطلح "التّرديد" ومن دلالاته "الرجوع"، وفي هذا السّياق نتحدّث عن "التّرجيع" عند أهل اللغة، ونبدأ بقول ابن فارس (395هـ): "(رَجَعَ) الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ كَبِيرٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكْرَارٍ، تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا عَادَ" (مقاييس اللغة، ج2، ص.490، مادة: رجع). وترتبط دلالة التّرجيع بالتّرديد والتّكرير، ويدلّ على العَوْدِ. وقد عرفه الرّاغب (502هـ)- رابطا بينه وبين الصّوت- بقوله: "التَّرْجِيعُ: ترديد الصّوت باللّحن في القراءة

وفي الغناء، وتكرير قول مرّتين فصاعدا، ومنه: التَّرْجِيعُ في الأذان" (المفردات في غريب القرآن، ص.343-344، مادة: رجع)،

ونستخلص مما سبق أن "الترجيع" هو ترديد صوت القارئ لكتاب الله الذي يُلَحّن تلاوته، وأن المغنّي يشترك مع القارئ في ترديد الصّوت والتّلحين عند الأداء، مع الفرق الشاسع بينهما، فقراءة القرآن لها ضوابطها الخاصة بها، والغناء له قوانينه التي تضبطه، وكذلك أنّ تكرار الكلام مرتين فأكثر يسمّى ترجيعا، كقول المؤذن في الأذان. وقد أضاف ابن سيده (458هـ) في المحيط الأعظم أصواتا أخرى يقع فيها "التّرجيع" بقوله: "رَجَّع الرجل، وتَرَجَّعَ: ردد صَوته فِي قِرَاءَة أَو غناء، أَو زمر، أَو غير ذَلِك مِمَّا يترنم بِهِ. ورَجَّعَ الْبَعِير فِي شقشقته: هدر. ورَجَّعَت النَّاقة فِي حنينها: قطعته. ورَجَّع الْحمام فِي غنائه، واسترجَع: كَذَلِك. ورَجَّعَتِ الْقوس: صوتت" (المحكم المحيط الأعظم، ج1، ص.317، مادة: ر ج ع). فالتّرجيع يشمل أصوات المزامير، وكلّ ما يترنّم به الإنسان من نظم ونثر، وأصوات الجِمال عند ما تهدر، وحنين النّوق، وأصوات الحمام، وأصوات الأقواس فكلها ترجيع.

"**التّرجيع**" **اصطلاحا:** يقول العطار (569هـ): "أما 'التّرجيع' فإنه تكرير الصوت بالمد، رجع الرجل في قراءته إذا كرّر صوته بالمد، و'التّرجيع' أيضا وَشْيُ النَّقش والوَشْمِ والكتابة، وهو ترديد خطوطها، والأصل في ذلك الرجوع الذي هو ضد الذهاب" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.186). فتتوحّد الدّلالة المصطلحية للتّرجيع مع دلالته اللّغويّة، والتّرجيع هو تكرير الصّوت مع وجود مدّ كما يفعل القارئ عند ما يقوم بتمديد صوته بالقراءة. كما عرفه ابن كثير (774هـ) بقوله:

> وأما 'الترجيع' فهو الترديد فى الصوت، كما جاء أيضًا فى البخاري أنه جعل يقول: أأأ، وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدلَّ على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك، ولا يكون ذلك من باب

الزيادة في الحروف؛ بل ذلك مغتفر للحاجة، كما يصلى على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخر ذلك، والصلاة إلى القبلة، والله أعلم. (فضائل القرآن، ص.241)

ولم يشذّ ابن كثير (774ه) عن العطار (569ه) في أنّ "التّرجيع" هو ترديد الصّوت بمدّ، وقد أضاف الجرمي (2001) مزيدا من الشّرح والإيضاح لمصطلح "التّرجيع" بأنّه: "1- تحسين التّلاوة والتّأني بها. فكأن في الترجيع قدرا زائدا من التأني والتؤدة والخشوع...

2- تمويج الصّوت أثناء القراءة لا سيما في المدود" (معجم علوم القرآن، ص.91).

ونتسنتج من النّصوص السّابقة النقاط الآتية:

- أنّ التّرجيع يفسر بالتّرديد للصّوت وتمديده وتكريره.
- أنّ التّرجيع يقع في أصوات القراء والمؤذنين والمغنين والمزامير والحيوانات والطيور والقِسي أي الأصوات التي تحدث عند احتكاكها تسمى ترجيعا.
- أنّ التّرجيع هو التّلاوة الحسنة المتأنية التي فيها تمويج لصوت القارئ وخاصة في حروف المدّ.

وهكذا يتبين أن "الترجيع" و"الترديد" يشتركان في المفهوم العام الدال على الإعادة والتكرير، ويفترقان من إذ إن "الترجيع" عند القراء يكون في المدّ، و"الترديد" يشمل المدّ وغيره.

كما نستنتج أنّ هناك مصطلحات مرّت معنا في تعريف "التّرجيع" مثل "التّمديد" و"التّرديد" و"التّأنّي" يفسّر بها "التّرجيع"، وسنتكلم فيما يلي عن "التّرسّل".

5) "التّرسل" لغة: تنوعت عبارات اللّغويين في تعريفه، فعرّفه ابن فارس (395ه) بقوله:

الرَّاءُ وَالسِّينُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الِانْبِعَاثِ وَالِامْتِدَادِ. فَالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ. وَنَاقَةٌ رَسْلَةٌ: لَا تُكَلِّفُكَ سِيَاقًا. وَنَاقَةٌ

رَسْلَةٌ أَيْضًا: لَيِّنَةُ الْمَفَاصِلِ. وَشَعْرٌ رَسْلٌ، إِذَا كَانَ مُسْتَرْسِلًا. وَالرَّسْلُ: مَا أُرْسِلَ مِنَ الْغَنَمِ إِلَى الرَّعْيِ. وَالرِّسْلُ: اللَّبَنُ; وَقِيَاسُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ، لِأَنَّهُ يَتَرَسَّلُ مِنَ الضَّرْعِ. (مقاييس اللغة، ج2، ص.392، مادة: رسل)

يدلّ "التّرسّل" في الأصل على الانبعاث الذي يدلّ على الخروج والامتداد الدالّ على التّوسّع والانتشار، ثمّ ارتبطت دلالته بدلالات أخرى كالسّير السّهل، وسهولة انقياد النّاقة، ولين المفاصل، والشّعر المرسل. وعرفه الرّاغب (502ه) في كتابه المفردات في غريب القرآن بقوله: "أصل الرّسْلِ: الانبعاث على التّؤدة" (ص.352). فأضاف هذا الأخير أنّ أصل الرّسْلِ الانبعاث البطيء، وهذا يدلّنا على أنّ جودة الشّيء تكمن في التّأني وعدم الإسراع فيه. وكما أشار الفيروز آبادي (817ه) في القاموس المحيط قائلا: "التَّرْسيلُ' في القِراءَةِ: 'التَّرْتيلُ'" (ص.1006، مادة: الرسل). فنرى أنّ صاحب القاموس جعل "التّرسّل" بمعنى التّرتيل، وقال ابن منظور (711ه):

'التَّرسُّلُ' فِي الْقِرَاءَةِ و'التَّرْسِيل' وَاحِدٌ؛ قَالَ: وَهُوَ التَّحْقِيقُ بِلَا عَجَلة، وَقِيلَ: بعضُه عَلَى أَثر بَعْضٍ. وترَسَّلَ فِي قِرَاءَتِهِ: اتَّأَد فِيهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ فِي كَلَامِهِ تَرْسِيلٌ أَي تَرْتِيلٌ؛ يُقَالُ: تَرَسَّلَ الرجلُ فِي كَلَامِهِ وَمَشْيِهِ إِذا لَمْ يَعْجَل، وَهُوَ والتَّرسُّل سَوَاءٌ. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذا أَذَّنْتَ فترَسَّلْ أَي تَأَنَّ وَلَا تَعْجَل. (لسان العرب، ج11، ص.282، مادة: رسل)

وخلص صاحب لسان العرب إلى أنّ معنى "التّرسّل" والتّرسيل واحد، وهو عدم العجلة في الشيء، سواء كان ملفوظا كالقراءة والأذان، أو فعلا كالمشي. وعموما فإنّ "التّرسّل" في مجمله عند العرب دال على التّؤدة والبطء مثل تحقيق القراءة في الأقوال، وتأنّي الماشي في الأفعال.

"**التّرسّل" اصطلاحا:** عرّف العطار (569ه) دلالة مصطلح "التّرسّل" بقوله: "'التَّرَسُّلُ'... تَفَعُّل من الرَّسْلِ وهو السَّهْل السريع، والترسيل تفعيل منه، يقال: ناقة رَسْلَة إذا كانت سريعة رجع اليدين،

وإبل مراسيل أي سراع. قيل: إن واحدها مرسال" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.186). نلحظ في هذا النّص أنّ أصل "التّرسّل" هو الإسراع، خلافا لما ذكرناه من تفسيرات اللغويّين، الذين فسّروه بعدم العجلة. وعرفه الجرمي (2001) في معجمه بقوله: "التّرسل في القراءة والتّبيين من غير بغي، وذلك بإعطاء أحكام التجويد حقها من إشباع المدود والغنن وغير ذلك من جزئيات التجويد" (معجم علوم القرآن، ص.88). ويفسّر الجرمي "التّرسل" بأنّه توضيح التّلاوة بلا زيادة ولا نقصان، مع مراعاة تطبيق أحكام التّجويد من مدّ وغنة وإظهار وإدغام وإخفاء وإقلاب وغير ذلك، وفي ختام حديثنا عن "الترسّل" نصل إلى الكلام عن "التّقطيع".

6)"التقطيع" لغة: يعدّ ابن فارس (395هـ) من بين علماء اللغة الذين عرّفوا مصطلح "التّقطيع" لغويا حيث قال:

> (قَطَعَ) الْقَافُ وَالطَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى صَرْمٍ وَإِبَانَةِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَطَعْتُ الشَّيْءَ أَقْطَعُهُ قَطْعًا. وَالْقَطِيعَةُ: الْهِجْرَانُ. يُقَالُ: تَقَاطَعَ الرَّجُلَانِ، إِذَا تَصَارَمَا. وَبَعَثَتْ فُلَانَةُ إِلَى فُلَانَةَ بِأُقْطُوعَةٍ، وَهِيَ شَيْءٌ تَبْعَثُهُ إِلَيْهَا عَلَامَةً لِلصَّرِيمَةِ. وَالْقِطْعُ، بِكَسْرِ الْقَافِ، الطَّائِفَةُ مِنَ اللَّيْلِ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ. وَيُقَالُ: قَطَعْتُ قَطْعًا. وَقَطَعَتِ الطَّيْرُ قُطُوعًا، إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بِلَادِ [الْبَرْدِ إِلَى بِلَادِ] الْحَرِّ، أَوْ مِنْ تِلْكَ إِلَى هَذِهِ. (مقاييس اللغة، ج5، ص.101، مادة: قطع)

فيرجع مصطلح "التّقطيع" في أصله إلى التّباين والفصل بين الشيئين، كتصارم الرّجلين وانتقال الطّير من مكان يصعب فيه العيش إلى مكان يسهل فيه. وأضاف الرّاغب (502هـ) في كتابه: المفردات في غريب القرآن بأنّ: "القَطْعُ: فصل الشيء مدركا بالبصر كالأجسام، أو مدركا

بالبصيرة كالأشياء المعقولة" (ص. 677، مادة: قطع). وهذا المعنى جامع مانع لمصطلح "التّقطيع" حيث جمع بين الأشياء المحسوسة والمعقولة، ومنع اشتراك غيره معه في التّعريف.

"**التّقطيع**" **اصطلاحا:** إذا كانت التّعاريف اللغويّة عرفت "التّقطيع" عند العرب بدلالات يرجع أصلها إلى الفصل والتّباين والقطع، فإنّ العطار (569هـ) عرفه بقوله: "التقطيع: فإنه تفعيل من القطع، وهو الفصل، وجميع ما تصرف منه فمعنى الفصل فيه ظاهر". (التمهيد في معرفة التجويد، ص.186). وعند تأمّلنا تعريف العطار للتّقطيع وجدناه يوافق أهل اللغة في أصل دلالته على الفصل. وقد وثّق العطّار جلّ هذه القراءات بقوله: "اعلم أنّ قراءة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وردت بثلاثة أوصاف: **أحدها:** 'المدّ' و'التحقيق' بغير 'ترجيع'. **والثاني:** 'التّرديد' و'التّرجيع'. **والثالث:** القراءة حرفا حرفا... وآية آية، 'بترسّل' و'ترتيل' و'تقطيع' " (التمهيد في معرفة التجويد، ص.159). **والرابع:** "الزمزمة": ذكرها العطار (569هـ) بصيغة التّضعيف قائلا: "وقد ورد في قراءته وجه فيه نظر وصف رابع، وهي 'الزّمزمة' " (التمهيد في معرفة التجويد، ص.159). وهي التي فسّرها أنس ابن مالك (93هـ) عند ما سأله مكحول (116هـ) بقوله: "سألت أنسا كيف كانت قراءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؟ قال: كانت قراءته الزمزمة، قال: فقيل يا رسول الله لو رفعت صوتك، قال: إني لأكره أن أوذي جليسي أو أوذي أهل بيتي" (العطار، 569هـ، التمهيد في معرفة التجويد، ص. 183). فالزّمزمة هي القراءة الخفيّة التي لا يُسْمِعُ ولا يكاد يُفْهِمُ القارئ فيها من حوله، ويشترط فيها مراعاة الأحكام.

ويمكن إجمال أهمّ خلاصات ونتائج هذا المبحث فيما يلي:

1. أنّ مصطلح "الحدر" مرتبط بالسّرعة والهبوط والانحدار وكلّ هذه المعاني متلازمة من جهة اللغة والاصطلاح.

2. أنّ المقصود بالحدر عند أهل الاختصاص هو مراعاة أحكام التّجويد وعدم الإخلال بها أثناء التّلاوة.
3. أنّ مصطلحي "التّحقيق" و"التّرتيل" يشتركان في مخارج الحروف وصفاتها، ويفترقان في جزئيات أحكام التّلاوة كتسهيل الهمزات، واختلاس الحركات.
4. يعدّ مصطلح "التّرديد" من المحسّنات الصّوتية لكلام الله –عزّ وجل– فهو يشوّق السّامع للغوص في معاني الآيات، واستنباط أحكامها.
5. إذا كان "التّرديد" يعبّر عن تمديد الصّوت، فإنّ "التّرجيع" يزيد في جمالية الصّوت وخشوعه.
6. تباين مصطلح "التّرسّل" عند اللّغويّين والعطار إلى رأيين، فالأولون سلكوا مسلكًا يدلّ على التّؤدة وعدم الإسراع في القراءة، بخلاف صاحب المتن المدروس فإنّه اختار معنى يفسّر "التّرسّل" بالإسراع فيها.
7. أنّ مصطلح "التّقطيع" يدلّ على الفصل والتّباين بين شيئين سواء كانا معقولين أو محسوسين.
8. أنّ أهم روائز التّمايز بينها هو ثنائية السّرعة والتّمهل فعند السّرعة يتقلّص زمن الأداء الصوتيّ، ويُتخفّف من الترجيع والتطريب... إلخ
9. أنّ ما نوقش بوصفه قضايا من صلب التّجويد، يُمثّل ظواهر صوتيّة يمكن دراستها والنّظر إليها من زوايا صوتيّة معاصرة، فهي قضايا تطريزيّة.

3. وصف قراءة القراء العشرة بين التحقيق والترتيل

إن القراءة عند القراء هي أن يقرأ القارئ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعا أو أداء بأن يأخذ من المشايخ ويقرأ، وقسّم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة، وإن كان للراوي عنه فهو رواية، وإن كان لمن بعده فنازلا فطريق أو وجه.

وقراءات القرآن أو علم القراءات في الاصطلاح هو: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها. هذا التعريف يعرف القراءة من حيث نسبتها للإمام المقرئ كما ذكرنا من قبل؛ أما الأصل في القراءات فهو النقل بالإسناد المتواتر إلى النبي ﷺ والمقرئ هو العالم بالقراءات، التي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي ﷺ.

وقد اتخذ القراء العشرة لكلهم طريقا خاصة في القراءة لها ما تتميز به عن غيرها، وفيما يلي البيان الوصفي لقراءة هؤلاء القراء:

أولًا: نافع المدني (70–169هـ): "هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، مولى جعونة بن شعوب الشِّجْعي، وجَعْوَنة حليف حمزة بن عبد المطلب، وقيل: حليف العباس، وقيل: حليف بني هاشم... يعد من الطبقة الثالثة بعد الصحابة" (الطويل،1985، مدخل في علوم القراءات، ص.88).

صفة قراءة نافع: وصفها الداني (444هـ) في قوله: "وأمّا وصف قراءة من ينتحل نافعا فسلسلةٌ لها أدنى تمديد" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95). وقد وصف العطار (569هـ) قراءة نافع بما وصفها به الداني (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187). ولم يشذ ابن الجزري (833هـ) عنهما، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

ثانيًا: ابن كثير المكي (45–120هـ)، هو: "ابْن كثير المكى [المكي] هُوَ عبد الله بن كثير الدارى [الداري] مولى عَمْرو بن عَلْقَمَة الكنانى [الكناني] والدارى [الداري] الْعَطَّار ويكنى أبا معبد وَهُوَ من التَّابِعين وَتُوفي بِمَكَّة سنة عشْرين وَمِائَة" (الداني، 444هـ، التيسير في القراءات السبع، ص.4).

صفة قراءة ابن كثير: وصفها الداني (444هـ)، بقوله: "أما صفة قراءة من انتحل ابن كثير فحسنةٌ، مجهورةٌ بتمكين بينٍ" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95)، وقال عنه العطار (569هـ): "وأما صفة قراءة ابن كثير فبتمكين من غير تقويم" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187)، كما وصف ابن الجزري (833هـ) قراءة ابن كثير بما وصفها به الداني، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

ثالثًا: ابن عامر (8– 118 هـ): هو "عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي" (ابن الجزري،833هـ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص.10).

صفة قراءة ابن عامر: وصفها الداني (444هـ)، بقوله: "أما أصحاب قراءة ابن عامر فيضطربون في التقويم، ويخرجون عن الاعتدال" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95)، ووصفها العطار (569هـ) بقوله: "وأما صفة قراءة ابن عامر فسَهْلَةٌ بين الحدر والتحقيق... قال: سمعت أيوب بن تميم يقول: قراءَتُنَا سَهْلَةٌ، يعني قراءة أهل الشام، لا نعرف التشديد، يعني التكلف" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187). وأمّا ابن الجزري (833هـ) فقد نقل وصف الدّاني لقراءة أصحاب ابن عامر ولم يزد عليه، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

رابعًا: أبو عمرو بن العلاء (68– 154 هـ): هو "زبان بن العلاء التميمي المازني البصري" (ابن جزي، 741هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص.53).

صفة قراءة أبي عمرو: وصفها الداني (444هـ) بقوله: "أما صفة من ينتحل قراءة أبي عمرو فالتوسط والتدوير وهمزها سليمٌ من اللكز. وتشديدها خارج عن التمضيغ، بترسلٍ جزلٍ وحدرٍ بينٍ سهلٍ يتلو بعضها بعضا" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95–96).

ووصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما صفة قراءة أبي عَمْرو... فَجَزْلَةٌ سَهْلَةٌ مُدَوَّرَةٌ متوسطة بين الحدر والترتيل، خارجة عن اللكز... والتمضيغ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187). ولم يشذ ابن الجزري (833هـ) عن وصف الداني، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

خامسًا: "عاصم بن أبي النجود الكوفي (127 هـ): أبو بكر بن بهدلة الحناط مولى بني أسد" (ابن جزي، 741 هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص.55).

صفة قراءة عاصم: يصفها الداني (444هـ) بقوله: "أما صفة قراءة من ينتحل عاصما فمترسلةٌ جريشةٌ، ذات ترتيل وكان عاصم نفسه موصوفا بحسن الصوت وتجويد القراءة" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95). ووصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما صفة قراءة عاصم فذاتُ تَرَسّل وترتيل، وكان عاصم موصوفًا بتجويد القراءة وحُسْنِ الصوت. وبصحة ما ذكرتُ... حدثنا شريك بن عبد الله، قال: كانَ عاصم صاحبَ مَدَّ وهَمْز وقراءة شديدة" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187-188). وقد وصف ابن الجزري (833هـ) قراءة عاصم بما وصفها به الداني، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

سادسًا: حمزة الزيات (80- 156 هـ): "هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي، الزيات...، مولى بني تميم، وقيل: مولى لبني عجل، وقال ابن دريد: هو من ولد أكثم بن صيفي" (الطويل،1985، مدخل في علوم القراءات، ص.86).

صفة قراءة حمزة: يقول الداني (444هـ):

> أمّا صفة من ينتحل قراءة حمزة فأكثر من رأينا منهم ما ينبغي أن تحكى قراءته لفسادها ولأنها مصنوعة من تلقاء أنفسهم، وأما من كان منهم يعدل في قراءته حدرًا أو تحقيقًا فصفتها المد العدل والقصر والهمز المقوم والتشديد المجود، بلا تمطيط ولا تشديقٍ ولا تعلية صوتٍ ولا ترعيدٍ،

فهذه صفة التحقيق. وأما الحدر فسهل التكلف في أدنى ترتيل وأيسر تقطيع. (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95)

ووصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما حمزة فله مذهبان: الحَدْرُ، والتحقيق. فأما الحدرُ فَسَهْل مع مراعاة الترتيل، وأما التحقيق فَمُرَتَّلٌ مُقَوَّمٌ من غير تمطيط ولا تشديق ولا تَعْلِيةِ صوت ولا تَرْعِيد" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187). وقد وصف ابن الجزري (833هـ) قراءة حمزة بما وصفها به الداني، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

سابعًا: "الكسائي (119– 189هـ) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله، بن بهمن، بن فيروز الكوفي النحوي، مولى بني أسد، فارسي الأصل" (الطويل،1985، مدخل في علوم القراءات، ص.92).

صفة قراءة الكسائي: يقول الداني (444هـ): "أما وصف قراءة من ينتحل قراءة الكسائي فبين الوصفين، في اعتدال" (التحديد في الإتقان والتجويد، ص.95). ووصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما صفة قراءة الكسائي... فبين الحدر والتحقيق، مع ملاحظة الترسل والترتيل" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187). ولم يشذ ابن الجزري (833هـ) عن الداني في وصفه لقراءة الكسائي، (التمهيد في علم التجويد، ص.51).

وأمّا القراء الآخرون فلم نعثر على وصف قراءتهم إلا عند العطار، وقد رتبتهم بحسب سنة الوفاة.

ثامنًا: أبو جعفر (130 هـ): هو "يزيد بْن القعقاع أَبُو جَعْفَر الْمَدَنِيّ القارئ مولى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ المخزومي" (إسماعيل، ٢٥٦هـ، التاريخ الكبير، ج8، ص.354).

صفة قراءة أبي جعفر: وصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما صفة قراءة أبي جعفر... فَسَلِسَةٌ لها أدنى تمديد... كان يُعْرِبُ كلامه، ويُدْرِجُ قراءتَهُ إدراجًا سَهْلًا... فَجَزْلَةٌ سَهْلَةٌ مُدَوَّرَةٌ متوسطة بين الحدر والترتيل، خارجة عن اللكز... والتمضيغ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187).

تاسعًا: يعقوب الحضرمي (117– 205 هـ) هو يعقوب: "بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، أبو محمد مولى الحضرميين" (ابن جزي، 741 هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص.58).

صفة قراءة يعقوب: يصفها العطار (569هـ) بقوله: "أما صفة قراءة... يعقوبَ فَجَزْلَةٌ سَهْلَةٌ مُدَوَّرَةٌ متوسطة بين الحدر والترتيل، خارجة عن اللكز... والتمضيغ" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187).

عاشرًا: خلف بن هشام (150– 229 هـ) "أبو محمد الأسدي البزار البغدادي... الإمام العلم، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ثقة كبير، زاهد عالم عابد" (ابن جزي، 741 هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص.56).

صفة قراءة خلف: وصفها العطار (569هـ)، بقوله: "أما صفة قراءة... خَلَفٍ فبين الحدر والتحقيق، مع ملاحظة الترسل والترتيل" (التمهيد في معرفة التجويد، ص.187).

أضرُب أوجه القراءات: يقول العطار (569هـ):

> اعلم أنَّ هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول إلى ضربين: أحدهما التحقيق والآخر الحدر. وإنما يُحْمَدُ هذان الضربان إذا صحبهما التجويد. وأحق الناس بالتجويد من راعاه في الحدر، وذاك أنَّ مَنْ حقق في الحدر كمَنْ أخفَّ الصلاة في تمام، وكان رسول الله ﷺ – مِن أَخَفِّ الناسِ صلاةً في تمام. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.188)

ولم يفت العطار (569هـ) في كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" رسم سبل التّمكّن من القراءة والدّربة عليها قائلا:

> ولا سبيل إلى ما سقناه عن حمزة وأبي بكر بن مجاهد – رحمهما الله – إلا بالمواظبة على القراءة ورياضة اللسان، والأخذ من أفواه أولي العلم

والإتقان، وإن انضاف إلى ذلك حُسْنُ الصوت وجَوْدَةُ الفَكِّ، وذرابة اللسان، وصحة الأسنان كان الكمال. (ص.189).

فقد وصف العطار في النصّ أعلاه سبل التّمكّن من القراءة في النّقاط التّاليّة:

- "المواظبة على القراءة"
- "رياضة اللسان"
- "الأخذ من أفواه أولي العلم والإتقان"
- " حُسْنُ الصوت وجَوْدَةُ الفَكِّ"
- "ذرابة اللسان"
- " صحة الأسنان"

وهذا كله متوقف على توفيق الله –سبحانه وتعالى–، ويتفاوت النّاس في بلوغ المرتبة العالية في تجويد قراءة القرآن الكريم. يقول العطار (569هـ):

> على أن جميع ما ذكرنا لا ينال إلا بتوفيق الله تعالى، لا بالكسب والاجتهاد، لأن تجويد القراءة ربما اعتاص على المُبَرِّز المنتهيَ [المنتهِي] وسَهُلَ على الحَدَثِ المبتدىء [المبتدئ]، إلا أن المُنتَهِيَ، وإن صَعُبَ ذلك عليه لفظا، فإنه يصل إليه مَعْرِفَةً وحفظا. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.189)

ويتابع العطار (569هـ) في رسم سبل التمكن من الأداء الصوتي للقرآن الكريم، ومذاهب القراء في القراءات بقوله:

> ثم اعلم أن ما ذكرناه من الحذق بالأداء، وما لم نذكره من مذاهب القراء، لا يوقف على حقيقته ولا يوصل إلى كيفيته إلا بإتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات ورواياتها. وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وأتباعهم من علماء المسلمين في فضائل

الإعراب وكراهة اللَّحْن أخبار وآثار، سأذكر منها طرفا يدل على ما

وراءه، إن شاء الله تعالى. (التمهيد في معرفة التجويد، ص.190)

ويبيّن العطار (569هـ) في هذا النّصّ بعض السّبل التي توقف التّالي للقرآن الكريم على حقيقة الأداء الصوتيّ وكيفيته عند القراء ومنها:

- إتقان اللغة العربية ومقاييسها.
- معرفة أوجه القراءات ورواياتها.

ويتأكّد من النصوص السابقة ومما ورد فيها من الحثّ على معرفة الإعراب وتجنّب اللّحن أثناء القراءة، شدّة الصّلة بين قضايا التّجويد ومباحثه والدّرس الصوتيّ الحديث.

وتكمن أهمية النتائج المأخوذة من هذا المبحث فيما يلي:

تعرفنا في هذا المبحث على علم القراءات والذي هو: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، وكما ذكرنا صفة القراءات لدى القراء العشرة، واكتشفنا أن أوجه القراءات ضربان: أحدهما التحقيق والآخر الحدر، وإنما يُحْمَدُ هذان الضربان إذا صحبهما التجويد والإتقان، وأن القراء العشرة قد اتخذ كل منهم طريقا خاصة في القراءة لها ما تتميز به عن غيرها، وذكرنا أن التمكن من الأداء الصوتي ليس بالسهل ولا يمكنه أن يقع من دونمواظبة القارئ على الترتيل ورياضة اللسان وحسن الصوت وجودة الفك وغيرها من الصفات، إضافة إلى إتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات.

وبنهاية هذا المبحث الثالث الذي خصصناه لوصف قراءة القراء العشرة بين التحقيق والترتيل، نكون قد ختمنا الفصل الثالث، الذي تعرضنا فيه للظواهر التطريزية "ليس منا من لم يتغن بالقرآن"، وقد تناولنا هذه الظواهر من خلال ثلاثة مباحث: تطرقنا في أولها لاستثمار الحركات الطويلة عند القراء، وأهميتها التي تتمثل في "الصوائت" و"أنصاف الصوائت" و"الصوامت" من

جهة، والقضايا التّطريزية مثل: "النّبر" و"التّنغيم" من جهة أخرى، وخصصنا ثاني المباحث للحديث عن معاني "الحدر" و"التّحقيق" و"التّرديد" و"التّرجيع" و"التّرسل" و"التّقطيع"، ونرى أننا قد أحطنا بالظواهر التطريزية من كل الجوانب، وقدمنا فيها ما يفيد الباحثين والمهتمين بهذا الفن.

الخاتمة

سبق وأن تطرقنا في نهاية كل فصل إلى المسائل المستنتجة منه، وسنحاول من خلال هذه الخاتمة التطرق إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقد أجملتها في النقاط الآتية:

1. إنّ مفهوم علم التّجويد قد مرّ بمراحل عديدة.
2. ينقسم مصطلح "التّغنّي" إلى قسمين: محمود ومذموم.
3. هناك خلاف بين القدماء والمحدثين في عدد مخارج الحروف، وبين القدماء فيما بينهم كذلك، وبين المحدثين فيما بينهم أيضا.
4. هناك حروف أصلية وأخرى فرعية، وقد قسم القدماء الفرعية إلى ما تجوز به القراءة وما لا تجوز به، بينما قسمها المحدثون إلى فونيم وألفون.
5. وجود خلاف بين القدماء والمحدثين حول صفات الحروف وعددها.
6. أوجه القراءات ثلاثة: أحدها التدوير والثاني التحقيق والثالث الحدر، ولا تعرف إلا بالتلقين من الشيوخ المبرزين، وأن التمكن من الأداء الصوتي ليس سهلا ولا بد له من مواظبة القارئ على الترتيل ورياضة اللسان وحسن الصوت.
7. ينقسم المدّ إلى ذاتيّ وموضوعيّ، ويتنوّع الأخير إلى أنواع متعدّدة.
8. إنّ وصف العلماء القدامى لحروف المدّ بالسّكون لا يتماشى مع علم الأصوات الحديث، لأنها صوائت خالصة، ولأنّ الصّائت حركة والسكون ضدّها.
9. ذكر العلماء القدامى للألف من جملة صوامت العربية غير سليم، بل هي من جملة الصّوائت، ولا عبرة بتحولها إلى همزة.

10. لم يكن عند علماء التجويد علم بمخرج الحنجرة، وأول من أشار إليه من القدماء الفرخاني (549هـ) في كتابه المستوفى في النحو، (زاهيد، 2005، ص.31). وقد أكّد علم الأصوات الحديث على أنه مخرج مستقل.

11. ترد الواو والياء تارة صوائت خالصة، وتارة أنصاف الصوامت، أما الألف فلا تكون إلّا صائتا خالصا.

التوصيات

نلفت نظر المهتمين والباحثين بعلوم اللغة والموسيقى والبلاغة والفلسفة والأسلوب إلى أن المباحث والمصطلحات التي وردت في كتاب "التمهيد في معرفة التجويد"، التي تناولناها في هذا البحث من منظور علم الأصوات الحديث يمكنهم دراستها والاستفادة منها كل بحسب تخصصه، مما يحيل إلى العلاقة بين العلوم ونظرية التكامل بينها، لأن علاقة العلوم الإنسانية فيما بينها علاقة تكامل لا تقاطع.

نسعى إلى تعميق البحث في القضايا التجويدية وإعادة قراءتها من منظور حديث لتفهم فهما دقيقا وواضحا قائما على التنظيم والتسلسل بعيدا عن فكرة الجمود والانغلاق، وقد بحثنا عن القضايا الصوتية في كتاب التمهيد في علم التجويد، وعلينا أن نبحث عنها أيضا في كتب التجويد العديدة الأخرى، ما يساعد على استمرارها وتجددها لتبقى في مقدمة الدراسات اللسانية الحديثة.

قائمة المراجع والمصادر

أحمد، محمد. (1983). طبقات المفسرين. دار الكتب العلمية. بيروت.

الأزهري أحمد، محمد. (2001). تهذيب اللغة. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

إسماعيل، محمد. (2019). التاريخ الكبير. الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع. الرياض.

الأشموني عبد الكريم، أحمد. (2008). منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (الثانية). دار الحديث. مصر.

باشا، إسماعيل. (2006). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.

https://www.noor-book.pdf

باي، ماريو. (1998). أسس علم اللغة (الثامنة). عالم الكتب. ترجمة: عمر، مختار.

بسام، بركة. (1988). علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية). مركز الإنماء القومي. بيروت.

بشر، كمال. (1998). دراسات في علم اللغة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

بشر، كمال. (2007). علم الأصوات. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

التميمي، أحمد. (1980). السبعة في القراءات (الثانية). دار المعارف. مصر.

الجرمي، إبراهيم. (2001). معجم علوم القرآن. دار القلم. دمشق.

ابن الجزري، محمد. (1985). التمهيد في علم التجويد. مكتبة المعارف. الرياض.

ابن الجزري، محمد. (2009). غاية النهاية في طبقات القراء. مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

ابن الجزري، محمد. (2010). النشر في القراءات العشر. المطبعة التجارية الكبرى. مصر.

ابن جزي، محمد. (1995). التسهيل لعلوم التنزيل. شركة دار الأرقم بن الأرقم. بيروت.

الجمزوري، سليمان. (2010). تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن. https://shamela.ws/book/9632

ابن جني، عثمان. (2000). سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية. بيروت.

ابن جني، عثمان. (2006). الخصائص (الرابعة). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

الجوزي، عبد الرحمن. (1988). مناقب الإمام أحمد (الثانية). دار هجر. مصر.

الحسن، علي. (1945). سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي. مصطفى البابي الحلبي. مصر.

حسن، محمد. (2012). المختصر المفيد في أحكام التجويد. مؤسسة الإيمان. بيروت.

حماد، إسماعيل. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (الرابعة). دار العلم للملايين. بيروت.

الحمد، غانم. (2004). المدخل إلى أصوات العربية. دار عمار للنشر والتوزيع. الأردن.

الحمد، غانم. (2007). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (الثانية). دار عمار. الأردن.

الحموي، ياقوت. (1993). معجم الأدباء. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

الحميدي، محمد. (1966). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. الدار المصرية للتأليف والنشر. القاهرة.

الخادمي عثمان، محمد. (1929). بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية. مطبعة الحلبي. مصر.

خضر، طارق. (2014). إعانة الأصحاب على تجويد الكتاب. مطابع الدوحة الحديثة المحدودة. قطر.

خلف، أحمد. (2010). الإقناع في القراءات السبع. دار الصحابة للتراث. مصر.

الداني عمر، عثمان. (1988). التحديد في الإتقان والتجويد. مكتبة دار الأنبار. بغداد.

الذهبي قيماز، محمد. (1985). سير أعلام النبلاء (الثالثة). مؤسسة الرسالة. بيروت.

الذهبي قيماز، محمد. (1997). معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. دار الكتب العلمية. بيروت.

الرازي التيمي، محمد. (1999). مفاتيح الغيب (الثالثة). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

الراغب محمد، الحسين. (1991). المفردات في غريب القرآن. دار القلم. بيروت.

ابن رجب، عبد الرحمن. (2005). ذيل طبقات الحنابلة. مكتبة العبيكان. الرياض.

ابن رشد، محمد. (1967). تلخيص الخطابة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

الروياني، عبد الواحد. (2009). بحر المذهب في فروع المذهب الشافعي. دار الكتب العلمية. بيروت.

زاهيد، عبد الحميد. (1999). نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية. دار وليلي للطباعة والنشر. المغرب.

زاهيد، عبد الحميد. (2005). حركات العربية دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي. المطبعة والوراقة الوطنية. مراكش.

زاهيد، عبد الحميد. (2021). مقرر علم الأصوات المحاضرة الثالثة. مقرر الماجستير، جامعة قطر.

الزمخشري أحمد، محمود. (1998). أساس البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت.

أبو زهرة أحمد، محمد. (2010). المعجزة الكبرى القرآن. دار الفكر العربي. مصر.

زيدان، عبد الكريم. (2001). أصول الدعوة (التاسعة). مؤسسة الرسالة. بيروت.

سالم، صفوت. (2003). فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد (الثانية). دار نور المكتبات. جدة.

السخاوي عبد الصمد، علي. (1999). جمال القراء وكمال الإقراء. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت.

السعران، محمود. (1997). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (الثانية). دار الفكر العربي. مصر.

السعيد، هلا. (2015). نظرة معمقة في علم الأصوات. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

السعيدي، علي. (2017). التنبيه على اللحن الجلي والخفي.
https://www.noor-book.pdf

سلطان، القصير. (2020). أسباب اختلاف وصف المخارج بين اللغويين القدامى والمحدثين. *التراث*، 10(4)، ص.85-104.
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/130618

سليماني، مسعودة. (2015). المعايير الصوابية في اللغة العربية بين القدامى والمعاصرين. *الممارسات اللغوية*، (32)، ص.77-90.
revue.ummto.dz

ابن سواده، يوسف. (2007). الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها. مؤسسة سما للتوزيع والنشر. القاهرة.

ابن سيده، علي. (2000). المحكم والمحيط الأعظم. دار الكتب العلمية. بيروت.

سيبويه قنبر، عمرو. (1988). الكتاب (الثالثة). مكتبة الخانجي. القاهرة.

السيوطي، عبد الرحمن. (1974). الإتقان في علوم القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

الصالحي، محمد. (1996). طبقات علماء الحديث (الثانية). مؤسسة الرسالة. بيروت.

الطويل، السيد. (1985). مدخل في علوم القراءات. المكتبة الفيصلية. مكة.

عبد الله، القاسم. (1995). فضائل القرآن. دار ابن كثير. بيروت.

عبد الله، مصطفى. (1941). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مؤسسة التاريخ العربي. لبنان.

العسس، عبد الفتاح. (2005). هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (الثانية). مكتبة طيبة. المدينة المنورة.

العطار حَنْبَل، الحسن. (2000). التمهيد في معرفة التجويد. دار عمار. الأردن.

العطار، الحسن. (1994). غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمّة الأمصار. الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم. جدة.

العلبي & عدنان بن عبد الرزاق الحموي. (2020). ضبط الترتيل وأثره في توثيق النص القرآني.
qspace.qu.edu.qa

علي، علي الله. (2003). القول السديد في علم التجويد (الثالثة). دار الوفاء. المنصورة.

علي، محمود. (2004). العميد في علم التجويد. دار العقيدة. الإسكندرية.

عمر، أحمد. (2003). البحث اللغوي عند العرب (الثامنة). عالم الكتب. مصر.

عمر، أحمد وآخرون. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. مصر.

عمر، تمام. (1990). مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

عمر، تمام. (2006). اللغة العربية معناها ومبناها (الخامسة). عالم الكتب. مصر.

عيسى، م. ب. ک. ب & محمود بن كابر بن. (2017). حكم تطبيق التجويد والقراءة بالألحان.*مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط*، 35 (2)، ص.1525-1556.

jfar.journals.ekb.eg

ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر. دمشق.

فارس، خير الدين. (2002). الأعلام (الخامسة عشر). دار العلم للملايين. بيروت.

الفراهيدي، الخليل. (2010). العين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.

فهد، عبير. (2022). مخارج الاصوات وصفاتها عند القدماء والمحدثين. *مجلة واسط للعلوم الانسانية والاجتماعية*.18(50)، ص.451-474.

wjfh.uowasit.edu.iq

ابن الفوطي، كمال الدين. (1995). مجمع الآداب في معجم الألقاب. مؤسسة الطباعة والنشر. إيران.

الفيروز آبادي، محمد. (2005). القاموس المحيط (الثامنة). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

القضاة، محمد وآخرون. (2001). مقدمات في علم القراءات. دار عمار. الأردن.

القيسي، مكي. (1996). الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة (الثالثة). دار عمار. الأردن.

ابن كثير، إسماعيل. (1995). فضائل القرآن. مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

اللبدي، محمد. (2009). معجم المصطلحات النحوية والصرفية. مؤسسة الرسالة دار. بيروت.

لطيفة عبّو. (2009). اللّحن الجليّ والخفيّ في علم التجويد. *مجلة الأثـــر*، 8(8)، ص. 87-91. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50642

محمد الأمين، محمد. (2002). الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة.

ابن منظور، محمد. (1993). لسان العرب (الثالثة). دار صادر. بيروت.

المقابلة، كمال. (2019). القيمة الدلالية لصوت المد في القراءات القرآنية. في زاهيد، عبد الحميد. كتاب الأصوات والتجويد. (ص.63-75). عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. الأردن.

المقريزي، تقي الدين. (2006). المقفى الكبير (الثانية). دار الغرب الإسلامي. بيروت.

ابن نقطة، محمد. (1988). التقييد لمعرفة السنن والمسانيد. دار الكتب العلمية. لبنان.

النيرباني، عبد البديع. (2006). الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. دار الغوثانى. دمشق.

ابن وثيق، إبراهيم. (2017). تجويد القراءة ومخارج الحروف.
https://www.noor-book.pdf